المملكة العربية السعودية
وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد
وقف تعظيم الوحيين
المدينة المنورة

وقف تعظيم الوحيين

مجلة تعظيم الوحيين

مجلّة دوريّة علميّة محكّمة، تُعنى بنشر بحوث الدِّراسات القرآنيَّة والسُّنة النبويَّة وما يتعلّق بهما

موضوعات العدد:

- استنباط الوقوف النبوية في القرآن الكريم.
  أ.د/ حكمت بن بشير ياسين.
- الرسالة القرآنية الأولى (نزولها، معانيها، مقاصدها، وثمراتها).
  أ.د/ أحمد بن محمد الشرقاوي.
- قراءة النص القرآني من منظور الفلسفة التأريخية (عرضٌ ونقد).
  د/ زهر الفتى صالحين.
- رسالة ابن بصخان في شرح باب وقف حمزة وهشام.
  للإمام محمد بن أحمد بن بصخان (ت: ٣٤٧هـ) (دراسة وتحقيق).
  د/ أحمد بن عبدالله سليماني.
- الأحاديث الدالة على وجوب شهود جماعة المسجد للصلوات الخمس (جمعاً ودراسةً).
  د/ علي بن فهد بن عبدالله أبابطين.
- حديث «لن يفلح قومٌ ولّوا أمرهم امرأة» (دراية ورواية).
  د/ وائل بن فواز دخيل.

حقوق الطبع محفوظة لمجلة تعظيم الوحيين

ترخيص وزارة الثقافة والإعلام -الرياض، المملكة العربية السعودية
برقم: (٨٠٤٤)، وتأريخ: ١٤/ ٤/ ١٤٣٦هـ

رقم الإيداع: ٩٩٣٩/ ١٤٣٨
تأريخ: ٢٨/ ١/ ١٤٣٨
ردمد: ١٦٥٨ - ٧٧٤x

سعر المجلة: (٢٠) عشرون ريالًا سعوديًا أو ما يعادله

عناوين المراسلات والاستفسارات

جميع المراسلات تكون باسم رئيس تحرير المجلة:
البريد الالكتروني للمجلة: mjallah.wqf@gmail.com
مَجَلّةُ تَعْظِيمِ الوَحْيَيْنِ، وقف تعظيم الوَحْيَيْنِ،
حي الروابي- المدينة المنورة: ص. ب: ٥١٩٩٣، الرمز البريدي: ٤١٥٥٣،
المملكة العربية السعودية.
هاتف المجلَّة: ٠٠٩٦٦١٤٨٤٩٣٠٠٩ تحويلة: ١١٥
جوال المجلَّة وواتسآب: ٠٥٣٥٥٢٢١٣٠ ٩٦٦+
تويتر: @wahyain-mejellah

المواد العلميَّة المنشورة في المجلَّة تُعبِّر عن وجهة نظر أصحابها وآرائهم

صف وإخراج
+966 554267436
mardy2020@hotmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم
١٤٢٠

التعريف:

مؤسّسة وقفيَّة تقوم على خدمة القرآن الكريم والسّنة النبويّة المطهّرة، وبيان هدايتِهما، وتحقيق غاياتِهما، وتفعيل مقاصدِهما.

النشأة:

في عام ١٤٢٨ هـ، كانت البداية باسم: «**مشروع تعظيم القرآن الكريم**».

وفي عام ١٤٣٤ هـ، أصبح المشروع مركزا ضمن مراكز المدينة المنوّرة لتنمية المجتمع تحت اسم: «**مركز تعظيم القرآن الكريم**».

وفي عام ١٤٣٦هـ، تم تطوير المركز واستقلاله، ليكون مؤسّسة وقفيّة باسم: «**وقف تعظيم الوحيين**».

الرؤية:

الارتقاء في تعظيم القرآن الكريم والسّنة النّبويّة ودراساتهما محليـًا وعالميـًا.

الرسالة:

تعظيم القرآن الكريم والسّنة النّبويّة في المجتمع والأمّة، بتفعيل مقاصدهما وغاياتهما وبيان هدايتهما.

الأهداف:

١- إبرازُ مظاهرِ عظمة القرآن الكريم والسّنّة النّبويّة الشّريفة، وبيانُ حقوقِهما.

٢- الدفاعُ عن كتاب الله تعالى وسنّة نبيّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتفنيدُ الشبهات عنهما.

٣- الارتقاء بالدِّراسات البحثيّة والدّورات التّدريبيّة المتخصِّصة في الدّراسات القرآنيّة والحديثيّة وما يتعلق بهما.

مجلة تعظيم الوحيين

التعريف:

مجلّة دوريّة علميّة محكّمة، تُعنى بنشر بحوث الدِّراسات القرآنيَّة والسُّنة النبويَّة وما يتعلّق بهما ورقيًا وإلكترونيًا، لأساتذة الجامعات، وأهل الاختصاص، والباحثين المهتمين بعلوم الوَحْيَيْنِ.

الرُّؤية:

أن تكون المجلة منارة علميَّة بحثيَّة في خدمة الوَحْيَيْنِ الشريفين وتعظيمهما.

الرِّسالة:

تحكيم البحوث العلميَّة الجادَّة والأصيلة ونشرها في مجالات الدِّراسات القرآنيَّة والسُّنة النبويَّة وما يتعلّق بهما.

الأهداف:

١- نشر البحوث العلميَّة المتخصصّة في الدِّراسات القرآنيَّة والسُّنة النبويَّة وما يتعلّق بهما.

٢- إثراء المجلات العلميَّة في مجالات الدِّراسات القرآنيَّة والسُّنة النبويَّة وما يتعلّق بهما.

٣- شحذُ هِمم الباحثين للكتابة، وتلبية احتياجاتهم لنشر بحوثهم.

٤- العناية بمعايير الجودة في البحوث العلميَّة.

٥- التمهيد لمشاريع علميَّة موسوعيَّة مبتكَرة في الدِّراسات القرآنيَّة والسُّنة النبويَّة وما يتعلّق بهما.

٦- دعم أنشطة الوقف المتنوعة بالبحوث العلميَّة الجادَّة ذات الصِّلة بعمل الوقف وأهدافه.

المشرف العام

أ.د/ عِمَاد بن زهير حافظ

أستاذ التفسير وعلوم القرآن بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

نائب المشرف العام

د. أحمد بن عبد الله سليماني

أستاذ القراءات وعلومها المشارك بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

رئيس التحرير

أ.د/ حِكمت بن بشير ياسين

أستاذ التفسير وعلوم القرآن بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

مدير التحرير

د/ ياسر بن إسماعيل راضي

أستاذ التفسير وعلوم القرآن المشارك بجامعة طيبة بالمدينة المنورة

مساعد مدير التحرير

أ/ بلحسن بن عبد الرحمن زين العابدين

أعضاء هيئة التحرير

أ.د/ عبد العزيز بن صالح العبيد

أستاذ التفسير وعلوم القرآن بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

أ.د/ عبد الله بن محمد حسن دمفو

أستاذ الحديث الشريف بجامعة طيبة بالمدينة المنورة

أ.د/ حسين بن محمد العواجي

أستاذ القراءات وعلومها بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

أ.د/ سعود بن عيد الصاعدي

أستاذ الحديث الشريف بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

أ.د/ خالد بن عون العنزي

أستاذ التفسير وعلوم القرآن بجامعة طيبة بالمدينة المنورة

أ.د/ عبد الله بن عبد العزيز الفالح

أستاذ الحديث الشريف بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

د/ باسم بن حمدي حامد السيّد

أستاذ القراءات وعلومها المشارك بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

د/ أمين بن عايش المزيني

أستاذ التفسير وعلوم القرآن المشارك بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

الهيئة الاستشارية

أ.د/ محمّد سيدي بن محمد الأمين
أستاذ القراءات وعلومها بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
(السعودية)

أ.د/ محمّد بن يعقوب تركستاني
أستاذ اللغة العربية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
(السعودية)

أ.د/ زين العابدين بلافريج
أستاذ التعليم العالي بجامعة الحسن الثاني في الدار البيضاء
(المغرب)

أ.د/ سعيد بن فالح المغامسي
أستاذ الإدارة التربوية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
(السعودية)

أ.د/ غازي بن غرّاي المطيري
أستاذ الدعوة والثقافة الإسلامية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
(السعودية)

أ.د/ نبيل بن محمّد الجوهري
أستاذ التفسير وعلوم القرآن بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
(مصر)

أ.د/ السّالم محمّد محمود الجكني
أستاذ القراءات وعلومها بجامعة طيبة بالمدينة المنورة
(السعودية)

أ.د/ محمّد بن عبد العزيز العواجي
أستاذ التفسير وعلوم القرآن بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
(السعودية)

أ.د/ أحمد بن علي السديس
أستاذ القراءات وعلومها بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
(السعودية)

أ.د/ محمّد آيدن
أستاذ التفسير بجامعة صكاريا بتركيا وجامعة قطر بقطر
(تركيا)

أ.د/ عبد الرّحمن بن معاضة الشّهري
أستاذ الدراسات القرآنية بجامعة الملك سعود بالرياض
(السعودية)

أ.د/ سالم بن محمّد سالم إبراهيم
خبير الجودة والتخطيط والاعتماد الأكاديمي بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
(مصر)

د/ وليد بن بليهش العمري
أستاذ اللغات والترجمة المشارك بجامعة طيبة بالمدينة المنورة
(السعودية)

د/ عيسى بن محمّد القايدي
أستاذ الاتصال والإعلام المشارك بجامعة طيبة بالمدينة المنورة
(السعودية)

د/ المثنّى عبد الفتّاح محمود محمود
أستاذ التفسير وعلوم القرآن المشارك بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
(الأردن)

قواعد المجلة وسياستها في النشر

١- تَقبل المجلَّة في حقل الدِّراسات القرآنيَّة والسُّنة النبويَّة وما يتعلق بهما؛ ما يأتي:

- البحوث العلميَّة الأصيلة.
- دراسة المخطوطات وتحقيق الجدير منها.

٢- تخضع البحوث المقدَّمة للمجلَّة للتحكيم العلمي وبشكل سرِّي من أهل الاختصاص.

٣- تُحكَّم البحوث من محكمين - على الأقل - يكون قرارهما مُلزمًا، وفي حال تعارض حكمهما يُحكّم البحث من محكِّم ثالث ويكون قراره مرجحًا.

٤- يُبَلَّغ الباحث بقَبول بحثه أو عدم قَبوله برسالة رسميَّة من رئيس تحرير المجلَّة.

٥- في حال عدم قَبول البحث لا يلزم هيئة التحرير إبداء أسباب عدم النشر.

٦- إذا تم تحكيم البحث وقَبوله للنشر لا يحق للباحث استرداده أو طلب إلغائه.

٧- لا تُعاد البحوث إلى أصحابها ولا تُسترد، سواء أنشرت أم لم تنشر.

٨- حقوق الطبع والنشر محفوظة للمجلَّة.

٩- تُرتَّب البحوث في المجلَّة وفق اعتبارات موضوعيَّة وفنيَّة لا علاقة لها بقيمة البحث.

١٠- يُزوَّد الباحث بنسختين ورقيّتين ونسخة الكترونية من عدد المجلَّة المنشور فيه بحثه، وعشر مستلاّت خاصّة ببحثه.

١١- المواد المنشورة في المجلَّة تُعبِّر عن وجهة نظر أصحابها وآرائهم.

١٢- يُقدِّم الباحث إقراراً خطيـًا بصيغة خطاب مصوّر (pdf) بأنّ بحثه لم يُسبَق نشره، أو مقدمـًا للنشر في جهة أخرى، أو مستلاً من عمل علمي للباحث سواءً رسالة علميَّة: (الماجستير أو الدكتوراه)، أوغيرهما. ويُرسل على بريد المجلَّة الالكتروني.

١٣- يُقدِّم الباحث نبذة مختصرة عن سيرته العلميَّة، وعناوين الاتصال، والبريد الإلكتروني، ويُرسل على بريد المجلَّة الالكتروني، ببرنامج الوورد (word).

شروط النشر ومواصفاته

١- أن يكون البحث في تخصُّص الدِّراسات القرآنيَّة والسُّنة النبويَّة وما يتعلَّق بهما.

٢- أن يتسم البحث بالأصالة والجدَّة والابتكار، وعدم التكرار مع غيره عنوانًا ومضمونًا.

٣- أن يتسم البحث بصحة اللّغة وسلامة المنهج.

٤- يُراعى في كتابة البحث المنهج العلمي في توثيق المعلومات، وعلامات التنصيص والترقيم.

٥- ألاَّ يقلّ عدد صفحات البحث عن: (١٥) صفحة؛ ولا يزيد عن: (٤٠) صفحة؛ مقاس: (A4)، شاملة لملخص البحث، ومراجعه. ولهيئة تحرير المجلَّة الاستثناء عند الضَّرورة.

٦- كتابة ملخص باللغة العربية لا يتجاوز (٢٥٠) كلمة، يشمل: (موضوع البحث، وهدفه الرئيس، ومشكلة البحث، وأهم نتائجه، والكلمات الدَّالة (المفتاحية) على موضوع البحث، ولا يتجاوز عددها: (٤) كلمات.

٧- أن تتضمن مقدِّمة البحث: (موضوع البحث، وأهميته، وأهدافه، وأسباب اختياره، ومنهجه العلمي، والدِّراسات السَّابقة عن الموضوع، والجديد الذي سيقدمه البحث).

٨- أن تتضمَّن خاتمة البحث: (أهم نتائج الدِّراسة، والتوصيات العلميَّة في عناصر واضحة).

٩- يلتزم الباحث بالمواصفات الفنيَّة الآتية:

- نوع الخط: (Lotus Linotype) لمتن البحث، وعناوينه، وحواشيه، ومراجعه، وفهارسه...، وتباعد الأسطر: مفرَداً.
- مقاس خط متن البحث: (١٦) غير مُسْوَدّ.
- مقاس خط العناوين الرئيسة: (٢٠) مُسْوَدّاً.
- مقاس خط العناوين الفرعيّة: (١٨) مُسْوَدّاً.

- مقاس خط الحواشي السُفليّة: (١٢) غير مُسوَدٍّ، وتوضع أرقام الحواشي بين قوسين؛ هكذا: (١)، ولكل صفحة من البحث حاشيتها المستقلّة.
- تكتب الآيات القرآنيَّة بين قوسين مزهّرين؛ ببرنامج مصحف المدينة النبويَّة للنّشر الحاسوبي، بمقاس خط: (١٦) مُسْوَدًّا، وتوثق الآيات في السطر نفسه بحجم: (١٤) هكذا: [سورة البقرة: ٣٠].
- تكتب الأحاديث النبويَّة والآثار بين قوسين؛ هكذا: « ... »، بمقاس خط متن البحث نفسه ومُسَوَّدَة.
- التوثيقات في حواشي البحث مختصرة هكذا: (اسم الكتاب، اسم المؤلف أو اسم الشهرة، مسوَدًّا، ويوضع الجزء والصفحة)، وتكون التوثيقات كاملة في قائمة المصادر والمراجع، (اسم الكتاب مسودا، اسم المؤلف، اسم المحقق إن وجد، دار النشر مثلا: الرياض: دار السلام، ط٤، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٥م). ومرتبة ترتيباً هجائياً بحسب عناوين الكتب؛ مُسَوَّدَة.
- الالتزام بمنهجية علميّة موحدة في بقيّة التوثيقات وقائمة المراجع وغيرها.
- يقدِّم الباحث نسختين من بحثه:

  - نسخة إلكترونية بصيغة وورد (word).
  - ونسخة أخرى مصورة بصيغة (pdf)، وترسل على بريد المجلَّة الإلكتروني.

المحتويات

الموضـــــوع	الصفحة
كلمة المشرف العام	١٥
مقدمة التحرير	١٧
استنباط الوقوف النبوية في القرآن الكريم أ.د. حكمت بن بشير ياسين	٢١
الرسالة القرآنية الأولى (نزولها، معانيها، مقاصدها، وثمراتها) أ.د. أحمد بن محمد الشرقاوي	٣٥
قراءة النص القرآني من منظور الفلسفة التأريخية (عرض ونقد) د. زهر الفتى صالحين	٧٩
رسالة ابن بصخان في شرح باب وقف حمزة وهشام للإمام محمد بن أحمد ابن بصخان (ت : ٧٤٣ هـ) (دراسة و تحقيق) د. أحمد بن عبد الله سليماني	١١٣
الأحاديث الدالة على وجوب شهود جماعة المسجد للصلوات الخمس (جمعًا ودراسة) د. علي بن فهد بن عبد الله أبا بطين	١٧١
حديث « لن يفلح قوم ولو أمرهم إمرأة » (دراية ورواية) د. وائل بن فواز دخيل	٢٢٩

مجلة تعظيم الوحيين

افتتاحية العدد

مجلة تعظيم الوحيين

كلمة المشرف العام

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا وسيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فسعيًا من وقف تعظيم الوحيين في تحقيق أهم أهدافه من الارتقاء بالدراسات العلمية والتطبيقية في علوم الوحيين الكريمين وما يتعلق بهما، ونشرها وإفادة طلاب العلم والباحثين منها؛ فإنه يقدم مجلته العلميَّة المحكَّمة «**مجلة تعظيم الوحيين**»، وإنه ليسرني وزملائي الكرام أصحاب الفضيلة بهيئة تحرير المجلة تدشين هذا العدد الأوَّل، والذي اشتمل على بحوث تميَّزت بالأصالة والجدَّة والبحث العلمي الرصين، سائلين المولى سبحانه التوفيق والسداد.

كما يطيب لي أن أشيد بالجهود العلمية الكبيرة التي تميزت بها المجلات العلميَّة المحكَّمة سواء كانت تابعة للجامعات أو المراكز البحثية المختلفة، في المملكة العربية السعودية خاصة، وفي خارج المملكة عامة، وأرجو أن تكون مجلة تعظيم الوحيين ضمن هذه السلسلة المباركة، ونافذة علمية من نوافذ التحكيم والنشر العلمي الهادف بمواده في تطوير المعارف ومعالجة المشكلات، وترسيخ هدايات القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، والتواصل المفيد البنَّاء بين العلماء وطلاب العلم.

وإنها لفرصة مناسبة أن أدعو بدوري جميع المتخصصين والباحثين ليشاركوا ببحوثهم القيِّمة لتزدان بها مجلتهم الواعدة بإذن الله تعالى.

وبعد شكر الله تعالى وحمده، وبهذه المناسبة الكريمة أرفع أسمى عبارات الشكر والتقدير إلى مقام خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبد العزيز آل سعود - حفظه الله ورعاه- وإلى وليِّ عهده الأمين صاحب السمو الملكي الأمير محمد بن سلمان بن عبد العزيز آل سعود -حفظه الله ورعاه- على ما يقدمانه من جهود عظيمة في خدمة القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة تعليما ونشرا ودعوة وتحكيما، سدَّد الله خطاهما وأيَّدهما بنصره وتوفيقه.

كما يطيب لي أن أرفع عظيم شكري وتقديري لصاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن سلمان بن عبد العزيز آل سعود أمير منطقة المدينة المنورة ونائبه الكريم صاحب السمو الملكي الأمير سعود بن خالد الفيصل آل سعود -حفظهما الله ورعاهما-على جهودهم الكبيرة في العناية والرعاية بكل ما من شأنه خدمة العلم والعلماء في بلد الرسول الكريم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعلى دعمهم المتواصل لوقف تعظيم الوحيين، جعل الله ذلك في موازين حسناتهم وزادهم توفيقًا وسداداً.

وختاما، أقدِّم جزيل الشكر وعظيم التقدير لأصحاب الفضيلة والسعادة من هيئة تحرير المجلة رئيسا ومديرا وأعضاء، وللهيئة الاستشارية للمجلة على ما قدموه ويقدمون من بذلٍ كريم وعملٍ حثيث في تحرير المجلة والارتقاء بها وتطويرها. فجزاهم الله خير الجزاء.

والله ولي التوفيق.

المشرف العام على وقف تعظيم الوحيين

أ.د/ عماد بن زهير حافظ

مُقدِّمَةُ التَّحرِيرِ

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد:

فيسرُّ «**وقف تعظيم الوحيين**» إصدار العدد الأول من «مجلة تعظيم الوحيين» لمواكبة النهضة العلمية في بناء صرح تعظيم القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، تلك النهضة التي تتصدر ريادتها المملكة العربية السعودية.

وقد نالت مؤسسات المدينة المنورة شرف المساهمة الفاعلة في بناء ذلك الصرح بمؤسساتها العلمية والخيرية ومنها: مؤسسة «**وقف تعظيم الوحيين**» حيث رسمت أهداف المجلة التي تتولى تحقيقها أسرة هيئة التحرير المكونة من نخبة متميزة من أصحاب الفضيلة الأساتذة الخبراء في ميدان البحث العلمي؛ لرفد طلاب العلم والمختصين بالدراسات القرآنية ودراسات السنة النبوية الشريفة، وفتح باب جديد لنشر بحوثهم ودراساتهم في مجلة محكَّمة تحمل في طياتها البحوث المبتكرة والتحقيقات المعتبَرة والمقالات المثمرة في تأصيل تعظيم القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، ونشر معالم هذا التعظيم بأسلوب يتناسب مع جميع فئات المجتمع؛ لتترجم تلك المعالم إلى واقع عملي يسهم في الارتقاء بجميع مناحي الحياة: الاقتصادية والاجتماعية والسياسية وغيرها؛ وفق المنظومة التي تنشدها حكومتنا الرشيدة لتحقيق مقاصد الشريعة الإسلامية في حفظ الدين والنفس والعرض والمال والعقل.

هذه المقاصد هي التي تجسد كيان صرح تعظيم القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

أسأل الله تعالى أن يوفق الجميع لذلك ولا سيما قد بشرنا سيدنا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقوله: «**ومن يتحرَّ الخير يعطه، ومن يتوقَّ الشرَّ يوقه**». [رواه الطبراني في الأوسط، وحسنه الألباني].

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

رئيس تحرير المجلة

أ.د/ حكمت بن بشير ياسين

مجلة تعظيم الوحيين

البحوث

مجلة تعظيم الوحيين

استنباط الوقوف النبوية في القرآن الكريم

«بحث افتتاح العدد»

أ.د/ حِكمَت بْن بشير يَاسِين

أستاذ التفسير وعلوم القرآن

بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

dr.hekmat@hotmail.com

مجلة تعظيم الوحيين

ملخص البحث

موضوع البحث:

علم الوقف والابتداء في القرآن الكريم.

هدف البحث:

١- التقعيد لعلم الوقف والابتداء في القرآن الكريم.

٢- معرفة منهاج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في تدبره للقرآن الكريم.

مشكلة البحث:

كيف تتعرف على الوقوف النبوية في القرآن الكريم؟

نتائج البحث:

١- وضع أساس التنظير لعلم الوقف والابتداء.

٢- معرفة جملة من الوقوف النبوية التي ثبتت عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٢- تفتح الدراسة آفاقًا للمفسرين في معرفة انتهاء المعنى والتوصُّل إلى القول الفيصل في الاختلاف في عود الضمائر، ونوع الواو، وهذا أيضا ينفع القرَّاء والمجوِّدين إذ يُسهِّل عليهم القراءة بتجديد فرص الوقوف في غير رؤوس الآي.

الكلمات الدَّالة (المفتاحية):

استنباط، الوقف والابتداء، القرآن الكريم، الأحاديث النبوية.

مجلة تعظيم الوحيين

المقدمة

إن علم الوقف والابتداء من العلوم المهمة التي اعتنى بها العلماء عناية فائقة في مؤلفاتهم وفي تجويدهم نظريـًا وتطبيقيـًا، وقد فاقت المؤلفات على الثلاثمائة[1]، قال الزركشي: «معرفة الوقف والابتداء: وهو فن جليل وبه يعرف كيف أداء القرآن، ويترتب على ذلك فوائد كثيرة، وقد جاء عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنهم كانوا يعلمون ما ينبغي أن يوقف عنده كما يتعلمون القرآن. وروي عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ﴾ [سورة النساء: ٨٣]، قال: فانقطع الكلام، واستأنس له ابن النحاس بقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للخطيب: «**بئس الخطيب أنت**»، حين قال: ومن يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعصهما ووقف[2]. قال: فقد كان ينبغي أن يصل كلامه فيقول: ومن يعصهما فقد غوى، أو يقف على ورسوله فقد رشد، فإذا كان مثل هذا مكروهـًا في الخطب ففي كلام الله أشدُّ»[3].

وقال الأشموني: «معناه الكف عن الفعل والقول، واصطلاحـًا: قطع الصوت آخر الكلمة زمناً ما، أو هو قطع الكلمة عما بعدها، والوقف والقطع والسكت بمعنى»[4].

وهذا العلم المبارك يفيد المفسرين والقرَّاء وأرباب الإعراب وكتَّاب المصاحف لضبط علامات الوقوف، فالمفسر بحاجة ماسَّة لمعرفة نهاية الجملة ذات المعنى، وأن يفرِّق بين واو العطف وواو الاستئناف، وكذلك القارئ بحاجة لمعرفة مواطن الوقف التام حتى يتقن ذلك ويجدد الفرص لأخذ النفَس ليتمكن من القراءة تحقيقـًا، وهكذا تتجلى أهمية التأصيل لهذا العلم الجليل الذي سطع نوره مبكراً عند تلاوة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ القرآن الكريم .

ولقد بزغ نور هذا العلم من خلال تلاوة القرآن الكريم على لسان النبي الحكيم محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منذ أن نزل قوله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾ [سورة العلق: ١-٥]، وكان يقرأ ذلك على الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؛ ليسمعوه ثم يكتبوه، وهكذا كلما نزلت الآيات فإنه يتلو ذلك على مسامع أصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

---

(١) ينظر: بيبلوغرافيا الوقف والابتداء، ضمن موسوعة بيبلوغرافيا علوم القرآن .

(٢) صحيح مسلم، كتاب: الجمعة، باب: تخفيف الصلاة والجمعة، رقم: (٤٨).

(٣) البرهان، (١/ ٣٤٢).

(٤) منار الهدى، (ص٨).

وكان يعرض القرآن سنويًا على جبريل عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ [١] لمزيد من الإتقان والضبط للقراءات والأحكام وبيان الناسخ والمنسوخ، وبعد هذا الإتقان والضبط كان يتلو ذلك على مسامع الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لاسيما في صلاة الفرض الجهرية التي بلغت قرابة ألوف الركعات الجهرية التي كان يقرأ بها السور الطوال والمفصل، ولا شك أن هذا العدد الكبير وغيره من الصلوات التي يجهر بها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في صلاة الجمعة والعيدين والكسوف تستغرق القراءات العشر المتواترة وغيرها مما نسخ ومما لم يبلغ درجة التواتر، كما يوضح مواطن الوقف ومواطن الاستئناف، فقد وردت عدة أحاديث شريفة وضحت لنا منهجه في الوقف والابتداء لكثير من الجمل والمقاطع والآيات القرآنية، ومن هذه الأحاديث العظيمة ما يلي:

عن أبي طلحة قال: قرأ رجل عند عمر، فغيَّر عليه، فقال: قرأتُ على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فلم يغيِّر عليَّ، قال: فاجتمعا عند النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: فقرأ الرجل على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال له: «**قد أحسنت**» قال: فكأن عمر وجد من ذلك، فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يا عمر، إن القرآن كله صواب مالم يجعل عذابا مغفرة أو مغفرة عذابًا**»[٢].

قال السندي في شرح المسند قوله: «**مالم يجعل عذابا مغفرة**» بأن يقول بعد ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ﴾ أو بالعكس[٣].

وأخرجه الإمام أحمد من حديث أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بلفظ: «**اقرأه على سبعة أحرف كلها كاف شاف ما لم تختم آية عذاب بآية رحمة وآية رحمة بآية عذاب**»[٤].

قال السندي: «ما لم تختم، أي: لابد من مراعاة المناسبة بين رؤوس الآي ومضامينها، مع جواز ختمها بأسماء الله تعالى على وجه لا يخل بالمناسبة» [٥].

وأخرجه النحاس من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بلفظ: «**إن هذا القرآن أُنزل على سبعة أحرف اقرؤوا ولا حرج، ولكن لا تختموا ذكر رحمة بعذاب، ولا تختموا ذكر عذاب برحمة**» [٦].

---

(١) ينظر: صحيح البخاري، كتاب: فضائل القرآن، باب: كان جبريل يعرض القرآن على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. حديث رقم:(٤٩٩٧).

(٢) المسند، (٢٦/ ٢٨٥) (ح١٦٣٦٦) حسّنه شعيب الأرناؤوط.

(٣) المسند، (٢٦/ ٢٨٧) ح (١٦٣٦٧) طبعة التركي.

(٤) المسند(٣٤/ ١٤٧) (ح٢٠٥١٤) قال محققوه: صحيح لغيره. وحسّنه الحافظ ابن كثير (١/ ٢٢) طبعه الأثري وصححه.

(٥) المصدر السابق، راجع شرح مشكل الآثار (٨/ ١٠٨)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة(٢/ ٣٤٢)

(٦) السنن الصغرى للبيهقي، باب ما جاء في قوله: (أنزل القرآن) (١/ ٣٢٥).

ثم قال النحاس: «هذا تعليم التمام من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأنه ينبغي أن يقطع على الآية التي فيها ذكر الجنة والثواب، ويفصل مما بعدها إن كان بعدها ذكر النار والعقاب، نحو: ﴿يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ﴾ [سورة الشورى آية ٨]، لا ينبغي أن يقول ﴿وَٱلظَّٰلِمُونَ﴾؛ لأنه منقطع مما قبله منصوب بإضمار فعل، أي: ويعذب الظالمين، أو وأوعد الظالمين»[(١)].

قال الحافظ أبو عمرو الداني: «فهذا تعليم التمام من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن جبريل عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إذ ظاهره دل على أنه ينبغي أن يُقطع على الآية التي فيها ذكر النار والعقاب، وتُفصل مما بعدها إن كان بعدها إذا كان بعدها ذكر الجنة والثواب، وكذلك يلزم أن يُقطع على الآية التي فيها ذكر الجنة والثواب، وتُفصل مما بعدها أيضًا إذا كان بعدها ذكر النار والعقاب، وذلك نحو قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ هنا الوقف، ولا يجوز أن يوصل ذلك بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ ويقطع على ذلك وتختم به الآية. ومثله: ﴿يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ﴾ هنا الوقف، ولا يجوز أن يوصل بقوله: ﴿وَٱلظَّٰلِمُونَ﴾ ويقطع على ذلك»[(٢)]...

وهذا هو منهج الإمام نافع بن أبي نعيم القارئ في كتابه: «وقف التمام»، وقد أفاد منه النحاس[(٣)]. وذكر ابن الجزري: أن مذهب نافع في الوقف بحسب المعنى[(٤)].

وكما قرَّر النَّحاس والداني بأنه ينبغي أن يقطع على الآية التي فيها ذكر الجنة والثواب ويفصل مما بعدها، وهذا قد صح من فعل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقد أخرج الإمام مسلم من حديث حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا مر بآية فيها ذكر الجنة سأل، وإذا مر بآية فيها ذكر النار تعوذ، وكان إذا مر بآية فيها تنزيه سبح[(٥)].

وهذا الحديث يستنبط منه أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقف عند مقطع الآية ثم يدعو الله تعالى فعند ذكر الجنة يسأل الله الجنة، ومن أدعيته في سؤاله الجنة: ثبت عنه أنه كان يدعو بقوله: «**اللهم إني أسألك الفردوس الأعلى**»، أو يقول: «**اللهم إني أسألك الجنة وما قرب إليها من قول أو عمل**»، وكذلك من

---

(١) القطع والائتناف (ص٨٩).

(٢) المكتفى (ص١٣١).

(٣) ينظر: القطع والائتناف – المقدمة، (ص ٧٥).

(٤) النشر (١/ ٢٣٨).

(٥) صحيح مسلم، كتاب: صلاة المسافرين، باب: استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل، رقم: (٢٠٣)، (٢/ ١٨٧) .

أدعيته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في التعوذ من النار قوله: «**اللهم إني أعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول أو عمل**» [(١)]، كما صح عنه في قراءته لقول الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾ [سورة الأنعام: ٦٥]، كان يقول: «**أعوذ بوجهك**» ﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ [سورة الأنعام: ٦٥]، كان يقول: «**أعوذ بوجهك**» [(٢)]، وهذا نص صريح على الوقف ثم الدعاء في وسط الآية .

ويستنبط أيضاً الفترة الزمنية للوقف، وذلك من خلال الفترة التي يستغرقها الدعاء وهو مقدار بضع ثوان .

وهذا الاستنباط مؤيد من حديث أبي داود، فقد رواه بسند صحيح عن عوف بن مالك الأشجعي قال: «قمت مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليلة فقام فقرأ سورة البقرة، لا يمر بآية رحمة إلا وقف فسأل، ولا يمر بآية عذاب إلا وقف فتعوذ» [(٣)].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان إذا قرأ: ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ﴾ قال: «**بلى**». وإذا قرأ: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾ قال: «**بلى**» [(٤)].

وأخرج أبو داود بسند صحيح عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا كان إذا قرأ: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ قال: «**سبحان ربي الأعلى**» [(٥)].

قال المناوي: «قوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ﴾ قال: «**بلى**»، وإذا قرأ: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾ قال: «**بلى**»؛ لأنه قول بمنزلة السؤال فيحتاج إلى الجواب، ومن حق الخطاب ألا يترك المخاطب جوابه؛ فيكون السامع بمثابة الغافل، أو كمن لا يسمع إلا دعاء ونداء من الناعق به، ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾، فهذه هبة سنية ومن ثم ندبوا لمن مرَّ بآية رحمة أن يسأل الله الرحمة،

---

(١) سنن ابن ماجه:(٢/ ١٢٦٤)، رقم:(٣٨٤٦)، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (٢/ ٣٢٧،)حديث رقم: (٣١٠٢) .

(٢) صحيح البخاري: كتاب: التفسير، باب: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾، رقم: (٤٦٢٨). (٦/ ٥٦)

(٣) سنن أبي داود- كتاب تفريع أبواب الركوع والسجود- باب وضع اليدين على الركبتين، وصححه الألباني صحيح سنن أبي داود (ح٧٧٦).

(٤) أخرجه الترمذي (٥/ ٢٨٢) باب ومن سورة التين، وأبو داود (١/ ٣٣١) باب مقدار الركوع والسجود. وصححه السيوطي ونقل تصحيح الحاكم وإقرار الذهبي. ينظر فيض القدير (٥/ ١٥٦)، والمستدرك (٣/ ٣٩٥)، رقم:(٣٨٨٢).

(٥) سنن أبي داود- كتاب تفريع أبواب الركوع والسجود- باب الدعاء في الصلاة، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح٧٨٦). وفي مسند أحمد (١/ ٢٣٢)، وسنن البيهقي (٢/ ٣١٠)، باب الوقوف عند آية الرحمة وآية العذاب وآية التسبيح.

أو عذاب أن يتعوذ من النار، أو بذكر الجنة بأن يرغب إلى الله فيها، أو النار أن يستعيذ منها، وقال المناوي أيضاً: كان إذا قرأ ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ أي سورتها قال: «**سبحان ربي الأعلى**» لما سمعته فيما قبله، وأخذ من ذلك أن القارئ أو السامع كلما مر بآية تنزيه أن ينزه الله تعالى، أو تحميد أن يحمده، أو تكبير أن يكبره، وقس عليه، ومن ثم كان بعض السلف يتعلق قلبه بأول آية فيقف عندها فيشغله أولها عن ذكر ما بعدها»[(١)].

وقد اختلف الأئمة العلماء في العمل بحديث حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، هل يكون في صلاة الفرض والنافلة؟ أم في النافلة فقط؟

فذهب النووي والعراقي إلى الاستحباب عامة[(٢)]، وهو مذهب الإمام الشافعي.

وذهب الكاساني[(٣)] إلى العمل به في صلاة النافلة فقط، وهو مذهب الإمام أبي حنيفة.

وقد ورد عن الإمام أحمد الوجهان، كما نصّ على ذلك ابن الجوزي[(٤)].

وقد رجّح ابن قدامة أنّ ذلك في النافلة فقط، وعلل بأنه لم يُنقل عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في فريضة مع كثرة من وصف قراءته فيها[(٥)].

وقد ذكر الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ في فوائد حديث حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أنه ينبغي للإنسان في صلاة الليل إذا مر بآية رحمة أن يقف ويسأل، مثل لو مر بذكر الجنة يقف ويقول: اللهم اجعلني من أهلها، اللهم إني أسألك الجنة، وإذا مر بوعيد يقف، يقول: أعوذ بالله من ذلك، أعوذ بالله من النار، وإذا مر بآية تسبيح، يعني تعظيم لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ يقف ويسبح الله ويعظمه؛ هذا في صلاة الليل، أما صلاة الفريضة فلا بأس أن يفعل هذا، ولكنه ليس بسنة، إن فعله فإنه لا ينهى عنه، وإن تركه فإنه لا يؤمر به، بخلاف صلاة الليل، فإن الأفضل أن يفعل ذلك، أي يتعوذ عند آية الوعيد، ويسأل، عند آية الرحمة، ويسبح عند آية التسبيح»[(٦)].

---

(١) ينظر: فيض القدير (٥/ ١٥٦).

(٢) شرح صحيح مسلم (٦/ ٦٢). وطرح التثريب (٣/ ١١٢).

(٣) بدائع الصنائع(١/ ٢٣٥).

(٤) كشف المشكل (١/ ٣٩٥).

(٥) المغني(١/ ٣٩٤).

(٦) شرح رياض الصالحين(٢/ ٤).

كما نص الشافعية، ومنهم النووي والعراقي أنّ العمل بهذا في الصلاة وخارج الصلاة، وبه قال الإمام الشوكاني[١].

وهذا الأمر الذي ننشده لتحقيق التدبر عند تلاوة القرآن الكريم في خارج الصلاة.

وقول المناوي: «وقسْ عليه» أي: أنه على القارئ في كل آية فيها تنزيه ينزه الله بالتسبيح، وفي كل آية فيها التحميد أن يحمده سبحانه، في كل آية فيها التكبير أن يكبره سبحانه.

وقد ذكر علماء الوقف والابتداء بعض ضوابط الوقف في علم الوقف والابتداء ومن نافلة البحث ذكرها وهي كما يلي:

لا يوقف على المضاف دون المضاف إليه، ولا على المنعوت دون نعته، ولا على الشرط دون جوابه، سواء كان الجواب مقدماً أو مؤخراً، ولا على الرفع دون رفعه، ولا على الناصب دون منصوبه، ولا على المؤكد دون توكيده، ولا على المعطوف عليه دون المعطوف، ولا على المبدل دون البدل، ولا على (أن، أو كان، أو ظن)، أو أخواتهن دون اسمهن، ولا على اسمهن دون خبرهن، ولا على المستثنى منه دون المستثنى؛ ولكن إن كان الاستثناء منقطعاً فيه خلاف: المنع مطلقاً لاحتياجه إلى ما قبله لفظاً، والجواز مطلقاً؛ لأنه في معنى مبتدأ حذف خبره للدلالة على الموصول دون صلته، ولا على الفعل دون مصدره، ولا على حرف دون متعلقه، ولا على صاحب الحال دون الحال، ولا على المبتدأ دون خبره، ولا على المميز دون مميزه، ولا على القسم دون جوابه، ولا على القول القول دون مقوله[٢].

(١) نيل الأوطار (٢٩/ ٢٦٦).

(٢) إيضاح الوقف والابتداء (١/ ٤٢١)، ومنار الهدى (ص١٧).

التطبيقات المستنبطة من الأحاديث الشريفة السابقة

١- في الآية (١٧٣) من سورة النساء في قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضۡلِهِۦ ﴾وقف عند ثواب المؤمنين، ثم استئناف لعقاب الفاسقين. ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡتَنكَفُواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ فَيُعَذِّبُهُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ﴾ .

٢- في الآية (٩٨) من سورة المائدة في قوله تعالى: ﴿ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴾. وقف عند العقاب، ثم استئناف عند المغفرة.﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ .

٣- في الآية (٧٢) من سورة الأعراف في قوله تعالى:﴿ فَأَنجَيۡنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا ﴾ وقف عند الرحمة، ثم استئناف عند العذاب. ﴿وَقَطَعۡنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۖ وَمَا كَانُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴾ .

٤- في الآية (٤) من سورة يونس في قوله تعالى: ﴿لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلۡقِسۡطِۚ ﴾. وقف عند جزاء المؤمنين، ثم استئناف عند جزاء الكافرين.﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ شَرَابٞ مِّنۡ حَمِيمٖ وَعَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡفُرُونَ ﴾.

٥- في الآية (١١٠) من سورة يوسف في قوله تعالى:﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُۖ ﴾ وقف عند نصر الرسل، ثم استئناف عند عقوبة المجرمين ﴿وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُنَا عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾.

٦- في الآية (٦) من سورة الرعد في قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغۡفِرَةٖ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلۡمِهِمۡۖ ﴾. وقف عند المغفرة للناس، ثم استئناف عند العقوبة.﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴾ .

٧- في الآية (١٨) من سورة الرعد في قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ ﴾. وقف عند المستجيبين لربهم، ثم استئناف عند عذاب الذين لم يستجيبوا لربهم. ﴿وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَهُۥ لَوۡ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفۡتَدَوۡاْ بِهِۦٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ سُوٓءُ ٱلۡحِسَابِ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ﴾ .

٨- في الآية (٣٥) من سورة الرعد في قوله تعالى: ﴿تِلۡكَ عُقۡبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْۖ ﴾ وقف عند عاقبة المتقين، ثم استئناف عاقبة الكافرين. ﴿وَّعُقۡبَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ﴾.

٩- في الآية (٧٣) من سورة الأحزاب في قوله تعالى: ﴿ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ﴾ وقف عند عذاب المنافقين والمشركين، ثم استئناف بذكر التوبة على المؤمنين. ﴿وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ .

١٠- في الآية (٧) من سورة فاطر في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴾ ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ وقف عند عذاب الكفار واستئناف بذكر المغفرة والأجر للمؤمنين.

١١- في الآية (٤٠) من سورة غافر في قوله تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ ﴾ وقف عند ذكر العقاب، ثم استئناف ذكر الثواب. ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾.

١٢- في الآية (٤٦) من سورة فصلت في قوله تعالى: ﴿ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ﴾ وقف عند ذكر الثواب، ثم استئناف ذكر العقاب ﴿وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ﴾.

١٣- في الآية (٢٢) من سورة الشورى في قوله تعالى: ﴿ تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا۟ وَهُوَ وَاقِعٌۢ بِهِمْ ۗ ﴾ وقف عند ذكر عقاب الظالمين، ثم استئناف ذكر ثواب المؤمنين. ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى رَوْضَاتِ ٱلْجَنَّاتِ ﴾ .

١٤- في الآية (١٦) من سورة الفتح في قوله تعالى: ﴿فَإِن تُطِيعُوا۟ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ۖ ﴾ وقف عند ذكر أجر المطيعين، ثم استئناف عند ذكر عقاب الكافرين. ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ .

١٥- في الآية (١٧) من سورة الفتح في قوله تعالى: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ ﴾ وقف عند ذكر أجر المطيعين، ثم استئناف عند ذكر عقاب الكافرين. ﴿وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ .

١٦- في الآية (٣١) من سورة النجم في قوله تعالى: ﴿لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ ﴾ وقف عند ذكر جزاء الفاسقين، ثم استئناف ذكر جزاء المؤمنين ﴿وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴾ .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

المصادر والمراجع

١. **إيضاح الوقف والابتداء**، للأنباري، دار الحديث،القاهرة، ١٤٢٨هـ.

٢. **بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع**، للإمام الكاساني ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الثانية.

٣. **البرهان في علوم القرآن**، لبرهان الدين الزركشي، دار عالم الكتب، الرياض، ط١، ١٤٢٤هـ.

٤. **سنن ابن ماجة**، للإمام ابن ماجة، دار السلام ، الرياض، ط١، ١٤٢٠هـ.

٥. **السلسلة الصحيحة**، للشيخ الألباني، المكتب الإسلامي، دمشق، ط٢، ١٣٩٩هـ.

٦. **سنن أبي داود**، ، للإمام أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي، مراجعة وضبط وتعليق محمد محيي الدين بن عبد الحميد ، المكتبة الإسلامية ، تركيا ، اسطنبول.

٧. **سنن الترمذي**، تحقيق أحمد محمد شاكر، لبنان، دار إحياء التراث العربي.

٨. **السنن الكبرى**، للإمام البيهقي ومعه الجوهر النقي ، للعلامة المارديني ، تحقيق عبد القادر عطا ، طبعة دار الفكر .

٩. **شرح رياض الصالحين**، للشيخ ابن العثيمين ، دار الوطن للنشر ، الرياض ، ط١٤٢٦هـ.

١٠. **شرح صحيح مسلم** ، للإمام النووي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت.

١١. **صحيح البخاري** ، تحقيق مصطفى البغا ، دار ابن كثير ، بيروت ، ط٣ .

١٢. **صحيح سنن أبي داود باختصار السند**، للشيخ الألباني، نشر مكتب التربية العربي، ط(١)، ١٤٠٩هـ.

١٣. **صحيح سنن ابن ماجه باختصار السند**، للشيخ الألباني، نشر مكتب التربية العربي لدول الخليج، ط٣، ١٤٠٨هـ .

١٤. **صحيح مسلم**، للإمام مسلم بن الحجاجالقشيري، دار السلام، الرياض، ط١، ١٤١٩هـ.

١٥. **طرح التثريب** ، للإمام العراقي، الطبعة المصرية القديمة.

١٦. **فيض القدير شرح الجامع الصغير**، للمناوي، دار المعرفة، بيروت، سنة ١٣٩١هـ.

١٧. **القطع والائتناف** ، لأبي جعفر النحاس ، تحقيق الدكتور أحمد خطاب العمر ، مطبعة العاني ، الطبعة الأولى ، نشر وزارة الأوقاف ، بغداد .

١٨. **كشف المشكل من حديث الصحيحين** ، للإمام ابن الجوزي ، تحقيق علي حسين البواب ، دار الوطن ، الرياض.

١٩. **المستدرك على الصحيحين**، للحافظ الحاكم، وبذيله التلخيص، للحافظ الذهبي صورة عن الطبعة الهندية.

٢٠. **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، وبهامشه منتخب كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال دار صادر، بيروت، ونسخة بتحقيق شعيب الأرناؤوط ومجموعة من العلماء، إشراف معالي الأستاذ الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي .

٢١. **مشكل الآثار** ، الطحاوي ، ت ٣٢١ هـ ، مطبعة دار صادر ، بيروت مصورة من النسخة الهندية ، الطبعة الأولى ، ١٣٣٣ هـ .

٢٢. **المغني**، للإمام ابن قدامة ، مكتبة القاهرة.

٢٣. **منار الهدى في بيان الوقف والابتداء**، للأشمولي، دار الإمام الشاطبي، القاهرة، ط١، ١٤٣١هـ

٢٤. **المكتفى في الوقف والابتدا (هكذا بدون همزة)**، لأبي عمرو الداني، دار الصحابة بطنطا

٢٥. **النشر في القراءات العشر**، لابن الجزري ، مراجعة علي محمد الضباع ، دار الفكر ، لبنان .

٢٦. **نيل الأوطار** ، الشوكاني ، تحقيق عصام الدين الصبابطي ، دار الحديث، مصر.

الرسالة القرآنية الأولى

(نزولها، معانيها، مقاصدها، وثمراتها)

أ.د/ أحمد بن محمد الشرقاوي

أستاذ التفسير وعلوم القرآن بجامعة الأزهر بمصر

sharkawe2000@yahoo.com

مجلة تعظيم الوحيين

ملخص البحث

موضوع البحث:

دراسة أَوَّلِ رسالةٍ قرآنيةٍ تُؤْذِنُ بأنها دعوةٌ عالميةٌ، وأنها أَوَّلُ رسالةٍ قرآنيةٍ تضعُ اللبناتِ الأولى في صرحِ حضارةٍ إنسانيةٍ راشدة، وهي الآيات الخمس الأولى من سورة العلق، ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ٥﴾ [سورة العلق: ١ – ٥].

هدف البحث:

النظر في الخمس الآيات الأولى من سورة العلق؛ لكونها أوّل ما نزل، ولكونها أول رسالة قرآنية استهلَّ الله بها آخر كتبه.

مشكلة البحث:

ما الحكمة في كون هذه الآيات الخمس أوّل ما نزل من القرآن؟

نتائج البحث:

١ – أشادت الآيات الأولى بفضل العلم والقراءة والكتابة.

٢ – كانت الآياتُ الأولى بداية مرحلةٍ جديدة في تاريخ الإنسانية عامّة، إذ كانت منطلقًا لحضارة رائدةٍ.

الكلمات الدَّالة (المفتاحية):

علق – نزول – القرآن – اقرأ.

مجلة تعظيم الوحيين

المقدمة

الحمد لله ولي النعم، عظيم الكرم، وأشهد أن لا إله إلا الله، أوجدنا من العدَم، وأنزل إلينا الكتاب مفصَّلا بروائع البيان ولطائف الحِكَم، وأشهد أن محمدا رسول الله، أرسله ربُّه بجوامع الكلم، نذيرا وهاديا للعُرْبِ والعَجَم، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أولي البصائرِ والهِمَم، الذين ارتقوا بالإسلام إلى ذُرَى القِمم؛ وصاروا بهداية القرآن من رعاة للغنم، إلى قادةٍ وسُراةٍ للشعوب والأمم.

ثم أما بعد: فإن المتأمل في أول ما نزل من القرآن يدرك عظمتَه لأول وهلة، ويتذوق حلاوته من أول نهلة، ويقف من البداية، على ألوانٍ من البيان، بلغت الغاية، قال تعالى ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ۝٥﴾ [سورة العلق:١- ٥].

وسيدرك المتدبّرُ كيف جاءت أولى بواكيره بتلك الرسالة الجامعة، وما تحمله من روعة الاستفتاح، وبلاغة الاستهلال، في خمس آيات جعلت ورقة بن نوفل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يشهد بعلمه الراسخ وإيمانه الصادق أنه وحي الله المنزّل، فكلام الله يشبه بعضه بعضا ويصدق بعضه بعضا، فقد خرج من مشكاة واحدة.

كذلك سيدركُ كيف حملت هذه الآيات الخمس خصائص القرآن، وشهدت بعالمية دعوته، وسمو مقاصده وشمول خطابه وربانيَّته، فكانت كافيةً لهداية ورقة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وإيمانه بنبوة من نزلت عليه، بل أعلن تأييده التامَّ له ونصرته، وتمنى لو عادت له قواه وطال به العمر، لكان خيرَ مناصر لنبي الله حين تحدق به المخاطر ويكيد له الأعداء، فيجبرونه على مفارقة بلدِهِ التي حرّمها الله.

نزل صدر سورة العلق على قلب نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو يتعبّد في غار حراء، لم يصادفْه الوحيُ وهو في بيته مستريحًا متوسِّدا، لم يوافه وهو في غفلة وذهول، أو في مسامرةٍ ومنادمةٍ، بل كان اللقاءُ التاريخيُّ الأول وهو في خلوته يتعبَّد ربَّه، ويتفكّرُ في سمائه ونجومه [1]، فتمَّ اللقاءُ، في سكونِ الليل وهدأتِه، وفي ساعة صفاءٍ وتأمُّل.

نزلت الآيات الخمس لتكون أولَ عهدِه بالسماء، فكانت أول صفحة في سجلِّ التاريخ الإسلامي، صفحةً حافلةً بالمآثر والمحاسن، أول إشراقةٍ لهذا الدين الذي حمل سلاما للبشرية، ونورا يضيء

(١) قال أبو سليمان الخطَّابي رَحِمَهُ اللَّهُ: حُبِّبت العزلة إليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأن معها فراغ القلب، وهي معينة على التفكر، وبها ينقطع عن مألوفات البشر، ويتخشع قلبه. والله أعلم. شرح النووي على مسلم، (١ / ٢٨٧).

طريقها، كانت صدر سورة العلق تخليدًا لأولِ لقاء، زانها ما صاحبها من روعة المشهد، وجلال الموقف، وهيبة المفاجأة، التي لم تخطر لنبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ببال، حين فاجأهُ أمينُ الوحي جبريل عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فضمّه ثلاث ضمَّات، كأنها ضمّة مشتاق لحبيبٍ طال انتظارُه.

لقاء حارّ بين معلِّمٍ ومتعلِّم، يأمره بأن يتهيأ لخطبٍ جليلٍ، وأمرٍ عظيمٍ، بقراءة أول درسٍ إلهيٍّ، فيزدادُ الحبيبُ دهشةً، ويهتاج تشوُّقا إلى معرفة المقصود، ويجيب بصدقه المعهود: ما أنا بقارئ! [(١)] حتى يقرأ عليه جبريل بعد الضمة الثالثة ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾ [سورة العلق: ١ – ٥].

وإلى هنا ينتهي الدرسُ الأول، فينطلقُ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى بيتِه ويلوذُ بزوجته الحنون أمِّنا خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، ترتجف بوادره من هول ما رأى، قائلا: زملوني زملوني! فتستقبله استقبال الأمِّ الرؤوم، وتغمره بحبها وودّها المعهود، وتغطِّيه حتى يشعر بالدفء والأمان، فيهمس قائلا: لقد خشيتُ على نفسي! فتجيب بلسان الحزم وروح اليقين: «كلا والله لا يخزيك الله أبدا... ».

من هنا تتجلّى أهمية الوقوف عند هذه الآيات الخمس، واستخلاص مقاصدها وتدبُّر معانيها، وجمع الدرر المتناثرة في كتب التفسير وعلوم القرآن حول لطائف بيانها.

وبناء على طبيعة البحث العلمي أجمل فيما يلي أسباب اختيار الموضوع ومشكلة البحث وأهدافه والدراسات السابقة:

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

١. ترجع أهمية الموضوع لتعلقه بأول ما نزل من القرآن فهو وثيق الصلة بتاريخ نزول القرآن.

٢. أن هذا الحدث من أعظم الأحداث في تاريخ الإنسانية؛ بما صاحبَه وما وافقه وما ترتّب عليه، فهو أول لقاءٍ بين نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبين جبريل عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، إنه بداية عهد جديد في تاريخ الإنسانية، وبزوغ فجر جديد من رحم ظلام الفترة التي انقطعت فيها النبوات واندرست الرسالات، حتى عمَّ الجهل وسادت مساوئ الأخلاق وشاعت مرذول العادات، إنه بداية

(١) رواه البخاري في صحيحه عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كتاب: بدء الوحي- باب: كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (١/ ٥) الحديث رقم: (٣) – ورواه مسلم في صحيحه – عنها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كتاب الإيمان – باب بدء الوحي إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (١/ ١٣٩)– الحديث رقم ٢٥٢: (١٦٠) وقوله: بوادره: اللَّحمة بين المنكِب والعُنُق . جَذَعًا يعني شابا قويا حتى أبالغ في نصرتك.

ميلاد جديد للإنسانية تحيا وفق منهج الله الشامل وهدايته التي تستوعب جميع جوانب الحياة، ونوره الذي يضيء كل دربٍ، إنه بداية التأريخ للقرآن المجيد، وأول صفحة في سجلّ الدعوة الإسلامية، إنه أول قطرة من قطرات الغيث المدرار، الذي أنبت في صحراء العرب القاحلة غَرْسَا طيِّبا بهيجًا، وجيلا صالحا ربَّانيا، سعدت به الدنيا وملأ ربوع الكون عدلا ورحمة.

٣. عناية العلماء بالنظر في هذه الآيات، كونها أول ما نزل، قال ابن كثير: «فأول شيء نزل من القرآن هذه الآيات الكريمات المباركات وهن أول رحمة رحم الله بها العباد، وأول نعمة أنعم الله بها عليهم [١]، وقال عنها الشنقيطي: «لما كانت هذه السورة هي أول سورة نزلت من القرآن، وكانت تلك الآيات الخمس أول ما نزل منها على الصحيح، فهي بحق افتتاحية الوحي، فكانت موضع عناية المفسرين وغيرهم».[٢]

٤. حاجة الإنسانية إلى معرفة أول رسالة قرآنية استهلّ الله بها آخر كتبه، والوقوف على دقائق معانيها ولطائف بيانها. أَوَّلُ رسالةٍ قرآنيةٍ يتودَّدُ الله فيها لعباده، ويُعرِّفُهم بنفسِه، فهو ربُّنا ومليكُنا، خالقُنا ورازقُنا، ومدبِّرُ أمورِنا، على وجهِ العنايةِ والحفظِ . أَوَّلُ رسالةٍ قرآنيةٍ تُؤْذِنُ بأنه دعوةٌ عالميةٌ، تحملُ مشاعلَ النورِ، وتفتَحُ روافدَ الخيرِ، وتفجِّرُ ينابيعَ الرحمةِ للإنسانيةِ. أَوَّلُ رسالةٍ قرآنيةٍ تضعُ اللبناتِ الأولى في بناء صرحِ حضارةٍ إنسانيةٍ رائدةٍ راشدة. أَوَّلُ رسالةٍ قرآنيةٍ تضعُ لنا منهجًا رصينًا لتلقي العلومِ وتأصيلها، وتطبيقِها .

الدراسات السابقة:

بعد بحثٍ واستقصاء لم أجد من خصَّها بالكتابة إلا بحثا منشورا على بعض المواقع بعنوان **التمكين للدعوة في ضوء الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة** تفسير سورة العلق، إعداد: أبي عبد الرحمن السلفي المقدسي، هشام بن فهمي بن موسى العارف صفر ١٤٢٤، ١٤ صفحة، وما أراه إلا تفسيرا تحليليا للسورة كلها، أما عنوان البحث فلم يلتزم به الباحث. وكتب الأستاذ جودت سعيد كتابا بعنوان: (اقرأ وربك الأكرم)، طبعته دار الفكر بدمشق، كذلك كتب الشيخ عائض القرني كتابا بعنوان: (اقرأ باسم ربك الذي خلق)، طبعته دار ابن حزم بيروت ١٤٢١هـ والكتابان لم يُعنيا بدراسة الآيات الخمس

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٨/ ٤٣٧).

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الشنقيطي، (٩/ ١٤).

دراسة متأنية وافية، بل كان الكلام عن العلم وآدابه وقضاياه، مع وقفاتٍ عابرةٍ وجيزةٍ، عند هذه الآيات لبيان معانيها واستخلاص مقاصدها.

خطة البحث:

يتكون هذا البحث من مقدمة، وأربعة مباحث، وخاتمة:

المقدمة: نبذة عن موضوع البحث، أهميته، أسباب اختياره، والدراسات السابقة، ومكونات البحث ومنهجه .

المبحث الأول: نزولها .

المبحث الثاني: مقاصدها ومعانيها.

المبحث الثالث: ثمراتها.

المبحث الرابع: مكانة الوحي.

الخاتمة: خلاصة البحث ونتائجه وتوصياته.

منهج البحث:

- تدبرتُ هذه الآيات كثيرا، لأقتبس من هداياتها وأستخلص من دقائق معانيها وألحظ روائعَ بيانها، وأستنبط مقاصدها.
- اطلعتُ على ما كتبه كثير من المفسرين، فاستفدت كثيرا، وانتخبت ما رأيته مناسبا للبحث.
- اطلعت على غير ذلك من مراجع معنيًّا بما له صلة بهذه الآيات، فتخيّرت فوائد وانتخبت لطائف ونكاتٍ سأورد منها في هذا البحث.
- يجمع هذا البحث بين المنهج الموضوعي والتحليلي في التفسير، مع ربط الآيات بالواقع.
- مراعاة المنهجية العلمية في النقل والتوثيق والتخريج، والجمع والترجيح والتوجيه، وغير ذلك.

المبحث الأول: نزولها .

المطلب الأول: حديث بدء الوحي:

الآيات الخمس من أول سورة العلق باكورة ما نزل من القرآن الكريم، قال البغوي في قوله تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾: أكثر المفسرين على أن هذه أول سورة نزلت من القرآن.[1] وذلك لما ثبت في حديث أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: قَالَتْ: **كَانَ أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّادِقَةَ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لاَ يَرَى رُؤْيَا إِلاَّ جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلاَءُ، فَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ يَتَحَنَّثُ فِيهِ، (وَهُوَ التَّعَبُّدُ) اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ الْعَدَدِ قَبْلَ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى أَهْلِهِ . وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا، حَتَّى فَجِئَهُ الْحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ، فَجَاءَهُ الْمَلَكُ فَقَالَ: اقْرَأْ، قَالَ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ! قَالَ: فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ، قَالَ (قُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، قَالَ فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ثُمّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ، فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ۝٥﴾** [سورة العلق: ١ – ٥])، **فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَرْجُفُ بَوَادِرُهُ حَتَّى دَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ فَقَالَ: (زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي) فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ، ثُمّ قَالَ لِخَدِيجَةَ: (أَيْ خَدِيجَةُ! مَا لِي) وَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ، قَالَ: (لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي) قَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ: كَلاَّ أَبْشِرْ، فَوَاللَّهِ لاَ يُخْزِيكَ اللهُ أَبَدا، وَاللَّهِ إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ وَتَصْدُقُ الْحَدِيثَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ، فَانْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى، وَهُوَ ابْنُ عَمِّ خَدِيجَةَ، أَخِي أَبِيهَا، وَكَانَ امْرَأً تَنَصَّرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَكَانَ يَكْتُبُ الْكِتَابَ الْعَرَبِيَّ وَيَكْتُبُ مِنَ الإِنْجِيلِ بِالْعَرَبِيَّةِ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَكْتُبَ، وَكَانَ شَيْخا كَبِيرا قَدْ عَمِيَ، فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ: أَيْ ابْنَ عَمّ اسْمَعْ مِنِ ابْنِ أَخِيكَ، قَالَ وَرَقَةُ بْنُ نَوْفَلٍ: يَا ابْنَ أَخِي مَاذَا تَرَى؟ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَبَرَ مَا رَآهُ، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعا، يَا لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا حِينَ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (أَوَ مُخْرِجِيَّ هُمْ ؟) قَالَ وَرَقَةُ: نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطّ بِمَا جِئْتَ بِهِ إِلاّ عُودِيَ، وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ نَصْرا مُؤَزَّرًا**[2].

(١) معالم التنزيل، للبغوي، (٥/ ٢٧٩).

(٢) متفق عليه، سبق تخريج الحديث.

وقد يشكل على هذا ما أخرجه الشيخان عن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال: «سألت جابر بن **عبد الله** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **أي القرآن أنزل قبل؟ قال:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾ **فقلت: أو {اقْرَأْ} فقال جابر أحدثكم ما حدثنا رسولُ الله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(جَاوَرْتُ بِحِرَاءٍ شَهْرًا، فَلَمَّا قَضَيْتُ جِوَارِي نَزَلْتُ فَاسْتَبْطَنْتُ بَطْنَ الْوَادِي، فَنُودِيتُ فَنَظَرْتُ أَمَامِي وَخَلْفِي وَعَنْ يَمِينِي وَعَنْ شِمَالِي فَلَمْ أَرَ أَحَدًا، ثُمَّ نُودِيتُ فَنَظَرْتُ فَلَمْ أَرَ أَحَدًا، ثُمَّ نُودِيتُ فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا هُوَ عَلَى الْعَرْشِ فِي الْهَوَاءِ - يَعْنِي جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ - فَأَخَذَتْنِي رَجْفَةٌ شَدِيدَةٌ، فَأَتَيْتُ خَدِيجَةَ فَقُلْتُ دَثِّرُونِي. فَدَثَّرُونِي فَصَبُّوا عَلَيَّ مَاءً فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢﴾ [سورة المدثر: ١ - ٢]).[(١)]

لكن حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لا يتحدث عن الأولية على الإطلاق، بل عن أول ما نزل بعد فتور الوحي، وهو هذه الآيات من سورة المدثر، وهي أول ما نزل من القرآن يأمر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالإنذار. يدل على ذلك ما ثبت في الحديث نفسه عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن جابر بن عبد الله الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في حديثه السابق وفيه قوله:(... **فَإِذَا الْمَلَكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحِرَاءٍ**) .

قال ابن تيمية: « فإن أول ما أنزل من القرآن ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ عند جماهير العلماء ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾ رُوي ذلك عن جابر . والأول أصح . فإن ما في حديث عائشة الذي في الصحيحين يبين أن أول ما نزل ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾ نزلت عليه وهو في غار حراء وأن « المدثر « نزلت بعد . وهذا هو الذي ينبغي . فإن قوله { اقرأ } أمر بالقراءة لا بتبليغ الرسالة وبذلك صار نبيا ..[(٢)]

قال ابن عطية: «وهي مكية بإجماع. وهي أول ما نزل من كتاب الله تعالى، نزل صدرها في غار حراء، حسبما ثبت في صحيح البخاري وغيره.[(٣)] وقال ابن عادل الحنبلي: «قال أكثرُ المفسرين: هذه السورة أول ما نزل من القرآنِ...»[(٤)]

لقد تفاجأ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالوحي، لكن قلبه تعلق به إلى حدٍّ تشوقه للمزيد من رسائل القرآن، كما ينبئ عن ذلك ما رواه **الزُّهْرِيُّ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾ **قَالَ: فَتَرَ الْوَحْيُ عَنِ النَّبِيِّ**

(١) صحيح البخاري (١/ ٧)، ح ٤،كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي، وصحيح مسلم ك الايمان (١/ ١٣٩) باب بدء الوحي (١/ ١٤٣) ٢٥٥ - (١٦١)، وفضائل القرآن، للقاسم بن سلام، (ص: ٣٦٣)، وأسباب النزول، للواحدي، (ص: ١٢)، وأخبار مكة، للفاكهي، (٤/ ٦١) ٢٤٢٨، ورواه الإمام أحمد في مسنده (٢٢/ ٣٦٨) (ح١٤٤٨٣).

(٢) مجموع الفتاوى، لابن تيمية، (١٦/ ٢٥٤).

(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، (٥/ ٥٠١).

(٤) اللباب في علوم الكتاب، لابن عادل، (٢٠/ ٤١٣).

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **فَتْرَةً وَقَالَ: كَانَ أَوَّلُ شَيْءٍ أُنْزِلَ عَلَيْهِ** ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ **حَتَّى بَلَغَ** ﴿مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [سورة العلق: ٥] **فَلَمَّا فَتَرَ عَنْهُ الْوَحْيُ حَزِنَ حُزْنًا، حَتَّى جَعَلَ يَغْدُو مِرَارًا إِلَى رُءُوسِ شَوَاهِقِ الْجِبَالِ لِيَتَبَين خَلْفَهَا، وَكُلَّمَا أَوْفَى بِذِرْوَةِ**

قال ابن حجر: «وفتور الوحي عبارة عن تأخره مدة من الزمان، وكان ذلك ليذهب ما كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وجده من الرّوع، وليحصل له التشوّف إلى العود.»[(١)].

المطلب الثاني: من فوائد حديث بدء الوحي:

أولُ من آمن بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[(٢)] وأولُ من شدَّ من أزره وسانده في دعوته امرأةٌ، وأولُ من قدم له المشورةَ امرأة، أُمُّ المؤمنين خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، التي كانت تعدُّ له الزاد، وهو يتعبَّد في غار حراء، حين جاءها يرتجف من هول ما رآه، أقبلت عليه بعاطفة جيَّاشة، وكلمات حانية، تشهدُ له بمكارم الأخلاق، ومحامدِ الشمائل، وقد أحسنت صنعًا حين أخذته إلى ابن عمها ورقة بن نوفل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكان على علمٍ بالكتب السابقة، لم تذهب به لكاهن أو عراف كما شاع في ذلك الزمان، بل ذهبت لعالمٍ عابدٍ، فبشَّره بالنبوة وبصَّره بطريق الدعوة، ذلك الطريق المحفوف بالأشواك والعقبات.[(٣)] فكان أولَ من آمن بنبينا كتابيٌّ، كان أولَ من أعلن الولاء والنصرة له كتابيٌّ، كان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أول من شهد بصدق القرآن، حين استمع لأولى رسائله. أيُّ حصافةٍ تلك التي جعلت خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تتوجه للعالم! ولا تتوجه لكاهن مضلٍّ!

وفي قول وَرَقَةَ: «**هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَى مُوسَى** عَلَيْهِ السَّلَامُ»، لنا وقفة: فقد سجل القرآن الكريم أول ما أوحاه الله لنبيِّه موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ حين كلمه ربه، قال تعالى في سورة طه عن تلك اللحظات الأولى ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ۝٩ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ۝١٠ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ يَٰمُوسَىٰٓ ۝١١ إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى

---

(١) فتح الباري، لابن حجر، (١/ ٢٧). ويراجع عمدة القاري، لبدر الدين العيني، (١/ ٦٢).

(٢) قال ابن عبد البر: «واتفقوا على أن خديجة أول من آمن بالله ورسوله وصدقه فيما جاء به ثم عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بعدها». الاستيعاب في معرفة الأصحاب ـ (٣/ ١٠٩٢).

(٣) قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «قال العلماء رضي الله عنهم معنى كلام خديجة رضي الله عنها انك لا يصيبك مكروه لما جعل الله فيك من مكارم الأخلاق وكرم الشمائل وذكرت ضروبا من ذلك وفي هذا دلالة على أن مكارم الأخلاق وخصال الخير سبب السلامة من مصارع السوء وفيه مدح الانسان في وجهه في بعض الأحوال لمصلحة نظر أو فيه تأنيس من حصلت له مخافة من أمر وتبشيره وذكر أسباب السلامة له وفيه أعظم دليل وأبلغ حجة على كمال خديجة رضي الله عنها وجزالة رأيها وقوة نفسها وثبات قلبها وعظم فقهها والله أعلم». صحيح مسلم بشرح النووي، (٢/ ٢٠٢).

﴿١٢﴾ وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ﴿١٤﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخۡفِيهَا لِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا تَسۡعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنۡهَا مَن لَّا يُؤۡمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرۡدَىٰ ﴿١٦﴾﴾ [سورة طه: ٩ - ١٦]، لاحظ التوافق بين قوله تعالى لنبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ في خطابه الله ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ﴾ وبين أول حديث ربنا مع موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ ﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ﴾، حيث تضمنت الرسالتان أصلين مهمين: التوحيد والرسالة، بينما تضمنت مناجاة الله لنبيه موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ الحديث عن الساعة.

وحين نتأمل السفر الأول من أسفار العهد القديم الذي يؤمن به اليهود والنصارى، تلك الأسفار التي تمثِّل التوراة في إيمانهم، نجد في سفر التكوين البداية بخلق الكون ثم خلق الإنسان مع ما دُسّ فيه من خرافات وأباطيل، إلا أنها لا تعدم أثارةً من الحق. وصدق ربُّنا جَلَّ وَعَلَا إذ يقول ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِ﴾ [سورة المائدة: ٤٨]، فالقرآن الكريم جاء مصدّقا لحقائق التوراة المنزّلة من عند الله، موافقا لما بقي في التوراة الموجودة بين أيدي اليهود والنصارى من حقائقَ، شاء الله أن تبقى لتكون حجةً على أصحابها، وإشارةً تضيء لهم الطريق إلى الإسلام[1].

(١) يراجع كتابي: الكتب السابقة في القرآن الكريم، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية المدينة المنورة (١٤٣٨) ه . كما يراجع سفر التكوين (ص ٦٤)، الكتاب المقدس، ط المكتبة الشرقية بيروت، (١٩٨٨م).

المبحث الثاني: مقاصدها ومعانيها.

المطلب الأول: مقاصدها:

الهدف الرئيس من أوّل ما نزل: تهيئة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لتلقي الوحي عن الله تعالى وبلاغه للأمة، وقد جمعت هذه المقدمة مقاصد القرآن من تقرير العقيدة.

أولا: تقرير العقيدة:

١- **أما الوحدانية** فذلك هو المقصود الرئيس لهذا الاستهلال، حيث قررت الآيات الفهم الصحيح لمعنى الربوبية، أن الرب هو الخالق، وأن ما سوى الله فهو مخلوق ومربوب، فبطل بذلك عبادة الأحجار والأشجار وغيرها من عناصر الكون، ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢﴾ [سورة العلق: ١-٢]، وتكرر الفعل (خلق) لكنه جاء أولا على إطلاقه، لبيان أن كل ما سوى الله فهو مخلوق، كما قال ربُّنا ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ۝١٠٢﴾ [سورة الأنعام: ١٠٢] ﴿قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ قُلِ ٱللَّهُۚ قُلۡ أَفَٱتَّخَذۡتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ لَا يَمۡلِكُونَ لِأَنفُسِهِمۡ نَفۡعٗا وَلَا ضَرّٗاۚ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ أَمۡ هَلۡ تَسۡتَوِي ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُۗ أَمۡ جَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُواْ كَخَلۡقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلۡخَلۡقُ عَلَيۡهِمۡۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّٰرُ ۝١٦﴾ [سورة الرعد: ١٦] ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ﴾ [سورة الزمر: ٦٢] ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ۝٦٢﴾ [سورة غافر: ٦٢].

وهذه الآيات جميعها مكية جاءت لتقرير هذا المعنى أن الرب هو الخالق، وأن المؤمن بربوبية الله تعالى يلزمه الإيمان بأنه لا معبود سواه. قال البيضاوي: «ولما كان أول الواجبات معرفة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ نزل أولاً ما يدل على وجوده وفرط قدرته وكمال حكمته». (١) فكان أول أمر وتوجيه وتكليف: ﴿ٱقۡرَأۡ﴾، القراءة بالله ولله، وكان أول اسم ﴿رَبِّكَ﴾، وكان أول خبر ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ﴾ كل شيء، فلا ربّ غيره، ولا معبود سواه.

٢- **وأما تقرير الرسالة:** فواضحٌ من نزول الوحي على قلب نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ودعوته للقراءة تحمُّلا والقراءة أداء، وتأكيد ورقة بن نوفل لنبوته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شاهد على ذلك، فالرسالة الأولى تشير

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، (٥/ ٣٢٥).

إلى كونه قارئا ومبلِّغا عن ربه جَلَّوَعَلَا، كما قال الشنقيطي: «والذي يظهر والله تعالى أعلم أن قوله: ﴿بِٱسۡمِ رَبِّكَ﴾ أي أن ما تقرؤه هو من ربك، وتبلغه للناس باسم ربك، وأنت مبلغ عن ربك على حد قوله: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ﴾»[1].

٣ - **أما تقرير البعث**: فإنه لم يذكر صراحة لكن يمكنُ الاستدلال عليه بأمرين: الأول كمال القدرة الإلهية بخلق الإنسان من علق، فالقادر على ذلك قادر على أن يعيده كما بدأه، وصدق ربُّنا ﴿كَمَا بَدَأَكُمۡ تَعُودُونَ ۝٢٩﴾[سورة الأعراف: ٢٩]، ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِۚ﴾ [سورة الروم: ٢٧]. كما يستدل على ذلك باسم الله الأكرم، ﴿ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ﴾ [سورة العلق: ٣] فقد يحجب الله مباهج الدنيا عن بعض أوليائه، ليبقى لهم النعيم الكامل في الجنان التي لا يدخلها أحد إلا بكرم الله ورحمته، والتي يلقى أهلها من الحفاوة والكرم ما لا يخطر لهم ببال.

وكما أن فاتحة الكتاب هي عنوانه وديباجته، فسورة العلق هي أول ما نزل فيه فكانت آياتها جامعة، لفت هذا نظر السيوطي، فقال في «الإتقان» متحدثا عن براعة الاستهلال بين فاتحة الكتاب، وبين أول ما نزل: « فنبه في الفاتحة على جميع مقاصد القرآن وهذا هو الغاية في براعة الاستهلال مع ما اشتملت عليه من الألفاظ الحسنة والمقاطع المستحسنة وأنواع البلاغة، بتوحيد الرب وإثبات ذاته وصفاته من صفة ذات وصفه فعل وفي هذه الإشارة إلى أصول الدين وفيها ما يتعلق بالإخبار من قوله: ﴿عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ﴾ ولهذا قيل إنها جديرة أن تسمى عنوان القرآن لأن عنوان الكتاب يجمع مقاصده بعبارة وجيزة في أوله[2].

ثانيا: تعريف الإنسان بنفسه:

كذلك تقررُ لنا هذه الآيات أن الإنسان لا يستغني عن المعرفة الإلهية التي تُقْتَبَسُ من أنوار الوحي وتُستَنبطُ من معانيه، فمهما طالت مسيرة الإنسانية في طريق العلم وتعمَّقت فإنها لا تستغني عن هداية الوحي، ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ۝٥﴾ [سورة العلق: ١ - ٥]، عندما تقدمت العلوم سيما في مجالات الطب، وكان من أشهر المتخصصين في علم الأجنة عالم كنديٌّ يدعى كيث مور، دخل في الإسلام عندما ظهر له

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، للشنقيطي، (٩/ ١٣).

(٢) الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي، (٣/ ٣٦٤).

أن مراحل تكوين الجنين مذكورة في القرآن،[1]. فمن الذي علم نبيّنا ذلك؟ إنه وحي الله تعالى القائل: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦﴾ ﴾ [سورة آل عمران: ٦] ﴿ ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ۖ وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ ﴾ [سورة الرعد: ٨] ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ [سورة لقمان: ٣٤].

وجاء القرآن بتفصيل مراحل خلق الأجنة فقال ربنا: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ﴾ [سورة الحج: ٥]، وقال: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ [سورة المؤمنون: ١٢ – ١٤].

وهكذا تسبق الهداية القرآنية ما اهتدى إليه علماء الطب البشري بعد جهود متضافرة وتقنياتٍ هائلة، فضلا عن تأسيس الوحي وتكميله لعلوم العقيدة والشريعة التي ليس لها إلا مصدرٌ واحدٌ وطريقٌ واحد هو طريق الوحي، إذ لا يمكن للعقل أن يهتدي إليها بتفكيره المحدود، أو يوجد بديلا صالحا يغني عن شريعة الرحمن، وما حيرة الفلاسفة وتخبُّطهم مع ما قيل عن عبقريّتهم وطول تفكُّرهم، وما قصور القوانين الوضعية التي سنّها البشر، وما تناقض التصوُّرات للكون والحياة إلا دليلٌ على حاجة البشرية للوحي، لا تستغني عن ذلك أبدًا؛ لذا أنزل الله الكتب وأرسل الرسل، لهداية الناس وتربيتهم وتقويم معوجّهم، وتصحيح تصوراتهم، والتشريع لهم، وإقامة الحجة عليهم، قال تعالى: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾ ﴾ [سورة النساء: ١٦٥]، فلو كان العقل كافيًا لقامت به الحجة، لكنه يقصرُ عن ذلك.

جاء الأمر الأول ﴿ ٱقْرَأْ ﴾ ولم يقل تأمَّل أو تفكَّر أو اكتشف، كما قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الإقرار

(١) https://www.youtube.com/watch?v=0PIAfjTzuOh قصة إسلامه مسجلة.

والاعتراف بالخالق فطري ضروري في نفوس الناس وإن كان بعض الناس قد يحصل له ما يفسد فطرته حتى يحتاج إلى نظر تحصل له به المعرفة . وهذا قول جمهور الناس وعليه حذّاق النظّار أن المعرفة تارة تحصل بالضرورة وتارة بالنظر كما اعترف بذلك غير واحد من أئمة المتكلمين . وهذه الآية أيضا تدل على أنه ليس النظر أول واجب بل أول ما أوجب الله على نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ﴾ لم يقل « انظر واستدل حتى تعرف الخالق» وكذلك هو أول ما بلغ هذه السورة . فكان المبلغون مخاطبين بهذه الآية قبل كل شيء ولم يؤمروا فيها بالنظر والاستدلال . وقد ذهب كثير من أهل الكلام إلى أن اعتراف النفس بالخالق وإثباتها له لا يحصل إلا بالنظر».[1]

إذ لو وُكِّل الإنسان لمعرفة حقيقة إنسانيتِه لضلَّ وأضل، فكم رأينا من مفاهيم خاطئة عن الإنسان يتبنّاها علماء الغرب مع تقدمهم في العلوم المادية، لا تقل ضلالة وسخافةً عن خرافات وأساطير الشرق القديمة، حتى رأينا كيف شاع في الأوساط العلمية الغربية: أن أصل الإنسان قرد، وكيف كانت نظرتهم للإنسان الأول أنه متخلف وحشي، لم يهتد لتفكيرٍ منطقيٍّ، ولم يحسّ بشعورٍ حينا من الدهر حتى اكتشف بالمصادفة قدرته على التفكير والمشاعر، حتى النار يقولون بأنه اكتشفها مصادفة! واكتشف وظيفتها في الطهي موافقةً! حين كان يستدفئ ذات مرة بالنار فسقط طائر عليها فشوته، فأكله فاستلذَّ طعمه، فعرف الطبخ بالنار والشواء، هذا هو حصاد العلم الماديّ مع تقدمه الهائل! بما يؤكد لنا حاجة الإنسان إلى هداية الله لمعرفة إنسانيته وأصله، ولذلك حدثنا الوحي عن تلك المراحل التي لا يمكن لذاكرة التاريخ أن تستوعبها أو تستنتجها أو تكتشفها، من ذلك قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ . فأول معرفة بشرية كانت من الله بلا واسطة، بل تلقين مباشر من ربنا جَلَّوَعَلَا، وكان لتلك المعرفة أهميتها وقيمتها ومزيتها بدليل خفائها على الملائكة.

وإذ نجح البشر في اكتشاف بعض سنن الكون بالمصادفة، أو بالبحث والتجارب، فإنهم عجزوا

(١) مجموع الفتاوى، لابن تيمية (١٦/ ٣٢٨).

عن اكتشاف السنن الإنسانية، وحاروا حولها؛ إذ لا سبيل لمعرفتها إلا بالوحي، فضلا عن التشريعات التي تنظم حياة البشر، إذ فشلت كل الأنظمة والقوانين المخالفة لشريعة الرحمن، وعجزت عن تحقيق العدالة والرحمة، ومراعاة الفطرة الإنسانية واستيعاب اختلاف طبائع النفوس، ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ ﴾ [سورة الشورى:١٣]. ﴿ ثُمَّ جَعَلۡنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ فَٱتَّبِعۡهَا وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ١٨ ﴾ [سورة الجاثية: ١٨].

ثالثا: تعريفه بالكون:

ومن مقاصد أول ما نزل: لفت النظر إلى المخلوقات وعجائبها، ودلالة ذلك على ربوبية الله تعالى وعظمته، والدعوة إلى اكتشاف أسرار هذا الكون من الذرة إلى المجرة، ومعرفة سنن الله تعالى في هذا الكون. ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴾ فجاء الفعل هنا مطلقا، ليدلّ على كل ما خلقه الله تعالى، فبقدر معرفتنا بالعوالم التي خلقها ربُّنا بقدر تعظيمنا له وإيماننا بربوبيته، خلقا وملكا وتدبيرا ورزقا وإحياء وإماتة، فكل العوالم المشاهدة والمغيّبة من خلقه تعالى.

المطلب الثاني: معانيها.

١ – قوله تعالى: ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴾ يحمل أوَّلُ توجيهٍ إلهيٍّ، دعوةً عامةً إلى القراءة، وحثًّا على العلم؛ فالقراءةُ وسيلةُ الوعي والمعرفةِ، والعلمُ طريقُ المجدِ، ونبراسُ الرقيِّ والحضارة، فتضمّنت أولى كلمات أولى الآيات أمرا، ولهذا دلالته، فرسالة القرآن أحكامٌ وأخبارٌ، تكاليفُ إلهية فيها الخيرُ للإنسانية، وأخبارٌ صادقة فيها الهداية والمعرفة والبشارة والنذارة، وبداية الوحي بالأمر من دلائل العظمة، فالأمر من الأعلى، تنويه بسمو رسالة القرآن، وعظمتها، والبداية بالخطاب يبرهنُ أنه ليس من عند محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ بل من عند ربه جَلَّ وَعَلَا، إذ جرت عادة المؤلفين أن يبدأ بالكلام عن نفسه .

﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴾: مُفْتَتِحًا بِاسْمِ رَبِّكَ الذي خلقك ورزقك وربّاك، قراءة إعداد وتعلُّم بإخلاص نية وصحة وسيلة، فالباء للاستعانة أي مستعينا بالله أو للمصاحبة أي مستصحبا عون الله وتوفيقه، ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴾ فلتكن القراءةُ بالله ولله، فمنه تعالى العونُ والتوفيقُ، وهو غايتُنا ورجاؤُنا، وسيِّدُنا ومليكُنا؛ فينبغي أن نطلب العلم لله، ونجرِّد العملَ له وحده، ونبرأَ من كلِّ حولٍ وطولٍ، إلى حولِه وقوتِه، ونطلب المزيد من العلم منه وحده، فهو معلِّمُنا ومُلهِمُنا.

﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ﴾ فالخالق عَزَّوَجَلَّ قد هيَّأنا للقراءةِ بما أودعه فينا من العقل والفهم والاستيعاب، والسمع والبصر والفؤاد، ولأنه تعالى هو خالقنا فهو وحده الذي يأمرُنَا وينهانا، ويُنظِّمُ دنيانا، ولأنه تعالى هو خالقنا ومعلِّمنا؛ فقد أنزل كتابَه نبراسا لنا.

٢ – قوله تعالى ﴿ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ﴾: تفصيلٌ بعد إجمالٍ، بيانًا لأصلِ هذا الإنسانِ ونشأتِهِ، وإشارةً لمادة خلقِهِ، وطورٍ من أطوارِها العجيبة، فمعرفةُ الإنسان بأصله وأطواره، مما يضيء له طريقَه وينيرُ بصيرتَه، وإذا كانت علوم الحياة مبنيةً على علاقة الإنسان ووعيه بالكون والكائنات؛ فإن معرفته بذاته هي الركيزة والمنطلق لهذه المعرفة الضرورية، قال البيضاوي: « ﴿ ٱلَّذِي خَلَقَ ﴾ خَلَقَ الْإِنْسانَ فأبهم أولاً ثم فسّر تفخيماً لخلقه ودلالة على عجيب فطرته». (١)

وقال الشوكاني: «وإذا كان المراد بقوله: ﴿ ٱلَّذِي خَلَقَ ﴾ كل المخلوقات فيكون تخصيص الإنسان بالذكر تشريفا له لما فيه من بديع الخلق وعجيب الصنع وإذا كان المراد بالذي خلق الذي الإنسان فيكون الثاني تفسيرا للأول والنكتة ما في الإبهام ثم التفسير من التفات الذهن وتطلعه إلى معرفة ما أبهم أولا ثم فسر ثانيا » (٢). والأظهرُ: حمل المطلق على إطلاقه، فقوله ﴿ ٱلَّذِي خَلَقَ ﴾ يعمُّ كلَّ مخلوق، فلا دليلَ على تخصيصه بالإنسان، ثم خصّ الإنسان بالذكر؛ لأهميته ومزيّته وتشريفه، ولأنه المقصود بالخطاب. قال القرطبي: « وخص الإنسان بالذكر تشريفا له. وقيل: أراد أن يبين قدر نعمته عليه، بأن خلقه من علقة مهينة، حتى صار بشرا سويا، وعاقلا مميزا. ». (٣)

ومن الملاحظ: ارتقاء الإنسان في خلقه من علقة إلى أن صار بشرا سويا ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ٦ ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ٧ ﴾ [سورة الانفطار: ٦ – ٧]، في أحسن صورة وتقويم ﴿ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٍ ٤ ﴾ [سورة التين: ٤]، وارتقاؤه في سلّم العلم حيث علّمه ما لم يكن يعلم ﴿ وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٧٨ ﴾ [سورة النحل: ٧٨]، حتى فاق الإنسان غيره من المخلوقات بتفكيره وتجاربه واستنباطه وابتكاره، وتطويره المستمر لأنماط حياته، يبني ويطوّر، يبدع ويؤلّف، فأصبح هذا الكائن الذي مرَّ بأطوارٍ عجيبةٍ في أرحام الأمهات حتى صار بشرا سويا، هو كذلك كائنٌ قادرٌ على التطوير

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي، (٥/ ٣٢٥).
(٢) فتح القدير، للشوكاني، (٥/ ٥٧١).
(٣) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (٢٠/ ١١٩).

وإحداث التغيير في معايشه، ووسائل حياته، بينما العوالم الأخرى من حوله لا تطوّر من حياتها، ولا تتوارث تاريخها، ولا تحفظ تجاربها، ولا ترتقي بمعارفها، فبيوت العنكبوت ومساكن النمل وأعشاش الطيور، وأوكار النسور، وجحور القوارض، وكُنّاس الظباء، وخلايا النحل وأوجرة الضباع، هي كما هي منذ آلاف السنين، لا يعتريها تغيير، ولا تمسُّها روحُ تطوير، أما عالم البشر فإنه عالم متطور، في كل جوانب الحياة، في الأبنية والدور، في المدائن والقصور، في الطرقات والميادين والجسور، وفي الأثاث والرياش، وفي الملابس والمراكب، وغيرها من وسائل المعيشة وآلاتها، الضرورية أو الكمالية.

٣ - قال تعالى: ﴿ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ﴾: التوجيه الأول والثاني في رسالةِ الإسلام ﴿ ٱقۡرَأۡ ﴾ وما ذاك إلا لأهمية القراءة ودورها الحيوي في حياة هذا الكائن، وللمرة الأولى يعرفُنا ربّنا بصفةٍ من صفاته، صفة الكرم، فالله تعالى أكرمُ من كلِّ كريمٍ، ومن العجيب أن يستهلَّ بها آخرَ كُتبِه، بعد فترةٍ من الرُّسلِ واندراسٍ للكتب، وفي هذا ما فيه من التودُّد إلى الإنسان والإقبال عليه، والعناية به، وتقديمِ البشرى له، وحفزِه على العلمِ والعملِ؛ فإنَّ الذي وهبه القدرات والملكات، هو الذي يثيبُه ويجازيه؛ إنه أكرمُ الأكرمين، فلماذا لا يسارعُ إلى العلم النافع، ويتنافس في ميادينه؛ لخدمة دينه، ولأجل الإنسانية وراحتِها، فإنَّ الأجر والثوابَ من أكرم الأكرمين، في الدنيا قد تفوتُ المعلِّمَ الجوائزُ وتُحْجَبُ عنه المحفِّزاتُ، أو يحرمُ من التقدير، أو يعيشُ مغمورا، ويموتُ منسيًّا، ولكن هذا لا يضيرُه؛ إذا كان يرتقبُ الأجر من أكرم الأكرمين، ممن لا يَضِيعُ عنده عملُ العاملين ﴿ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ﴾. وحريٌّ بالمجتمع أن يكرم المعلّم الذي وعده ربُّ العالمين بالإكرام، وهذا الإكرامُ الربانيُّ دُنيويٌّ وأُخرويٌّ، فللعلماء منزلتهم في الدارين، بعلمهم وتقواهم.

يأتي الأمر الثاني مقترنا بالجزاء لقاء التعلّم والتعليم، ﴿ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ﴾ فالإنسان مثابٌ في الحالتين، حالة الأخذ والتلقي وحالة الأداء والعطاء، مثابٌ على عنائه في طلب العلم، ومكابدته، وسهره الليالي، وتجشُّمه الصعاب، ومخاطرته بالسفر والترحال، ومفارقته للأهل والأوطان، وعزلته عن الأصحاب والخلان، وحرمانه من الراحات والملذات، ومثاب على صبره على الطلاب واقتطاعه من وقته لهم، وفيضه عليهم من بحر علمه، وحلمِه بهم وترفُّقه، وتواضعه، وزهده وورعه وأمانته، وكم تحمَّل العلماء في سبيل العلم من مصاعب ومخاطر، في رحلاتهم العلمية كم ذاقوا من حرمانٍ وكم واجهوا من مخاوف وتحديات! وكتب التراجم والأخبار حافلة بحكاياتهم، زاخرة بمآثرهم، فطريق العلم ليس مفروشا بالورود والرياحين، بل طريقٌ طويلٌ مفعمٌ بالمصاعب والعقبات، وصدق من قال:

أخي لن تنالَ العلمَ إلا بستَّةٍ ... سأنبيكَ عن تفصيلِها ببيانِ
ذكاءٌ وحرصٌ واجتهادٌ وبُلْغَةٌ ... وصحبةُ أستاذٍ وطولُ زمانِ[1]

﴿ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ﴾: اقرأ مستحضرا كرم الله تعالى الذي لا حدَّ له، فلا يدانيه كرمٌ ولا يقاربُه عطاء، إنه أكرم الأكرمين، يبتدر عبدَه بالعطاء، من حيث لا يحتسب، عطاء فوق ما يستحق الإنسان، وفوق ما يتوقعه، عطاء يليق بعظمته وجلاله، جاءت امرأة إلى اللَّيْث بن سعد تسأله قدحا من عسل، فأمر لها بزق عسل، فقيل له في ذلك، فقال: إنها سألت على قدر حاجتها ونحن نعطيها على قدر السعة علينا.[2]، فما بالك بأكرم الأكرمين!

قال الزمخشري: «الْأَكْرَمُ الذي له الكمال في زيادة كرمه على كل كرم، ينعم على عباده النعم التي لا تحصى، ويحلم عنهم فلا يعاجلهم بالعقوبة مع كفرهم وجحودهم لنعمه وركوبهم المناهي واطِّراحهم الأوامر، ويقبل توبتهم ويتجاوز عنهم بعد اقتراف العظائم، فما لكرمه غاية ولا أمد»[3]. اقرأ واستحضر كرم ربك، وهل هناك أكرم من العلم، إنه أعظم إكرام.

والقرآن الكريم زاخرٌ بتكريم أهل العلم، وقد بيّن أنَّ العلم من أعظم عطاء الله وأجلِّ إكرامه قال تعالى عن الخضر عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ﴿وَعَلَّمۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلۡمٗا﴾ [سورة الكهف: ٦٥]، فالعلم منحة خاصة، ومزيةٌ عظيمة، وقال تعالى ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ عِلۡمٗاۖ وَقَالَا ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّنۡ عِبَادِهِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٥﴾ [سورة النمل: ١٥]، وقال تعالى مخاطبا حبيبَه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وممتنًّا عليه: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُۚ وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيمٗا ١١٣﴾ [سورة النساء: ١١٣]، فهذا العطاءُ العظيمُ من فضل الله على نبيِّه ورحمته به .

٤ – قال تعالى: ﴿ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ﴾ علَّم الإنسانية وأرشدها إلى وسائل التعلُّم وأدواتِه. ونزول هذه الآية على النبي الأميِّ لتطرق مسامع الأميين وتلفتَ أنظارهم إلى العلم ووسائله والقراءة وأدواتها. وكم كان لذلك أثرٌ بالغٌ على أُمَّةِ محمدٍ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، التي ارتقتْ إلى صدارةِ الأممِ، وتسلَّمت دفَّةَ

(١) البيتان لعبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني، أبي المعالي بن أبي محمد، الفقيه الشافعي، الإمام، الملقب بإمام الحرمين (ت ٤٧٨) هـ. المستفاد من ذيل تاريخ بغداد للخطيب البغدادي، انتقاء الحافظ ابن الدمياطي ت٧٤٩هـ (١ / ١٣٠). و«البُلْغَةُ» ما يتبلغ به من العيش ولا يفضل يقال «تَبَلَّغَ بِهِ» إذا اكتفى به. المصباح المنير، للفيومي، (١ / ٣٧).

(٢) تاريخ دمشق لابن عساكر، (٥٠/ ٣٧٠)، سير أعلام النبلاء للذهبي، (٧/ ٢١٢).

(٣) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري، (٤/ ٧٧٦).

قيادةِ موكبِ الإنسانيةِ، حاملةً لواء العلمِ ورافعةً مشاعلَ النور، وشيَّدت أرقى حضارةٍ عرفتْهَا الإنسانيةُ في مسيرتها .

ملكنا هـذه الدنيـا قرونـا وأَخْضَعـهَا جُدُودٌ خالـدُونا

وسطَّرنـا صحائفَ من ضياءٍ فما نسِي الزمانُ وما نسينا[1]

قال المراغي في تفسير قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴾ : « أي: الذي جعل القلم واسطة التفاهم بين الناس على بُعد الشُّقَّة، كما أفهمهم بواسطة اللسان والقلم آلة جامدة لا حياة فيها، وليس من شأنها الإفهام، فمن جعل من الجماد الميت الصامت آلةً للفهم والبيان. أفيصعبُ عليه أن يجعل منك قارئا مبيّنا، وتاليا معلِّما، وأنت إنسان كامل؟ [2]، فالكتابة آية عظيمة تدلُّ على قدرة الله وإكرامه، لو تأمّلنا كيف يفصحُ عودٌ جمادٌ أو ريشةٌ ميتةٌ، فيفيض بمدادٍ بيانا يترجم عمَّا في الخاطر، ويُعرِب عما يجيشُ في الضمائر، ويحرِّر ما يختلجُ في الفكر، ويقيّد الشوارد ويصيد الأوابد، ويدوّن العلومَ ويسجِّل التواريخ والوثائق، ويخلّد الملاحِم والمعارك، ويحصي الأعداد والمقادير، ويخاطب الملك والوزير، ويدوِّن الآداب، ويحفظ التراث والتجارب الإنسانية، فالقلمُ بحقٍّ أعظمُ وأقدمُ آلة عرفتها البشرية على مر التاريخ، وقد أقسم به ربنا تنويها بشأنه: ﴿ نٓۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝١ ﴾ [سورة القلم: ١].

٥ – قال تعالى: ﴿ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ فالعلمُ كله عطاء من الله، والوحي هو المصدر الأول للتعلُّم والتلقِّي، والأنبياء إلى جانب دعوتهم لإصلاح الدين جاءوا بصلاح الدنيا، ونقلوا للإنسانية كثيرا من العلوم والمعارف عن طريق الوحي، حتى تميَّز الإنسانُ بالعلمِ والفهمِ، والتلقِّي والتلقين، والتحصيلِ والاستيعابِ، والتجربةِ والملاحظةِ، والاستقراءِ والاستنباطِ، والتطوير والابتكار، من منطلقِ الوحي الإلهي.

(١) البيتان من قصيدة طويلةٍ رائعة لهاشم الرفاعي.

(٢) تفسير المراغي، أحمد مصطفى المراغي، (٣٠/ ١٩٩).

المطلب الثالث: فوائد من الآيات.

١. عناية القرآن بالإنسان، فالإنسان هو محور هذا الكتاب العظيم .

٢. دار أولُ ما نزل من القرآن حول بيان أجلّ نعمِ الله على الإنسان .

٣. أول أمر للإنسان أن يقرأ ويتعلم، فالقراءة طريقه للعلم، والعلم سبيل الهداية والرقي.

٤. كانت ﴿ ٱقۡرَأۡ ﴾ أول ما نزل: فصارت دعوة لإثارة العقول وتنوير الأذهان وتبصير النفوس، وباتت إلهاما للكتاب والأدباء والبلغاء. والأمر بالقراءة ليس عشوائيا، يقرأ الإنسان كل ما يتفق له، ويتصفح كل ما تقع عليه عيناه من صحيفة أو مجلة أو رواية، بل أحق ما يقرأ كتابُ الله، فهو نبراس الهدى، ومنارُ السبيل، وهو المقصود هنا بالقراءة، فهو مفتاح العلوم ونبراس الهدايات، وهو المنارة للسائر، والهداية للحائر، والبيان للمستبين، والبصيرة للمستبصر، كم يقرأ الناس من كتب ومجلات وصحف! وكم تصدر كل يوم من موسوعات ودراسات! ولكن لن يغني تراث بشري مهما جوّد وأتقن عن كتاب الله تعالى، إذ لا هداية ولا سعادة إلا باتباعه، وهانحن نرى أكثر شعوب العالم قراءة كالشعب الياباني على سبيل المثال كيف يغرق كثير من أفراده في الخرافات والأساطير، أو يتخبطون في ظلام الإلحاد .

٥. تكرر الأمر بالقراءة لأهميتها ومزيتها فهي مفتاح العلوم وباب المعارف وسبيل الهداية ﴿ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ﴾ كما تكرر ذكر الربِّ جَلَّوَعَلَا مرتين، مرةً في معرض الامتنان على الإنسان بنعمة الوجود، ومرة في بيان نعمةٍ من أجل النعم، وهي نعمة العلم، غذاء الأرواح، وقوتُ القلوب، وروحُ الأممِ والشُّعوب، فتكرار صفة الربوبية لبيان وتقرير عناية الخالق بالإنسان فهو تعالى الذي خلقه ورزقه وعلمه .

٦. أول طريق الهداية التعلّم، ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ﴾. وأول مسار الدعوة طلب العلم، فالداعية لا بد أن يتزود بالعلم وبه يتسلح.

٧. كرَّم الله الإنسان بالعلم، فينبغي أن يحسن الانتفاع به فهو سبيل الإصلاح وطريق الفلاح.

٨. قال الرازي: «أول السورة يدلُّ على مدح العلم، وآخرُها يدلُّ على ذم المال وكفى بذلك مرغِّبًا في الدين والعلم، ومنفراً عن الدنيا والمال». [١]

(١) التفسير الكبير، للرازي، (٣٢ / ٢٢١).

٩. ذكر الخاص بعد العام ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴾، تكريمٌ للإنسان واعتناءٌ بشأنه.

١٠. ﴿ عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥ ﴾ بيّن الآلة والوسيلة، كما بيّن المستهدف بالتعليم وهو الإنسان.

١١. عالمية الإسلام من رسالته الأولى، فهو دين الإنسانية.

١٢. جاء في كتاب صبح الأعشى في فضل الكتابة: « أعظم شاهد لجليل قدرها وأقوى دليل على رفعة شأنها أن الله تعالى نسب تعليمها إلى نفسه واعتدَّه من وافر كرمه وإفضاله فقال عز اسمه ﴿ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥ ﴾ مع ما يروى أن هذه الآية والتي قبلها مفتتحُ الوحي وأولُ التنزيل على أشرف نبي وأكرم مرسل، وفي ذلك من الاهتمام بشأنها ورفعة محلها ما لا خفاء فيه ».[١]

١٣. لما امتنَّ الله تعالى على عباده بأن علَّمهم كيف يكتبون بالقلم فيحفظون تراثهم ويدوِّنون علومهم، ويقيِّدون الفوائد والشوارد، ويحرِّرون الكتب والمقالات والقصائد، كان من شكر هذه النعمة توجيه القلم لكل ما هو نافع، وصرفه عن كل غثٍّ وباطل: وصدق من قال:

وما من كاتب إلا سيبلى ... ويُبقي الدهرُ ما كتبتْ يداه

فلا تكتب بكفِّك غيرَ شيء ... يسرُّك في القيامة أن تراه

المطلب الرابع: مضامين الرسالة الأولى.

القرآن رسالة الله تعالى الخالدة، بل رسائله المتجددة، كما قال الحسن البصريُّ: «إن من كَان قبلكم رأوا القُرآن رسائل من ربهم فكانوا يتدبرونها بالليل، وينفذونها بالنهار»[٢]. وقول الغزالي: «قال بعض العلماء: هذا القرآن رسائلُ أتتنا من قِبل ربنا عَزَّوَجَلَّ بعهوده نتدبرها في الصلوات، ونقف عليها في الخلوات، وننفذها في الطاعات والسنن المتبعات»[٣]. والرسالة القرآنية الأولى كما سميناها تنتظمُ رسائلَ عدة منها:

(١) صبح الأعشى في صناعة الإنشا، أحمد بن علي القَلْقَشَنْدي المصري، الكاتب، (ت ٨٢١هـ) (١/ ٦٣).

(٢) التبيان في آداب حملة القرآن، للنووي، (ص ٢٨).

(٣) إحياء علوم الدين، للغزالي، (١/ ٢٨٥).

أولا: رسالة إيمان ومعرفة: فآية الخلق أعظم برهان على ربوبية الله تعالى، لذلك بدأت بها أول آيات القرآن، فبدأ باسم الرب مضافا لضمير المخاطب، لبيان ربوبيته تعالى للعالم، وأخبر أول ما أخبر عنه بأنه خلق كل شيء، لأن أول ما ينقدح في ذهن الإنسان من تساؤل: من خلقني؟ من وهبني الحياة؟ من أين جئت؟ فكانت الرسالة الأولى مجيبة عن أهمِّ الأسئلة، وأكثرِها تردُّدًا؟ قال البقاعيُّ: «وبدأ بالخلق لأنه محسوس بالعين فهو أعلق بالفهم، وأقرب إلى التصور، وأدلُّ على الوجود وعظيم القدرة، وكمال الحكمة، فكان البداءة به في هذه السورة التي هي أول ما نزل أنسب الأمور؛ لأن أول الواجبات معرفة الله، وهي بالنظر إلى أفعاله في غاية الوضوح»[(١)]. وحين سأل فرعونُ نبيَّ الله موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ عن ربه عَزَّوَجَلَّ، أجاب بأنه الذي خلق وهدى ﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ٥٠﴾ [سورة طه:٥٠]. وفي أول نداء قرآني بترتيب المصحف، بل وفي أول أمرٍ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٢﴾ [سورة البقرة: ٢١ – ٢٢]، أي وأنتم تعلمونه أنه لا ربَّ سواه، فهو وحده الذي خلق ورزق.

أ. تعريف الإنسان بخالقه: «القرآن الكريم كله قائم على ترسيخ مفهوم الرب في قلوب المربوبين، عسى أن تستجيب فطرهم لأداء حق الربوبية، بتوحيد الألوهية عبادةً لله ربِّ العالمين»[(٢)]. «وإن المعرفة بالله تملأ قلبك أُنسًا بالله ثم أُنسا بالحياة، وأنسا بالكون والكائنات»[(٣)]. ونعمة الخلق هي أعظم النعم بل هي أساسُها ومبتدؤها، فتلفتُ الآيات الأولى إلى أنه تعالى خلق، وخلقه لا بد لحكمةٍ وغايةٍ، فعلى المخلوق أداء رسالته نحو خالقه. ﴿أَفَحَسِبۡتُمۡ أَنَّمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ عَبَثٗا وَأَنَّكُمۡ إِلَيۡنَا لَا تُرۡجَعُونَ ١١٥ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡكَرِيمِ ١١٦﴾ [سورة المؤمنون: ١١٥ – ١١٦]، والذي لم يخلقنا عبثا، لن يتركنا سدى، ﴿أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَن يُتۡرَكَ سُدًى ٣٦ أَلَمۡ يَكُ نُطۡفَةٗ مِّن مَّنِيّٖ يُمۡنَىٰ ٣٧ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةٗ فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ٣٨ فَجَعَلَ مِنۡهُ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ٣٩ أَلَيۡسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحۡۦِيَ ٱلۡمَوۡتَىٰ ٤٠﴾ [سورة القيامة: ٣٦ – ٤٠]، فالإيجاد الأول برهان على الإيجاد الثاني، الخلق دليل الإعادة، كذلك الآية الأولى تصحح مفهوما، أن

(١) نظم الدرر، للبقاعي، (٨ / ٤٧٩).

(٢) بلاغ الرسالة القرآنية، فريد الأنصاري، (ص ٧٧).

(٣) المصدر السابق، (ص ٨٩).

الرب هو الذي خلق، قال ابن عطية: «ولما ذكر الربّ وكانت العرب في الجاهلية تسمي الأصنام أربابا جاءه بالصفة التي لا شركة للأصنام فيها، وهي قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴾». (١)

وامتنَّ الله على عباده بنعمة العلم، وهو من أسباب الرقيِّ الإنساني، ووصف نفسه بالكرم، وهو من صفات الكمال والجلال الرباني، قال ابن عاشور: « وقد جمعت هذه الآيات الخمس من أول السورة أصول الصفات الإلهية فوصف الرب يتضمن الوجود والوحدانية، ووصف ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴾ ووصف ﴿ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴾ يقتضيان صفات الأفعال، مع ما فيه من الاستدلال القريب على ثبوت ما أشير إليه من الصفات بما تقتضيه الموصولية من الإيماء إلى وجه بناء الخبر الذي يذكر معها. ووصف ﴿ ٱلْأَكْرَمُ ﴾ يتضمن صفات الكمال والتنزيه عن النقائص.. (٢). وقال البيضاوي: «وقد عدّد سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ مبدأ أمر الإنسان ومنتهاه إظهاراً لما أنعم عليه، من أن نَقَلَهُ من أخسِّ المراتب إلى أعلاها، تقريراً لربوبيته، وتحقيقاً لأكرميته» (٣).

ب. تعريف الإنسان بذاته: من الأهمية بمكان تعريف الإنسان بذاته، وإرشاده إلى حقيقته، وتبصيره بأصله ومنبته، حتى لا يستهين بنفسه، ولا يحتقرها إزاء غيره من المخلوقات المحيطة به، كما يقع من أتباع بعض الديانات، فتجد من يركع لبقرة أو ينحني لفأرة، أو يخرّ لنملة، محتقرا إنسانيته، ومهدرا كرامتَه، بينما نرى على النقيض من يغترُّ بإنسانيته ويتعالى على غيره من مخلوقات الله، فينظر بعين الازدراء وينفثُ روح الاستعلاء، وهنا يتأرجح البشر بين شعورين بغيضين متناقضين، شعور بالمذلة والهوان، والدنيّة والصغار، يقابله شعور بالغرور والعجب .

أما الشعور بالمذلة والحقارة: فيدفعه تكريم الله للإنسان في أولى رسائل آخر رسالاته، حيث خاطب الله تعالى رسول الإنسانية، بواسطة أكرم رسله أمين الوحي جبريل عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وخصَّ خلق الإنسان بالذكر عطفا على الخلق عموما تنويها بشرف الإنسان وتفضيله على كثير من المخلوقات، وكيف كرَّمه الله تعالى بتعلُّم القراءة والكتابة. قال الزمخشري: «إن في الآية تفخيماً لخلق الإنسان ودلالة على عجيب فطرته» (٤).

---

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية، (٥/ ٥٠١).

(٢) التحرير والتنوير، لابن عاشور، (٣٠/ ٤٤٠).

(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، (٥/ ٣٢٥).

(٤) الكشاف، للزمخشري، (٤/ ٧٧٥) .

وأما الشعور بالغرور والاستعلاء: فيبدِّده النظرُ في أول مراحل خلق الإنسان، حيث لا يكاد يُرى، ولا يُذكر، وتصوُّره وهو متشبِّثٌ بجدار رحِمِ أنثى ضعيفةٍ، في ظلمةٍ حالكةٍ، وكيف انتقل بقدرة الله ولطفه من مرحلة إلى مرحلة ومن طور إلى طور، حتى خرج إلى النور وصار بشرا سويًّا، حسن الصورة معتدل القامة متناسق الملامح، قادرا على التعبير والبيان، فكيف يتكبّر من كان منبته علقة! ﴿قُتِلَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَآ أَكۡفَرَهُۥ ١٧ مِنۡ أَيِّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥ ١٨ مِن نُّطۡفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ١٩ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ٢٠﴾ [سورة عبس: ١٧ - ٢٠]، ﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا ١ إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ نَّبۡتَلِيهِ فَجَعَلۡنَٰهُ سَمِيعَۢا بَصِيرًا ٢﴾ [سورة الإنسان: ١ - ٢]. مرَّ المهلَّب بن أبي صفرة على مالك بن دينار وهو يتبختر في مشيته فقال له مالك أما علمت أن هذه المشية تكره إلا بين الصفين! فقال له المهلَّب أما تعرفني؟ فقال له أعرفك أحسن المعرفة. قال وما تعرف مني؟ قال أما أولك نطفة مَذِرَة وأما آخرك فجيفة قذرة وأنت بينهما تحمل العَذِرَة!.[1]

عَجِبْتُ مِنْ مُعْجَبٍ بِصُورَتِهِ وَكَانَ بِالْأَمْسِ نُطْفَةً مَذِرَة[2]

فإن اغترَّ هذا المخلوق الضعيف بعلمه - وما أكثر من وقع في ذلك- فليتذكر أنه كان جاهلا فعلّمه الله ﴿عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ٥﴾ [سورة العلق: ٥] ﴿وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٧٨﴾ [سورة النحل: ٧٨] ﴿هُوَ أَعۡلَمُ بِكُمۡ إِذۡ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَإِذۡ أَنتُمۡ أَجِنَّةٞ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡۖ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ٣٢﴾ [سورة النجم: ٣٢]. فإذا طعن في السن وبلغ أرذل العمر هرمت ذاكرته، وسُلبُ منه - إلا من رحم الله- ما حصّله من علوم ﴿وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡلَا يَعۡلَمَ مِنۢ بَعۡدِ عِلۡمٖ شَيۡـٔٗا﴾ [سورة الحج: ٥].

جهل الإنسان بحقيقته: فهو في حاجة لمعرفة ذاته، لا يستغني في ذلك عن نور الوحي، ليبصر حقيقته، فالعلم مهما تقدم لا يزال أمامه الكثير من أسرار تتعلق بعالم الإنسان، وظائف الأعضاء والأجهزة التي تعمل ليل نهار، والأمراض والأدوية، فضلا عن النفس الإنسانية ذلك العالم الخفي، يقول (ألكسيس كاريل) الحائز على جائزة نوبل ومؤلف كتاب: (الإنسان ذلك المجهول): « لقد بذل

(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم، (٢/ ٣٨٤). بَيْنَ الصَّفَّيْنِ: في المعارك، حيث يتبختر المقاتل لترهيب العدو، ومذرة رائحة غير مرغوبة كرائحة البيض، وعذرة ما خرج يابسا.

(٢) ترتيب الأمالي الخميسية، للشجري (١/ ٣٦٠) والبيت أنشده أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدٍ الْبَاقِي، كما روى المؤلف.

الجنس البشري مجهودا جبارا لكي يعرف نفسه، وبالرغم من أننا نملك كنوزا زاخرة وتراثا هائلا من نتاج العلماء والفلاسفة والأدباء والمصلحين في جميع الأزمان، فإننا استطعنا أن نفهم جوانب معيّنة فقط من أنفسنا ... إننا لا نفهم الإنسانَ ككلٍّ ... « [1]

ويذكر برتراندراسل أحد فلاسفة الغرب: « أنه على الرغم من كونه وصل إلى كثيرٍ مما كان يحلُمُ به ويسعى للوصول إليه إلا أنه لم يعد من سعيه وراء أمنيته الأولى وهي المعرفة إلا بأوكس الحظوظ»[2].

«فالنفسُ البشريةُ حصنٌ أُحْكِمَتْ أقفالُهُ ولغزٌ معقَّدٌ أتْعَبَ العقولَ وحيَّر الفلاسفة والمفكرين منذ أقدم العصور، وما زالت أقفالُ الحصن عصيةً لا تلين، وطلاسمُ اللغز متأبِّيَةً لا تُحَلُّ، ولقد بُذِلَتْ في العصر الحديث جهودٌ كبيرة، واهتمت المدنيةُ الحديثة بعلم النفس اهتماما بالغا، وتجرَّد له علماء وأنشئت له معاهد، ووضعت نظريات، وألفت الكتب، حتى إذا ظن الناس أنهم وصلوا إلى معرفة النفس وفهم أسرارها وحلِّ عقدها والولوج لمساربها؛ تبين لهم أن هذه النظريات والآراء ما زالت محاولات في أول الطريق، لم تصل بعد إلى المعرفة الصحيحة بالنفس، ولا إلى درجة الحقائق العلمية الثابتة، ومعرفة النفس البشرية ضرورة لازمة لأية دعوة تخاطب هذه النفس، ولأي منهج يهدف إلى تربيتها، ولأي تشريع أو نظام يريد أن يقومها، وأيُّ جهد في هذا السبيل بغير هذه المعرفة جهدٌ ضائعٌ؛ لأنه بُنِيَ على جهلٍ وأُسِّسَ على ضلال ... ومنهج القرآن في دعوة هذه النفس منهجُ العليم بأسرارها الخبير بما يفسدها أو يزكِّيها، المطَّلع على مواطن القوة والضعف فيها « [3] . وصدق ربنا جَلَّوَعَلَا حين يلفت أبصارنا وبصائرنا بقوة إلى عالمنا ﴿ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٞ لِّلۡمُوقِنِينَ ٢٠ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ٢١ ﴾ [سورة الذاريات: ٢٠ – ٢١].

ثانيا: رسالة حب وتعظيم: تحمل الآيات الأولى رسالةً معطرةً بالمحبّة مختومةً بتعظيم الله، إذ يتودَّدُ إلينا ربُّنا، فيخبرُنا أولَ ما يخبرنا أنه خلقنا، فيمتنُّ علينا بأعظم نعمه ومَنشئِها نعمة خلق الإنسان، حيث وهبنا الحياة ومنحنا الوجود، وأولانا العناية منذ أن كنَّا شيئا لا يُذكرُ في بطون أمهاتنا، حتى خرجنا من ظلمات الرحِم وضيقِه إلى نور الدنيا وسعتِها ومباهجِها، فحين نتأمل في مراحل خلقنا ندرك قدرة

(١) الإنسان ذلك المجهول، ألكسيس كاريل، (ص ١٦) .

(٢) منهج الحضارة الإنسانية في القرآن، محمد سعيد رمضان البوطي، (ص ١٣٧).

(٣) منهج القرآن في التربية، محمد شديد، ٦٦-٦٧ بتصرُّف .

الله تعالى ونشهد بعظمته سبحانه، كيف بدأ الإنسان أولى مراحله، شيئا عالقا في جدار الرحم، حتى خرج طفلا كامل الخلقة، سليم الأعضاء، إنه شاهد من شواهد العظمة، وقد لفت نبي الله نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ قومه إلى هذا المعنى العظيم، فقال مخاطبًا لهم ومنكرًا حالهم مع ربهم، ﴿ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ ﴾ [سورة نوح: ١٣ - ١٤]. فإن التأمل في أطوار خلقنا مما يزيدنا تعظيما وتوقيرا لخالقنا جَلَّ وَعَلَا، وهذا نبي الله إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ يعلن عن توحيده وحبِّه وولائِه لربه، فيقول مخاطبا قومه منكرا عليهم شركَهم ومقرِّرًا أصل التوحيد ﴿ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ ﴾ [سورة الشعراء: ٧٥ - ٧٨]، فذكر في التعريف بربه: أنه الذي خلقه.

يأمرنا ربُّنا أول ما يأمرنا بقراءة كتابه الذي به هدايتُنا وفلاحُنا، مذكِّرا لنا بربوبيته وما تعنيه من لطف ورعاية وهداية وإصلاح وتربية وتنشئة وتدبيرٍ لمصالحنا، ﴿ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴾، كما نلمسُ في تكرار ذكر عنوان الربوبية تودُّدًا للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولكل تالٍ للقرآن، مع التذكير بما تحمله الكلمة من معاني اللطف والتدبير والحفظ والإبقاء والهداية، ومجيئ أول وصف لله تعالى بأنه الأكرم مما يزيد القلب محبة لهذا الرب، واطمئنانا لثوابه، وطمعا في جوده.

وقد أشار المفسرون إلى ما في الخطاب للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الأنس، فقال ابن جُزي:" كرّر الأمر بالقراءة تأكيدا والواو للحال، والمقصود تأنيس النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كأنه يقول: افعل ما أُمِرْتَ به فإن ربك كريم». (١)

وقال ابن عطية: « ثم قال تعالى: ﴿ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴾ على جهة التأنيس، كأنه يقول: امض لما أُمِرْتَ به وربُّك ليس كهذه الأرباب، بل هو الأكرم الذي لا يلحقه نقص، فهو ينصرك ويظهرك». (٢)
قال القلقشندي: « فأخبر تعالى أنه علم بالقلم حيث وصف نفسه بالكرم إشارة إلى أن تعليم الكتابة من جزيل نعمه وإيذانا بأن منحها من أوفر جوده وفائض ديمه»(٣).

وقال أبو حيان: «وجاء الخطاب ليدل على الاختصاص والتأنيس، أي ليس لك رب غيره» (٤).

(١) التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي الغرناطي، (٢/ ٤٩٦).
(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، (٥/ ٥٠٢).
(٣) صبح الأعشى، للقلقشندي، (١ / ٢٣٥).
(٤) البحر المحيط، لأبي حيان الغرناطي، (١٠/ ٥٠٧).

وقال الشنقيطي: « وصفة ربك هنا لها مدلول الربوبية الذي ينبه العبد إلى ما أولاه الله إياه من التربية والرعاية والعناية، إذ الرب يفعل لعبده ما يصلحه، ومن كمال إصلاحه أن يرسل إليه من يقرأ عليه وحيه بخبري الدنيا والآخرة، وفي إضافته إلى المخاطب إيناس له. ». (١)

ثالثا: رسالة علم وارتقاء: أمّةٌ أمِّيَّةٌ لا تقرأ ولا تكتب، ولا تحفظُ علماً ولا معرفةً، يأتيهم النّبيُّ الأُمِّيُّ المُرسلُ من عند الله عَزَّوَجَلَّ بكتابٍ فيه عزُّهم ومجدُهم، وفيه نجاتُهم وعصمتُهم، وفيه تهذيبُ سلوكهم وتقويمُ مسالكهم والارتقاء بهم، بعد أن كانوا في ظلامٍ دامسٍ وتخبُّطٍ حائرٍ وجاهليّةٍ جهلاء، ولبثتْ بيئاتُهم مُقفرةً موحشةً، يأكل الغنيُّ عَرَقَ الفقير ويسطو القويُّ على الضّعيف، فجاء القُرآنُ بالعلم الذي يُحيي موات القلوب ويصلح فسادها ويجلّيها، ويُوقدُ سِراجَها، جاء بمنهجٍ وطريقٍ وركائز لبناء أسمى الحضارات وأنقاها، لم تكن تلك الحضارة الإسلامية ربيبةً لحضارةٍ أُخرى، أو متسلّقة على غُصونها، بل قامت على رمال الصّحراء الشّاسعة وأوقدت شُعلتها وأشرقت شمسُها بعد ظلام ليلٍ طويلٍ حالكٍ، لتنثُر ضياءها في رُبوع الكون، ولتبدأ البشريّة عهداً جديداً في ظِلال الإسلام، الذي تولّى قيادة موكب الإنسانيّة قروناً عديدة، جاء بالرُّوح التي تسري في الأمة، فإذا هي حيّةٌ نابضة بعد أن كانت راقدةً خامدة.

تتساءل المستشرقة الألمانية المنصفة سيجريد هونكه في كتابها الرائع شمس العرب تسطع على الغرب، وهو من أروعِ ما كتبه مستشرق منصف عن حضارة الإسلام: « إن هذه القفزة السريعة المدهشة في سلّم الحضارة التي قفزها أبناء الصحراء والتي بدأت من لا شيء لهي ظاهرة جديرة بالاعتبار في تاريخ الفكر الإنساني، وإن انتصاراتهم العلمية المتلاحقة التي جعلت منهم سادة للشعوب المتحضرة في هذا العصر لفريدة في نوعها، لدرجة تجعلها أعظم من أن تقارن بغيرها، وتدعونا هنا أن نقف هنيهة متأملين، كيف حدث هذا؟ وكيف أمكن لشعب لم يمثّل من قبل دورا حضاريا أو سياسيا يُذْكَر أن يقف مع الإغريق في فترة وجيزة على قدم المساواة؟ إن ما حققه العرب لم تستطع أن تحققه شعوبٌ كثيرة أخرى كانت تمتلك من مقومات الحضارة ما قد كان يؤهلُها لهذا» (٢) وتقول في موضع آخر من الكتاب وهي تستعرض المكتبات العربية الزاخرة من أقصى الشرق إلى بلاد الأندلس: « إن متوسط ما

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، (٩/ ١٤).

(٢) شمس العرب تسطع على الغرب، سيجريد هونكة، مستشرقة ألمانية نقله للعربية فاروق بيضون، كمال دسوقي، (ص ٣٥٤).

كانت تحتويه مكتبةٌ خاصةٌ لعربي في القرن العاشر الميلادي، كان أكثر مما تحويه كل مكتبات الغرب مجتمعة!» [١].

إن الحاجة إلى العلم ضروريَّةٌ للإنسان، فهو أساس النهضة والتقدم، وعماد الحضارة، وقوام الحياة، لذا قام الإسلام على أساس متين من العلم، وحسبنا أن أول آيات نزلت من الوحي الإلهي إلى قلب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أشارت إلى فضل العلم، حيث أمر بالقراءة، وهي مفتاح العلم، ونوهت بـ (القلم)، وهو رمزُ العلم وأداتُه التي يدوَّن بها، قال تعالى: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾، فلا يُعرف دين مثل الإسلام، ولا كتاب مثل القرآن، أشاد بالعلم، وحثَّ عليه، ورغّب في طلبه، ونوَّه بأهله ومكانتهم، وأعلى من قدرهم، وبيَّن فضل العلم وأثره في الدنيا والآخرة، وحضّ على التعلم والتعليم.

قد يتحسَّرُ المعلِّمُ على وقتٍ ضيَّعه، أو يشكو من ضعف راتبه أو قلة تقدير المجتمع له، وربما قارن نفسه بمن ينال أجرا باهظا مقابل أعمال لا قيمة لها كأهل الفن والرياضة، ممن يحظون بتقدير المجتمع وتسليط الأضواء على أعمال لاهيةٍ عابثة، لا نفع لها بل تضرُّ كثيرا، كنجوم الفن والرياضة، فليتذكر أن هناك من لا يبخسه حقه بل يثيبه أعظم ثواب . ﴿ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ﴾ . ولقد بيَّن القرآن الكريم ما لأهل العلم من مكانة ومثوبة، وكيف يرفع العلم صاحبه إلى معالي الدرجات، فكرّم الله أهل العلم بأن فضَّلهم على غيرهم ممن لا علم له ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سورة الزمر: ٩]. وكرَّمهم بأن رفعهم درجات عظيمة، قال تعالى ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَـٰتٍ﴾ [سورة المجادلة: ١١]، وكرمهم بأن جعلهم ورثة أنبيائه وحراسَ شريعته وحملةَ كتابه ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ۝٣٢﴾[سورة فاطر: ٣٢]، فهل بعد ذلك يقلل البعض من مكانة المعلم أو يزدريه، أو يقلل من شأن العلم! الذي جاء في الرسالة الأولى مقترنا بنعمة الحياة، فواهب الوجود هو واهب العلم، والعلم حياة للقلوب والأرواح، كما أن الخلق انتقال من الموت للحياة، فالجهل موت، كذلك لما أراد الله تعالى أن يذكر مثالا لكرمه الذي لا حدّ له ذكر مثالا بتعليمه للإنسان، فدل على أن العلم أجل النعم وأعظم مظاهر الكرم. « والعلم الذي يُقبل المسلم عليه، ويستفتح أبوابه بقوة، ويرحل لطلبه

(١) شمس العرب تسطع على الغرب، سيجريد هونكة، (ص ٣٨٨)

من أقصى المشارق والمغارب، ليس علما معيّنا محدود البداية والنهاية فكل ما يوسع منادح النظر، ويزيح السدود أمام العقل النَّهم إلى المزيد من العرفان، وكل ما يوثق صلة الإنسان بالوجود ويفتح له آمادا أبعد من الكشف والإدراك وكل ما يتيح له السيادة في العالم والتحكُّم في قواه، والإفادة من ذخائره المكنونة»[1]. وفي امتنانه تعالى على خلقه بتعليمهم ما لم يعلموا ما يوحي بفضل المعلم ومنَّته على من يعلمه. وصدق أمير الشعراء:

قُم لِلمُعَلِّمِ وَفِّهِ التَبجيلا ... كادَ المُعَلِّمُ أَن يَكونَ رَسولا
أَعَلِمتَ أَشرَفَ أَو أَجَلَّ مِنَ الَّذي ... يَبني وَيُنشِئُ أَنفُسًا وَعُقولا
سُبحانَكَ اللَهُمَّ خَيرَ مُعَلِّمٍ ... عَلَّمتَ بِالقَلَمِ القُرونَ الأولى
أَخرَجتَ هَذا العَقلَ مِن ظُلُماتِهِ ... وَهَدَيتَهُ النورَ المُبينَ سَبيلا
أَرسَلتَ بِالتَوراةِ موسى مُرشِدًا ... وَابنَ البَتولِ تَعَلَّمَ الإِنجيلا
وَفَجَّرتَ يَنبوعَ البَيانِ مُحَمَّدًا ... فَسَقى الحَديثَ وَناوَلَ التَنزيلا[2].

«قال الملوي: ولو كان شيء من العطاء والنعم أشرف من العلم لذكره تعالى عقب صفة الأكرمية – انتهى، وفي ذلك إشارة إلى مزيد كرم العلماء بالتعليم»[3].

لماذا الامتنان بنعمة القلم؟ القلم آلة من ضمن آلاف الآلات التي يستخدمها البشر في حياتهم اليومية، بل إنه من أيسر المخترعات وأبسط الصناعات؛ فلماذا الامتنان بذكره في أول رسالة قرآنية؟

قال قتادة: القلم نعمة من الله عَزَّوَجَلَّ عظيمة، لولا ذلك لم يقم دين ولم يصلح عيش، فدل على كمال كرمه بأنه علم عباده ما لم يعلموا ونقلهم من ظلمة الجهل إلى نور العلم، ونبه على فضل علم الكتابة لما فيه من المنافع العظيمة التي لا يحيط بها إلا هو، وما دونت العلوم ولا قيدت الحكم ولا ضبطت أخبار الأولين ومقالاتهم ولا كتب الله المنزلة إلا بالكتابة، ولولا هي ما استقامت أمور

(١) حقوق الإنسان، محمد الغزالي، (ص١٤٨).

(٢) الشوقيات، (١/ ١٨١).

(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي، (٢٢/ ١٦١). ولي الدين أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الملوي الديباجي الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ ذو الفنون بالقاهرة ٧٧٤ هـ. وكان من أعيان فقهاء الديار المصرية.

الدين ولا أمور الدنيا.[١] وقال الزمخشري: « ولو لم يكن على دقيق حكمة الله ولطيف تدبيره ودليل إلا أمر القلم والخط، لكفى به».[٢] وقال ابن القيم: «التعليم بالقلم من أعظم نعمه على عباده؛ إذ به تخلد العلوم وتثبتُ الحقوقُ وتُعْلَمُ الوصايا وتحفظُ الشهادات ويُضْبَطُ حسابُ المعاملات الواقعة بين الناس، وبه تقيَّدُ أخبار الماضين للباقين اللاحقين، ولولا الكتابة لانقطعت أخبار بعض الأزمنة عن بعض، ودرست السنن وتخبطت الأحكام، ولم يعرف الخلف مذاهب السلف. ... فجعل لهم الكتاب وعاء حافظا للعلم من الضياع. كالأوعية التي تحفظ الأمتعة من الذهاب والبطلان. فنعمة الله عزّ وجلّ بتعليم القلم بعد القرآن، من أجلّ النعم، والتعليم به، وإن كان مما يخلص إليه الإنسان بالفطنة والحيلة، فإن الذي بلغ به ذلك وأوصله إليه عطية وهبها الله منه، وفضل أعطاه الله إياه، وزيادة في خلقه وفضله، فهو الذي علمه الكتابة، وإن كان هو المتعلم ففعله فعل مطاوع لتعليم الذي علم بالقلم، فإنه علَّمه فتعلَّم، كما أنه علَّمه الكلام فتكلَّم. هذا، ومن أعطاه الذهن الذي يعي به، واللسان الذي يترجم».[٣]

وقال المراغي: «ولعمرك لولا القلم ما حفظت العلوم، ولا أحصيت الجيوش، ولضاعت الديانات، ولا عرف الأواخر معارف الأوائل، وعلومهم ومخترعاتهم وفنونهم، ولما سجّل تاريخ السابقين: المسيئين منهم والمحسنين، ولا كان علمهم نبراسا يهتدى به الخلف، ويبنى عليه ما به ترقى الأمم، وتتقدم المخترعات».[٤] وقال عبد الكريم الخطيب: «ومن كرمه سبحانه أنه جعل من القلم الذي هو قطعة جامدة من الحطب، أو الخشب، أداة للعلم والمعرفة، ففتح به على الإنسان أبواب العلوم والمعارف، وجعل من ثماره هذه الكتب التي حفظت ثمار العقول، فكانت ميراثا للعلماء، يرثها الخلف عن السلف، وينميها ويثمرها العلماء جيلا بعد جيل.. وبهذا تعلم الإنسان ما لم يكن يعلم، وبعلمه هذا المستفاد من سلفه، فتح أبوابا جديدة من العلم يتلقاها عنه من بعده، ويفعل فعله، بما يفتح من أبواب جديدة للعلم.. وهكذا تتسع معارف الإنسان، ويزداد علمه على مدى الأجيال»[٥].

(١) اللباب في علوم الكتاب، لابن عادل، (٢٠/ ٤١٥).

(٢) الكشاف، للزمخشري، (٤ / ٧٨٢) بتصرف.

(٣) مفتاح دار السعادة، لابن القيم، (١ / ٢٧٨).

(٤) تفسير المراغي، (٣٠/ ٢٠٠).

(٥) التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب، (١٦/ ١٦٢٥).

المبحث الثالث: ثمراتها.

كان لهذه الآيات الأُوَل وقعُها على هذه الأمَّة الأميَّة التي تخلَّفت عن ركب الحضارة ببداوتِها وقسوة حياتها وبعدِها النّائي عن الحضارتين العريقيتين آنئذ، الفرس والروم، ومراكز الإشعاع الثقافي لهما، فكانت بمثابة القبس الذي أضاء شعلة الحضارة الإنسانية الراشدة، وأوقد جذوتها من قلب رماد الصحراء القاسية، لينطلق العرب روادا لحضارة رائدة ومصلحين للأمم والشعوب، وينشروا التوحيد والعدل الذي جاء به الإسلام. كان أول ما نزل من آيات القرآن «أول صيحة تسمو بقدر القلم وتنوه بقيمة العلم وتعلن الحرب على الأمية الغافلة، وتجعل اللبنة الأولى في بناء كل رجل عظيم أن يقرأ وأن يتعلم» [(١)].

يقول الدكتور نور الدين عتر: «وليس يخفى ما في هذا الافتتاح لبدء الوحي بـ ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ﴾ من الحكمة الجليلة حتى إن الخطباء والكتّاب والأدباء لا يملُّون من القول فيها، ومن أن يردِّدوه في كلِّ مناسبة تقال عن العلم وعن الحضارة، وعن الثقافة وعن القرآن وعن الإسلام، وعن أثر القرآن في تحويل العالم، ولا سيَّما إذا قارنَّا ذلك بما افتُتح به كتابٌ آخرُ لدى الأمم الأخرى». [(٢)]

ويقول الدكتور ستانلي لين بول في كتابه «تاريخ العالم»: «لم يحدث في تاريخ المدنية حركة أكثر روعة من ذلك الشغف الفجائي بالثقافة الذي حدث في جميع أنحاء العالم الإسلامي، فكان كل مسلم، من الخليفة إلى الصانع، يبدو كأنما قد اعتراه فجأة شوقٌ إلى العلم وظمأٌ إلى السفر، وكان ذلك خيرَ ما قدّمه الإسلام من جميع الجهات». [(٣)] ويقول أستاذ الفلسفة الفرنسي روبرت بيرجوزيف: وقد اعتنق الإسلام بعد دراسة جادَّةٍ مُضنية أفضت به إلى اقتناع كامل به: «إنه بلا شك أن الإسلام –وهو دين العلم والمعرفة – يدعو معتنقيه إلى التزود بالعلم، ولا غَرْوَ في ذلك، فإنَّ أولَ آية من القرآن الكريم هي قولُهُ تعالى لرسوله الكريم: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾ » [(٤)].

ويقول د. ماكس مايروهوف «.. كانت العلوم الإسلامية وهي في أَوْجِ عظمتها تضيء كما يضيء القمر فتبدِّد غياهب الظلام الذي كان يلف أوروبا في القرون الوسطى.. ولما كان لتلك العلوم سهمها

(١) خلق المسلم، محمد الغزالي، (ص ١٩٥).

(٢) علوم القرآن الكريم، نور الدين عتر الحلبي، (ص: ٣٦) . بتصرف.

(٣) تاريخ العالم، (نشره السير جون. أ. هامرتن)، (٤ / ٦٠٧) .

(٤) رحلة إيمانية مع رجال ونساء أسلموا، (ص: ٣١٦).

الأوفى في توجيه عهد (إحياء العلوم) وحث خطواته، فعلينا أن نقرّ مذعنين بأن التراث العربي الإسلامي مازال يعيش في علومنا حتى الآن»[١].

وتقول بوجينا جيانة: «إن القرآن الكريم مع أنه أنزل على رجل عربي أمي نشأ في أمة أمية، فقد جاء بقوانين لا يمكن أن يتعلمها الإنسان إلا في أرقى الجامعات، كما نجد في القرآن حقائق علمية لم يعرفها العالم إلا بعد قرون طويلة»[٢].

وإن أمثال هذه الشهادات الناصعة من الغربيين هي التي حملت بعض المنصفين منهم أن يعتبروا معركة «بواتييه» التي انهزم فيها العرب على أعتاب فرنسا، نذير شؤم على أوروبا والإنسانية عامة، وأن فرنسا ضاعت عليها فرصة تاريخية للحاق المبكّر بركب الحضارة العربية التي ازدهرت بعد ذلك بزمن وجيز، أي: إنها فقدت فرصة عظيمة لاختصار عهد الفوضى الإقطاعية، وتكوين وحدتها القومية. يقول أناتول فرانس في «الحياة المزهرة»: «... إن أكثر أيام التاريخ شؤما هو اليوم الذي جرت فيه معركة «بواتييه» في سنة ٧٣٢م، حين تراجع العلم والفن العربيان والحضارة العربية أمام البربرية الفرنجية». [٣]

وختاما يقول الشيخ محمد عبده: «لا يوجد بيان أبرع ولا دليل أقطع على فضل القراءة والكتابة والعلم بجميع أنواعه. من افتتاح الله كتابه وابتدائه الوحي بهذه الآيات الباهرات. فإن لم يهتد المسلمون بهذا الهدى، ولم ينبههم النظر فيه إلى النهوض إلى تمزيق تلك الحجب التي حجبت عن أبصارهم نور العلم، وكسر تلك الأبواب التي غلقها عليهم رؤساؤهم وحبسوهم بها في ظلمات من الجهل وإن لم يسترشدوا بفاتحة هذا الكتاب المبين، ولم يستضيئوا بهذا الضياء الساطع، فلا أرشدهم الله أبدا» [٤].

(١) تراث الإسلام، (إشراف سير توماس ارنولد)، (ص ٥٠٦).

(٢) تاريخ الدولة الإسلامية وتشريعها، بوجينا غيانة ستشيجفسكا ص ١٧ . باحثة بولونية درست في الأزهر خمس سنوات (١٩٦١-١٩٦٥)، وقبلها في معهد اللغات الشرقية في بولونيا.

(٣) الحضارة العربية، لروجيه جارودي، (ص٨، ٩). نقلا عن قصة الأدب في الحجاز، عبد الله عبد الجبار، محمد عبد المنعم خفاجي (ص: ١٠٥). ومعركة بواتيه المعروفة لدى المسلمين بمعركة بلاط الشهداء عام (١١٤هـ - ٧٣٢م) والتي فيها هزم المسلمون وتم وقف المد الإسلامي وإعاقته عن الامتداد فيما وراء جبال البرانس.

(٤) تفسير جزء عم، للشيخ محمد عبده، (ص ١٢٤).

المبحث الرابع: مكانة الوحي.

لقد كان الوحيُ منذ بدايتِه، وحتى تمامِه، فاتحةَ خيرٍ على المؤمنين خاصةً وعلى الإنسانية جمعاء، يتضح ذلك حين نتتبع نزوله، وفق الأحداث والنوازل، معقِّبا وموجِّها، ومجيبا عن التساؤلات، ومفنِّدا لما يطرحُ من شبهات، ومدحضًا لحججِ المخالفين، وقامعًا للأعداء المناوئين، ومزلزلا عروشَ الظالمين، وفاضحًا تآمرَ المنافقين، وهادما لصروح الجاهلية مقتلعا نبتتها مجتثا جذورها، مبطلا لعاداتها وتقاليدها الظالمة، بينما نراه في المقابل بلسما وسلاما على عباد الله الصالحين، ورحمةً وشفاء لقلوب المؤمنين، لذا أحب الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نزوله وكذلك الصحابة، وترقبوه كما يترقبُ أهلُ البادية المطر، وفرحوا بنزوله كما يفرحُ الظمآن بالماء البارد، فكان يتنزل بالخير والبركات ويفيض بالأجر والمثوبات، ويُرسَلُ بالمبشرات، وينطق بالأجوبة الشافية، ويُسجِّل المناقب والمكرمات، يوجِّه المؤمنين، ويرشدهم، ويشِيد بجهادهم ويلهب حماسهم، ويشدُّ أزرهم، ويثبت قلوبَهم، ويفرّج همومهم، ويغسِل أحزانهم، ويداوي جراحهم، فكان ربيع القلوب، ونسيم الأرواح، وبهجة النفوس، كم انجلى برفع الحرج عنهم، وكم صرَّح بتبرئة ساحة متّهمٍ ظلما، وكم كان ينزل تسليةً لمصابٍ ألمَّ بالمؤمنين، بل كان ينزل احتفالا بنصرهم، فكان روحا حاضرةً تسري في المجتمع، نزل ببراءة أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بعد انقطاعٍ زاد عن شهرٍ، جعل النفوس إليه متشوّفة، والقلوب عطشى، نزل ببراءتها بعد طول انقطاع، آياتٍ تتلى تنزه ساحتها وتزكّيها، وتشيد بموقف المؤمنين الصادقين من هذه المحنة، وتتوعد الخبيثين الأفّاكين، وتعاتب وتوبخ من أشاع هذا الإفك، وتمتدح أبا بكر الصديق، وتصدّق نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي قال لعائشة «... **فَإِنْ كُنْتِ بَرِيئَةً فَسَيُبَرِّئُكِ اللهُ**»، وقولها «وَاللهُ يَعْلَمُ حِينَئِذٍ أَنِّي بَرِيئَةٌ، وَاللهُ يُبَرِّئُنِي بِبَرَاءَتِي، وَلَكِنْ وَاللهِ مَا كُنْتُ أَظُنُّ أَنَّ اللهَ يُنَزِّلُ فِي شَأْنِي وَحْيًا، وَلَشَأْنِي - كَانَ - أَحْقَرُ فِي نَفْسِي مِنْ أَنْ يَتَكَلَّمَ اللهُ فِيَّ بِأَمْرٍ يُتْلَى، وَلَكِنْ قَدْ كُنْتُ أَرْجُو أَنْ يَرَى رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيَّ رُؤْيَا فِي النَّوْمِ يُبَرِّئُنِي اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهَا. قَالَتْ: فَوَاللهِ مَا قَامَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلا خرجَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ حَتَّى أَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِ، وَأَخَذَهُ مَا كَانَ يَأْخُذُهُ مِنَ الْبُرَحَاءِ، حَتَّى أَنَّهُ لَيَتَحَدَّرُ مِنْهُ مِنَ الْعَرَقِ مِثْلَ الْجُمَانِ، وَهُوَ فِي يَوْمٍ شَاتٍ، مِنْ ثِقَلِ الْقَوْلِ الَّذِي يَنْزِلُ عَلَيْهِ. قَالَتْ: فَسُرِّيَ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ

يَضْحَكُ، فَكَانَ أَوَّلُ كَلِمَةٍ تَكَلَّمَ بِهَا أَنْ قَالَ: «**أَبْشِرِي يَا عَائِشَةُ، أَمَّا اللهُ فَقَدْ بَرَّأَكِ**». قَالَتْ: فَقَالَ لِي أَبِي: قُومِي إِلَيْهِ، قُلْتُ: وَاللهِ لا أَقُومُ إِلَيْهِ، وَإِنِّي لأَحْمَدُ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ...».[١]

وعندما جاءت خولة بنت ثعلبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا شاكيةً زوجها الذي ظاهر منها، ودار حوارٌ بينها وبين رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أنزل الله في شأنها قرآنا يتلى، نزل في التوِّ بإنصافها وتفريج همها،[٢] وهكذا كان الوحي فاتحةَ خير! كم نزل ببراءة أشخاصٍ أو أقوام! وكم أفاض بالبركة والخير، والتكريم والبشارات! ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [سورة الإسراء: ٨٢] بينما كان حربا على أعداء الله يترصَّدهم فيرهبون نزوله، ﴿ يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [سورة التوبة: ٦٤]، ومن هنا ندرك سرَّ بكاء أم أيمن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عندما زارها الصاحبان أبو بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بَعْدَ وَفَاةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعُمَرَ انْطَلِقْ بِنَا إِلَى أُمِّ أَيْمَنَ نَزُورُهَا كَمَا كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَزُورُهَا، فَلَمَّا انْتَهَيْنَا إِلَيْهَا بَكَتْ، فَقَالاَ لَهَا مَا يُبْكِيكِ مَا عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ لِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فَقَالَتْ: مَا أَبْكِي أَنْ لاَ أَكُونَ أَعْلَمُ أَنَّ مَا عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ لِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَكِنْ أَبْكِي أَنَّ الْوَحْيَ قَدِ انْقَطَعَ مِنَ السَّمَاءِ، فَهَيَّجَتْهُمَا عَلَى الْبُكَاءِ، فَجَعَلاَ يَبْكِيَانِ مَعَهَا .[٣] هذه الصحابية التي كانت قريبة من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في شتى مراحل حياته، منذ أن كانت حاضنةً له في صغره ثم أعتقها، وأسلمت وهاجرت، وأنجبت للأمة قائدا، أسامة بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قائد جيش المسلمين، الذي أنفذه أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ للشام.

أدركت أهميةَ الوحيِ الذي انقطع بموت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد أن أكمل الله الدين وأتم النعمة، فكان نزول الوحي في حياته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حدثًا جليلا يدخل السرور على القلوب، ويثبت الأفئدة،

---

(١) رواه البخاري في صحيحه عن عائشة ك التفسير باب (لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون ..) حديث (٤٧٥٠) ورواه الإمام مسلم في صحيحه عن عائشة ك التوبة باب في حديث الإفك وقبول توبة القاذف حديث (٢٧٧٠) .

(٢) روى الحاكم في المستدرك بسنده عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: تَبَارَكَ الَّذِي وَسِعَ سَمْعُهُ كُلَّ شَيْءٍ إِنِّي لأَسْمَعُ كَلاَمَ خَوْلَةَ بِنْتِ ثَعْلَبَةَ وَيَخْفَى عَلَيَّ بَعْضُهُ، وَهِيَ تَشْتَكِي زَوْجَهَا إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهِيَ تَقُولُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَكَلَ شَبَابِي وَنَثَرْتُ لَهُ بَطْنِي، حَتَّى إِذَا كَبِرَتْ سِنِّي وَانْقَطَعَ لَهُ وَلَدِي ظَاهَرَ مِنِّي! اللَّهُمَّ إِنِّي أَشْكُو إِلَيْكَ! قَالَتْ عَائِشَةُ: فَمَا بَرِحَتْ حَتَّى نَزَلَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ بِهَؤُلاَءِ الآيَاتِ {قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا}، قَالَ: وَزَوْجُهَا أَوْسُ بْنُ الصَّامِتِ. الآيات . رواه الحاكم في المستدرك كتاب التفسير باب تفسير سورة المجادلة، (٢/ ٤٨١) واللفظ له وقال حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وصححه الذهبي. ورواه البخاري معلقا في صحيحه عن عائشة، كتاب التوحيد باب (وكان الله سميعا بصيرا)، فتح الباري، (١٣/ ٣٨٤) ورواه النسائي موصولا في السنن كتاب الطلاق باب الظهار (٦/ ١٦٧) .

(٣) رواه مسلم في الصحيح فضائل الصحابة باب مِنْ فَضَائِلِ أُمِّ أَيْمَنَ رضى الله عنها - حديث (١٠٣)- (٢٤٥٤) .

ويزيد المؤمنين إيمانا ويقينا وعلما وعملا، أثارت الزيارةُ شجونها ففاضت عبراتها، حين ذكَّرَها الصاحبان بالحبيب صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وحين تبكي امرأةٌ لانقطاع الوحي فتلك شهادةٌ صادقةٌ على حُبِّ ما جاء به الوحيُ وقبول رافديه: الكتاب والسنة، ففيهما الخير والرحمة والتيسير ورفع الحرج ودفع الظلمِ عن النساء، وتخليصهن من عادات الجاهلية الذميمة والتي كان لهن نصيب أكبر في تبعاتها، إذ كن ضحايا لتلك التقاليد البالية الطاغية، جاء الوحي بتكريم المؤمنات، والارتقاء بهن إلى معالى الفضيلة، وإرشادهن إلى صلاح الدين والدنيا، حتى حفلت كتب السيرة والتاريخ والتراجم بأسماء النساء اللاتي سطَّرن صحائف من ضياء وعطَّرن أجواء الحياة بمآثرهنَّ الشريفة، ومناقبهن المنيفة، فكنَّ أنجما زاهرات يتألقن في سماء الإنسانية . قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وَاللهِ إِنْ كُنَّا فِي الْجَاهِلِيَّةِ مَا نَعُدُّ لِلنِّسَاءِ أَمْرًا حَتَّى أَنْزَلَ اللهُ فِيهِنَّ مَا أَنْزَلَ وَقَسَمَ لَهُنَّ مَا قَسَمَ». (١) وهل يمكنُ لغير وحي الله تعالى أن يغيِّر واقع الجاهلية القاسي ويبدد ظلامها الدامس!

وصدق الله تعالى إذ يقول: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾[سورة الشورى: ٥٢].

(١) رواه البخاري في الصحيح كتاب التفسير - سورة الطلاق ، حديث (٤٦٢٩).

مجلة تعظيم الوحيين

الخاتمة

في نهاية المطاف، وبعد أن عشنا في رحاب أول ما نزل، وتأمّلنا في حديث بدء الوحي، نخلص إلى النتائج التالية:

١. أول ما نزل من القرآن صدر سورة العلق.

٢. من شواهد عناية القرآن بالإنسان ورود اسمه في أول رسالة قرآنية مرتين، في مقام الامتنان عليه، بأجلِّ نعمتين، نعمة الخلق ونعمة العلم.

٣. القرآن كتاب التوحيد كما يتضح من أولى رسائله، وهو كتاب علم وحضارة وارتقاء.

٤. تحمل الرسالة القرآنية الأولى رسالة تعظيم ومحبة وتودُّد من الله للعباد، ورسالة معرفة.

٥. أشادت الآيات الأولى بفضل العلم والقراءة والكتابة، وفضيلة القلم.

٦. كانت الآياتُ الأولى بداية مرحلةٍ جديدة في تاريخ الإنسانية عامّة، وعهد جديد في تاريخ العرب خاصة. إذ كانت منطلقاً لحضارة رائدةٍ.

٧. من محبة الله تعالى إكرام من أكرمه، وقد كرَّم الله أهل العلم، فالواجب إكرام العلماء.

توصية البحث:

أوصي بكتابة بحث حول تدبر آخر ما نزل من القرآن، لمعرفة آخر وصاياه. كما أوصي بدراسة حديثية موضوعية حول أحاديث بدء الوحي، ودراسة أثر القرآن الكريم في حياة الصحابة، وأثره في بناء الحضارة.

المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم.**

١. **الإتقان في علوم القرآن للسيوطي**، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي ت ٩١١ ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الأولى: ١٣٩٤هـ.

٢. **أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه**، للفاكهي: أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن العباس المكي الفاكهي (ت ٢٧٢هـ)، المحقق: د. عبد الملك عبد الله دهيش ط دار خضر – بيروت، ط٢، ١٤١٤.

٣. **إرشاد العقل السليم إلي مزايا الكتاب الكريم**، لأبي السعود محمد بن محمد مصطفي العمادي الحنفي (ت ٩٨٢ هـ) ط دار إحياء التراث العربي. بيروت.

٤. **أسباب نزول القرآن**، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ)، المحقق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، ط دار الإصلاح – الدمام، الطبعة: الثانية، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.

٥. **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، ابن عبد البر: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري القرطبي ت ٤٦٣.ط دار الجيل بيروت ١٤١٢. ط١.

٦. **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (ت ١٣٩٣هـ)، ط دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت ١٤١٥ هـ.

٧. **الإنسان ذلك المجهول**، ألكسيس كاريل. مكتبة المعارف.

٨. **البحر المحيط**، لأبي حيان الأندلسي محمد بن يوسف، ط دار الفكر.

٩. **بلاغ الرسالة القرآنية**، فريد الأنصاري، ط دار السلام القاهرة.

١٠. **البيان والتبيين**، للجاحظ: عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان،(ت ٢٥٥هـ) الناشر: دار ومكتبة الهلال، بيروت ١٤٢٣هـ.

١١. **تاريخ الدولة الإسلامية وتشريعها**، بوجينا غيانة، ط المكتب التجاري للترجمة والنشر بيروت، ١٩٦٦م.

١٢. **تاريخ العالم**، (نشره السير جون. أ. هامرتن) مكتبة النهضة المصرية.

١٣. **التحرير والتنوير**، للأستاذ محمد الطاهر بن عاشور (ت ١٣٩٣هـ) ط دار سحنون تونس.

١٤. **تراث الإسلام**، إشراف سير توماس ارنولد، جمهرة من المستشرقين بإشراف سير توماس أرنولد الناشـــر: دار الطليعة للنشر بيروت ١٩٧٢.

١٥. **تفسير القرآن العظيم**، للإمام الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي ت ٧٧٤ هـ ط مؤسسة قرطبة.

١٦. **تفسير المراغي**، أحمد بن مصطفى المراغي (ت ١٣٧١هـ) ط البابي الحلبي ط أولى، ١٣٦٥هـ.

١٧. **تفسير جزء عم**، للشيخ محمد عبده ط٣، ١٣٤١هـ مطبعة مصر، الجمعية الخيرية الإسلامية. ص ١٢٤.

١٨. **جامع البيان في تفسير القرآن**، محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠) ط دار إحياء التراث العربي ط ٢.

١٩. **الجامع لأحكام القرآن**، للقرطبي (أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي) ت ٦٧١ ط الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٨٧ م.

٢٠. **حقوق الإنسان**، محمد الغزالي، دار نهضة مصر طبعة١.

٢١. **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٥.

٢٢. **شمس العرب تسطع على الغرب**، سيجريد هونكة، مستشرقة ألمانية نقله للعربية فاروق بيضون، كمال دسوقي، ط دار صادر بيروت.

٢٣. **الشوقيات**، شعر أحمد شوقي، ط دار العودة بيروت.

٢٤. **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، أحمد بن علي القلقشندي، تحقيق: د.يوسف علي طويل ط دار الفكر – دمشق، ط أولى، ١٩٨٧م.

٢٥. **صحيح البخاري**، أبي عبد الله محمد بن إسماعيل (ت ٢٥٦هـ) ط دار الكتب العلمية بيروت لبنان.

٢٦. **صحيح مسلم**، الإمام مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري (ت ٢٦١ هـ) دار إحياء الكتب العربية.

٢٧. **علوم القرآن الكريم**، نور الدين عتر الحلبي مطبعة الصباح – دمشق الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ.

٢٨. **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار المعرفة بيروت، ١٣٧٩هـ.

٢٩. **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**، محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت ١٢٥٠ هـ) – ط دار الفكر بدون تاريخ.

٣٠. **في ظلال القرآن**، لسيد قطب (ت ١٩٦٦م) دار الشروق سنة ١٤٠٧ هـ – ط ١٣.

٣١. **قصة الأدب في الحجاز**، عبد الله عبد الجبار، محمد عبد المنعم خفاجى ط مكتبة الكليات الأزهرية. القاهرة ١٩٥٨م.

٣٢. **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، لمحمود بن عمر الزمخشري المعتزلي (ت ٥٢٨ هـ) ط دار الفكر بدون تاريخ.

٣٣. **اللباب في علوم الكتاب**، أبو حفص عمر بن علي ابن عادل الدمشقي الحنبلي، ت ما بعد ٨٨٠هـ دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤١٩ هـ، ط١، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض.

٣٤. **مجموع فتاوى ابن تيمية**، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية – ١٤١٦هـ.

٣٥. **المحرر الوجيز**، لابن عطية عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي(ت ٥٤٦هـ) ط مؤسسة دار العلوم الدوحة ١٤٠٣هـ.

٣٦. **المستفاد من ذيل تاريخ بغداد**، للخطيب البغدادي، انتقاء الحافظ ابن الدمياطي ت٧٤٩ه، دار الكتب العلمية بيروت. طبعة أولى ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م.

٣٧. **المصباح المنير في غريب الشَّرح الكبير**، للفيومي، أحمد بن محمد بن علي المقري، (ت ٧٧٠هـ) ط المكتبة العصرية.

٣٨. **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، للبغوي محيي السنة، أبي محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء الشافعي (ت ٥١٠هـ). تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ط دار إحياء التراث العربي بيروت ط١: ١٤٢٠ هـ

٣٩. **مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)**، لفخر الدين الرازي (ت ٦٠٦ هـ) دار الفكر ١٤٠٥ هـ.

٤٠. **مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة**، لابن القيم ت ٧٥١، دار الكتب العلمية.

٤١. **منهج الحضارة الإنسانية في القرآن**، د. محمد سعيد رمضان البوطي دار الفكر دمشق.

٤٢. **منهج القصة في القرآن**، محمد شديد، ط دار عكاظ جدة ١٤٠٤هـ

٤٣. **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، لبرهان الدين إبراهيم بن عمر بن حسن البقاعي ت ٨٨٥هـ، ط دار الكتاب الإسلامي بالقاهرة ط ٢، سنة ١٤١٣هـ.

مجلة تعظيم الوحيين

قراءة النص القرآني
من منظور الفلسفة التأريخية
(عرض ونقد)

د/ زهر الفتى صالحين

أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد في كلية أصول الدين،
جامعة فونوروغو الإسلامية الحكومية، جاوا الشرقية - إندونيسيا.

irul_16@yahoo.com

مجلة تعظيم الوحيين

ملخص البحث

موضوع البحث:

دراسة ما أثاره بعض المفكرين المسلمين عن تطبيق الفلسفة التأريخية في قراءة النصوص القرآنية.

هدف البحث:

١- الذَّبُّ عن القرآن الكريم، وردُّ الشبهات العقلية المعاصرة عنه.

٢- بيان حقيقة الفلسفة التأريخية في قراءة النصوص، وخاصة القرآن الكريم.

مشكلة البحث:

محاولة تطبيق هذه الفلسفة على النص القرآني، ومحاكمته؟

نتائج البحث:

١- أن الفلسفة التأريخية قائمة على المادية وإنكار الوحي وإنكار كل ما هو غير مادي، وهذا لا يجوز مع القرآن الكريم الذي هو وحي إلهي مقدس.

٢- أن العقلية البشرية التي تريد تطبيق الفلسفة التأريخية متعددة القدرات والرغبات، وبالتالي ستكون النتائج غير ثابتة أو غير متباينة.

الكلمات الدَّالة (المفتاحية):

التأريخية-الليبرالية-الهرمنيوطيقا- الواقع

مجلة تعظيم الوحيين

المقدمة

إن من المسائل المثارة في الفكر الإسلامي الحديث، والتي أخذت حيِّزاً لا بأس به من الدراسة والتحليل، مسألة نقد النصوص الشرعية أو نقد الخطاب الديني-على حدّ تعبير أحد دعاته: نصر حامد أبو زيد[1] المؤسَّس على معطيات الواقع الإنساني بمستجداته التقدمية، وأوضاعه وقيمه الجديدة.

من هنا صدر ما اصطلح بتأريخية النصوص الشرعية، بمعنى أن تلك النصوص لا تختلف عن غيرها من النصوص التي نشأت في الظروف التي أحاطت بها، ومن ثم فهي لا تتعدّى إلى الظروف التي تلتها، وبالتالي لا بد أن تشتق أفهام لتلك النصوص تخالف الأفهام القائمة على خصوصية ظروف النزول، وتتأسس على مراعاة الأوضاع الواقعية للإنسان المعاصر.

والمتتبع لهذه المسألة يجد تشابهاً كبيراً بما حدث في الغرب طوال حركة الإصلاح الديني، وذلك لمَّا طبق فلاسفة التنوير الغربي الفلسفة التأريخية على نصوصهم الدينية، معتقدين أن جميع القوانين الاجتماعية -حتى الشرائع الإلهية-تتصف بالنسبية التأريخية، وأنَّ القانون من نتاج العقل الجماعي.

يختص هذا البحث الموجز بالتعرض لمحاولات بعض المفكرين المسلمين؛ تطبيق هذه الفلسفة في قراءة النص القرآني باسم التكامل المنهجي حينا، ومواكبة الحياة حينا آخر، لا سيما بعد أن رأى هؤلاء أن من أهم عوامل نجاح الغربيين في الخروج من عصر الظلام إلى عصر التنوير هو تطبيق هذه الفلسفة تجاه كتبهم المقدَّسة.

وعلى هذا، فإذا كان للعالم الإسلامي أو للمجتمعات الإسلامية أن تدخل في العصر الحديث فعليها السير على ما سار عليه الغرب من مراحل بكل ما تحمل هذه المراحل من أفكار ومواقف من بينها -بل من أهمها- انتهاج الطريقة التأريخية في فَهم النصوص الدينية!

وقد جاءت الدراسة على مبحثين؛ المبحثُ الأول يعرض الحديث عن الفلسفة التأريخية من حيث مفهومُها ونشأتُها وأهم روادها في الفكر الغربي، أما المبحث الثاني فيعرض تأثر بعض المفكرين المسلمين بهذه الفلسفة ومحاولة تطبيقها في قراءة النصوص القرآنية! مع شيء من التعليق والتعقيب.

---

(١) نصر أبو زيد، باحث ومفكر مصري متخصص في الدراسات الإسلامية وفقه اللغة العربية والعلوم الإنسانية. ولد سنة ١٩٤٣ م - وتوفي سنة ٢٠١٠ م. له مؤلفات كثيرة في الفكر الإسلامي، منها: نقد الخطاب الديني، والاتجاه الفعلي في التفسير. ينظر: موقع ويكيبيديا الموسوعة الحرة www.ar.wikipedia.org

المبحث الأول: التأريخية: تعريفها، ونشأتها، وروادها

عرَّف جميل صليبا [١] التأريخية (historicism) بأنها: « الأمور الحاضرة والناشئة عن التطور التأريخي. ويطلق هذا اللفظ أيضا على المذهب القائل إنَّ اللغة، والحق، والأخلاق، ناشئة عن إبداع جماعي، لا شعوري، ولا إرادي، وإنَّ هذه الأمور قد بلغت الآن نهايتها، وإنك لا تستطيع أن تبدل نتائجها بالقصد ولا أن تفهمها على حقيقتها إلا بدراسة تاريخها» [٢].

ووصف عبد المنعم الحنفي[٣] التأريخية بأنها: «تبحث في القوانين العامة التي تحكم تطور المجتمعات الإنسانية، ومعنى هذا التطور وغايته، وبالمعنى العام تبحث في الأسباب التي بها تكون الوقائع التأريخية» [٤].

يرى أصحاب هذا الاتجاه أننا لا نستطيع أن نحكم على الحوادث والأفكار إلا بالنسبة إلى الوسط التأريخي فيها لا بالنسبة إلى قيمتها الذاتية، لأننا إذا نظرنا إليها من الناحية الذاتية فقط ربما وجدناها خاطئة أو منكرة، ولكن إذا نسبناها إلى الوسط التاريخي الذي ظهرت فيه وجدناها طبيعية وضرورية[٥].

فالتأريخية تبحث في العوامل الأساسية المؤثرة في سير الوقائع التأريخية، وتدرس القوانين العامة المسيطرة على نمو الجماعات الإنسانية، وتطورها على مر العصور.

نشأة الفلسفة التأريخية:

إن نظرية التأريخية، كغيرها من النظريات، لم تأت من فراغ، بل كانت صدى لصوت عصرها، وتعبيراً عن عقلية بيئتها. إذا هناك عوامل أدَّت إلى ظهور هذه النظرية في الوجود، وأسباب ساعدت في تبلورها وتطورها.

(١) جميل صليبا، كاتب وفيلسوف عربي، ولد في لبنان ١٩٠٢م – وتوفي عام ١٩٧٦م. من أهم مؤلفاته: تاريخ الفلسفة العربية، ومن أفلاطون إلى ابن سينا. ينظر: موقع ويكيبيديا الموسوعة الحرة www.ar.wikipedia.org

(٢) جميل صليبا، المعجم الفلسفي، (بيروت: دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٢)، (ج١)، (ص٢٢٩).

(٣) د.عبد المنعم الحنفي، كاتب وأكاديمي مصري، تجاوزت أعماله المائة والستين كتاباً، معظمها من الموسوعات والكتب المحققة، مثل: موسوعة علم النفس والتحليل النفسي، والموسوعة الصوفية. ينظر: موقع ويكيبيديا الموسوعة الحرة www.ar.wikipedia.org

(٤) عبد المنعم الحنفي، المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، (القاهرة: مكتبة مدبولي، ط٣، ٢٠٠٠م)، ص٦٠٥.

(٥) جميل صليبا، المعجم الفلسفي، (ج١)، (ص٢٢٩)؛ كميل الحاج، الموسوعة الميسرة في الفكر الفلسفي والاجتماعي، (بيروت: مكتبة لبنان، ط١، ٢٠٠٠م)، (ص١٤٥).

هذه العوامل والأسباب يمكن العثور على جذورها في أفكار عصر التنوير الغربي في القرن الثامن عشر الهجري الذي كان يمثل نقطة تحول فكري وجذري في تأريخ الفكر الإنساني قاطبة. وهو العصر الذي يتصف بشكل عام بسيادة العقل وتحرُّره من القيود والمقررات الدينية؛ اللهم إلا ما ينسجم منها مع العقل ويمكن إثباتها تجريبيا، ففي هذه البيئة المتحرِّرة، -وهي ذاتها نتيجة منطقية لتصادم الكنيسة والمسيحية الغربية مع الواقع الحياتي- ظهر في الفكر الاجتماعي والديني على وجه الخصوص لأوِّل مرَّة ما يُعرف بـ «الليبرالية» (liberalism)، التي كانت من آثارها حركة الإصلاح الديني والتي من بين صورها انتهاج الطريقة التأريخية في تفسير الأناجيل. يقول صاحب موسوعة المورد: «الليبرالية تطلق كذلك على حركة في البروتستانتية المعاصرة التي تؤكد على الحرية العقلية، وعلى مضمون النصرانية الروحي والأخلاقي، وقد كان من آثار هذه الحركة انتهاج الطريقة التأريخية في تفسير الأناجيل»[١].

وإذا حصرنا العوامل والأسباب التي أدت إلى ظهور الفلسفة التأريخية، فإنها تنحصر في عاملين هامين، كانت حياة المجتمع الأوربي تخضع لهما طوال عصورهم الوسطى التي بدأت - عند بعض المؤرخين- بعد اتخاذ المسيحية ديانة رسمية للإمبراطورية سنة (٣٩٢م) إلى ظهور حركة النهضة الإيطالية في القرن الخامس عشر الميلادي[٢]؛ هما الاستبداد السياسي والديني، ونظام المجتمع الغربي الطبقي.

أولا: الاستبداد السياسي والديني:

كانت أوروبا في القرون الثلاثة الأولى من ميلاد المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ لم تعرف قط دين الله عَزَّوَجَلَّ المنزَّل على حقيقته الربانية إلا أفراد قلائل، حيث عدَّت سلطاتُ الإمبراطورية الرومانية الوثنية المسيحيةَ دينا غير معترف به (Illicit religion)، ولاحقت النصارى في الأقاليم الخاضعة لها بقسوة متناهية اتخذت صورة ما اصطلح عليه في تأريخ النصرانية بفترات الاضطهاد والاستشهاد، وذلك بسبب رفض النصارى بشدة شعيرة عبادة القيصر الإله التي كانت قد اعتنقها: (يوليوس قيصر[٣])[٤].

---

(١) منير البعلبكي، موسوعة أعلام المورد، (بيروت: دار العلم والملايين، ط١، ١٩٩٢م)، (ج ٢)، (ص ١١٤).

(٢) محمد محمد ناصر الحداد، «قراءات في تاريخ العصور الوسطى»، **مجلة جامعة الناصر**، العدد الرابع يوليو، ٢٠١٤م، (٣٧٠).

(٣) بوليوس قيصر، هو الإمبراطور غايوس يوليوس قيصر، جنرال وقائد سياسي وكاتب روماني، ولد عام ١٠٠ ق. م، وتوفي عام ٤٤ ق.م. وهو أوّل من أطلق على نفسه لقب: إمبراطور. ينظر: موقع **ويكيبيديا الموسوعة الحرة** www.ar.wikipedia.org

(٤) Peterson Collins & Mathew A. Price, The Story of Christianity, 2000 Years of Faith, (London: Doring Kindersley Limited), p.53-54.

وفي القرن الرابع تغيَّر الأمر حين اعتنق الإمبراطور قسطنطين الأول[١] (٣٠٦-٣٣٧)م المسيحيةَ وفرضها على الإمبراطورية أولا ثم على العالم الغربي كله[٢]. ولكن الدّين الذي فرضه قسطنطين هذا هو -باعتراف المؤرخين والمفكرين الغربيين أنفسهم- شيء غير الدّين الذي بشَّربه المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ، بل الدّين تتجلى فيه النصرانية والوثنية سواء بسواء.

فمنذ ذلك الحين، ظلت الجماهير الأوروبية تستقى دينها من رجال الدين والبابوات والكرادلة[٣] والمجامع المقدسة التي أنشبت أظفارها في فرض الوصايا الدينية والقرارات الكنسية على المجتمع الأوروبي، واعتبار الخروج عن تلك الوصايا أو القرارات ردة يوجب التنكيل والتعذيب.

فهذا المجمع الثاني عشر من مجامع الكنيسة الكاثوليكية، وهو المجمع المسمى باللاتيراني الرابع المنعقد سنة ١٢١٥م بقرار استئصال الهراطقة، ويعنون بذلك كل من يرى رأيا مخالفا للكنيسة، ولو كان رأيا في الكون أو طبائع الأشياء، ولم تكتف الكنيسة بقتل من يجهرون بآراء تخالف آراءها، بل أخذت تنقب على القلوب وتستكنه خبايا النفوس، وتكشف عن سرائر الناس بما أسماه التاريخ محاكم التفتيش، التي دنست تاريخ الأديان بما ارتكب من آثام، وما أزهقت من أرواح، وما سفكت من دماء[٤].

ثانيا: نظام المجتمع الغربي الطبقي:

قام المجتمع الغربي في عصوره الوسطى على النظام الطبقي الذي يتكون بصفة عامة إلى ثلاث طبقات رئيسة: طبقة المحاربين أو المقاتلين، وطبقة رجال الدين أو المصلين، وطبقة العاملين

(١) قسطنطين الأول: هو كايُس فلافيس، إمبراطور روماني، ولد سنة ٢٧٤ م - وتوفي ٣٣٧م. يُعدُّ حُكمُه نقطة تحول أساسية في مسار الإمبراطورية الرومانية إلى الإمبراطورية البيزنطية. ينظر: موقع **ويكيبيديا الموسوعة الحرة** www.ar.wikipedia.org

(٢) ينظر:

Peterson Collins & Mathew A. Price, The Story of Christianity, p.59; Huston Smith, The World's religion. The revised & update edition of The religions of Man, (San Francisco: Harper, 1991), p 3-152.

(٣) جمع كلمة: (كاردينال) وهو حَبر كاثوليكي، ووفقا للنظام الهيراركي المتبع في الكنيسة الكاثوليكية الرومانية فإن الكاردينال يشغل المرتبة الثانية بعد البابا. ويتم تعيين الكاردينال بمقتضى قرار البابا الذي لابد من أن يحظى بموافقة مجلس الكرادلة—المستشارين المباشرين للبابا—وبمجرد صدور القرار يصبح الكاردينال في الحال من مستشاري البابا، وينتخب البابا من بين الكرادلة في اجتماع سري لهم. سعيد الفيشاوي (مترجم)، المعجم العلمي للمعتقدات الدينية (The Scientific Lexicon of religious Beliefs)، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٢)، (ص١١٠).

(٤) محمد أبو زهرة، **محاضرات في النصرانية**، (د. م: دار الفكر العربي، د. ط)، (ص ١٩٩).

الكادحين[1]. وهذا النظام الطبقي أدى فيما بعد إلى ظهور النظام الإقطاعي الذي ارتبط ارتباطا وثيقاً بالأرض التي كانت في بداية الأمر للإمبراطور -حسب التعليم الكنسي، ثم يهبها الإمبراطور للملوك، وهؤلاء يمنحونها للأشراف والنبلاء، وهؤلاء لمن دونهم في الطبقة، وهكذا إلى أن تصل إلى رقيق الأرض في أسفل السلم الإقطاعي، وكان أفراد كل طبقة يدينون لمن فوقهم بواجبات والتزامات معينة، كما كانت لهم امتيازات وحقوق خاصة على غيرهم ممن هم دونهم حتى إذا أتينا إلى قاعدة الهرم العريضة نجد الفلاحين ورقيق الأرض يدينون لمن فوقهم بواجبات التبعية، التي لم تكن تعرف أي حدود أو قيود، بينما ليس لهم حقوق أو امتيازات على غيرهم ممن هم دونهم، إذ وقع العبء كله عليهم دون أن يجنوا ثمار جهودهم، التي كانت تتمتع بها الطبقات العليا الشريفة.

والناظر إلى المجتمع الإقطاعي يجد أنه لم توجد فيه دولة، ولم تكن هناك أمة أو قومية وغيرها من لزومات الأمم بالمعنى المفهوم كاللغة والآداب والتقاليد والجيش القومي، ولم يكن هناك ما يسمى بالثروة العامة أو رؤوس الأموال النامية كما هو الحال في الدول الحديثة، لأنه كان مجتمعا يعتمد أساسا على الأرض وما تغله وعلى واجبات التبعية. ولهذا كان المجتمع الإقطاعي عرضة للتقلبات والويلات والحروب المريرة المستمرة، وعرضة للأمراض والأوبئة والمجاعات التي كانت تحلّ به بين الحين والحين.

وإزاء هذه الأوضاع القاسية، وبعد مرور قرون عدة، بدأ الأوروبيون -نتيجة احتكاكهم بغيرهم من الأمم- ينهضون، إذ كانت البداية الفعلية في إيطاليا التي كانت بمثابة قلب الديانة النصرانية ومهد الحضارة الرومانية القديمة، فأولى هذه النهضات هي إحياء الآداب الإغريقية ذات النزعة الإنسانية، ثم جاءت حركة الإصلاح الديني التي هزت المجتمع الغربي بقوة، وكان من آثارها انتهاج الطريقة التأريخية في تفسير الأناجيل، كما أشار إليه الأستاذ: منير البعلبكي[2] عندما عرّف مفهوم الليبرالية[3]،

---

(١) ومن الكلمات المأثورة التي تلقى ضوءا كافيا على النظام الطبقي في الغرب الأوروبي في القرون الوسطى، قول ألفريد الكبير ملك إنجلترا الأنجلوسكسوني الذي حكم من سنة ٨٧١م إلى سنة ٩٠١م، وهو: «The house of God is triple; some fight, others pray and others work» (بيت الله عبارة عن مثلث: البعض يقاتلون، والبعض يصلون، والبعض يعملون). ينظر: جوزيف نسيم يوسف، تاريخ العصور الوسطى الأوروبية وحضارتها، (بيروت: دار النهضة العربية، ط٢، ١٩٨٧م)، (ص ٩٠).

(٢) منير البعلبكي، لبناني، متخصص في الأدب العربي والتأريخ الإسلامي، ولد سنة ١٩٨١ م - وتوفي سنة ٩٩٩١م. مؤلف كتاب: قاموس المورد المشهور، ومؤسس دار العلم للملايين. ينظر: موقع ويكيبيديا الموسوعة الحرة www.ra.aidepikiw.gro

(٣) ينظر: الهامش رقم ٦.

مما أنتج إلى قرار يقول بوجود الانحرافات والتناقضات بين الأناجيل الأربعة كما صرح بذلك علماؤهم -كما سنرى، حتى آل الأمر إلى نبذ كتبهم وراء ظهورهم، فأصبح المجتمع الغربي مجتمعا علمانيا، يعدّ وجود الدين كعدمه. فقاعدة التدين عند هؤلاء: «كفاك أن تؤمن بإله دون أن تعتنق أيّ دين» [١].

وحتى نقرب الصورة الذهنية والواقعية لا بأس من استعراض أهم المحطات التأريخية التي ميزت الفكر الأوروبي في علاقته مع الديانة النصرانية المحرفة وسيطرة (الإكليروس[٢][٣]؛ بما يلي:

أ-المرحلة الأولى: سيطرة الكنيسة الكاثوليكية:

وهي تعني سيطرة البابا بسلطة إلهية على كلّ شيء، فهو يزعم أنه يتكلم باسم الله تعالى، كما تعني امتلاك الكنيسة وحدها حق تفسير الكتاب المقدّس، فلا فرق بين نص الكتاب المقدس، وفهوم الكنيسة.

ب-المرحلة الثانية: مرحلة اللوثرية الكالفينية:

عندما ظهر (مارتن لوثر) (ولد: ١٤٥٣م - ت: ١٥٤٦م)، وبعده (كالفن)، (ولد: ١٥٠٩م - ت: ١٥٦٤م) وعارضا تعاليم الكاثوليكية، وتمردا على الكنيسة الكاثوليكية، وحاربا سلطة البابا، وطالبا بالحرية في بحث الكتاب المقدس، وأنّ البابا لا يملك وحده حق تفسيره، ولكنهما بقيا على أن الكتاب المقدس هو وحده مصدر المعرفة.

ج-المرحلة الثالثة: مرحلة عصر التنوير، أو العصر الإنساني:

بدأت في النصف الثاني من القرن الثامن عشر، وفيه ظهرت قوى جديدة مع تعاظم سيطرة الكنيسة تنادي بخلاص الإنسان من سيطرة الكنيسة وتدعو للحرية الفردية انطلاقا من تعاليم المسيحية الأصلية، إلا أن الفردية التي نادى بها الغربيون منقطعة الصلة تماما بما وراء الطبيعة، حيث استمدت من فكرة

---

(١) ينظر:
C. John Sommerville, The Secularization of Early Modern England: From Religious Culture to Religious Faith (New York: Oxford University Press, 1992), 187; C. Turner, Without God, Without Creed: The Origins of Unbelief in America, (Baltimore: John Hopkins University Press, 1985).

(٢) الإكليروس هو النظام الكهنوتي الخاص بالكنائس المسيحية، ولم يظهر هذا النظام إلا في القرن الثالث الميلادي. ينظر: موقع ويكيبيديا الموسوعة الحرة www.ar.wikipedia.org

(٣) Clergy أي: طبقة رجال الدين اللاهوتيين في المسيحية.

«الأنا» الديكارتية [١] القائمة على فكرة المثالية الذاتية (Subjective Idealism) [٢].

د-المرحلة الرابعة: مرحلة العصر الحديث:

بدأت مع فجر القرن التاسع عشر، وفي هذا العصر ظهر نزوع كبير إلى الواقع، ذلك أنَّ الدين الذي قدمته الكنيسة يشوبه الغموض، حيث لا دخل للعقل فيه. فانطلق العقل بطبيعته باحثا عن قناعاته، فلم يجد بدا غير الثورة من هذه العقيدة المحرفة.

ومنذ ذلك الحين، أصبح العقل في مقابل الدين، بل أصبح العقل دينا؛ حيث يُقدَّس ويُوضَع موضع التَّعبد، وفي ذلك يقول (فولتير Voltaire) (ولد: ١٦٩٤م-ت: ١٧٧٨م)[٣]: «إن الدين الوحيد الصحيح الناتج من استعمال العقل هو التنزيه المطلق الذي يظهر في الأخلاق العملية»[٤].

وفي هذه المرحلة ظهر مبدأ آخر منفصل تماما عما وراء الطبيعة وهو العدمية، وهي القول بعدم وجود أي شيء مطلق، ومن ثم نفي أية حقيقة أخلاقية وأية هيكلية للقيم. ويُعد (نيتشه Nietzsche) (ولد: ١٨٤٤م- ت: ١٩٠٠م) أوّل من وضع هذا المبدأ إبان قوله بأن الرب قد مات[٥]، ولذا لا قيمة للقيم أي أن ما

---

(١) نسبة إلى ديكارت أي: رينيه ديكارت setracseD éneR (١٥٩٦-١٦٥٠م) فيلسوف وفيزيائي ورياضي فرنسي. يعتبر في رأي كثير من الباحثين أبا الفلسفة الحديثة ومؤسسها، اكتشف الهندسة التحليلية yrtemoeg citylana، اشتهر بكتابه «مقال في المنهج» edohtém al ed sruocsiD عام ١٦٣٧م وفيه أطرح كل المعتقدات السابقة ليعاود البحث عن الحقيقة؛ شاكا في كل شيء إلا في حقيقة واحدة وهي أنه يشك، ومن هنا كانت كلمته المشهورة: «أنا أشك فإذن أنا أفكر. وأنا أفكر فإذن أنا موجود» ogre otibud otigoc: mus ogre otigoc. منير البعلبكي، موسوعة أعلام المورد، (ص٦٩١)..

(٢) **ينظر: إبراهيم مصطفى إبراهيم، الفلسفة الحديثة من ديكارت إلى هيوم، (إسكندرية: دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، د.ت).، (ص٩٤)؛ ريتشارد شاخت، رواد الفلسفة الحديثة، ترجمة: د أحمد حمدي محمود، (القاهرة: مكتبة الأسرة، د.ت)، (ص١٤-١٥).**

(٣) هو كاتب فرنسي عاش في عصر التنوير، وهو أيضًا كاتب وفيلسوف ذاع صيته بسبب سخريته الفلسفية الظريفة ودفاعه عن الحريات المدنية خاصة حرية العقيدة. كان الرجل مدافعًا صريحًا عن الإصلاح الاجتماعي على الرغم من وجود قوانين الرقابة الصارمة والعقوبات القاسية التي كان يتم تطبيقها على كل من يقوم بخرق هذه القوانين. ينظر: منير البعلبكي، موسوعة أعلام المورد، (ص٣٣٣)؛/ ptth:/ / /ikiw /gro.aidepikiw.ra (٢-٢-٢١٠٢).

(٤) 217.p ,9 .lov ,yhposolihP fo aidepolcycnE ,(rotidE) trehcroB .M dlanoD .

(٥) وفي ذلك يقول نيتشه: «إن الإنسان الحر ينبغي أن يعترف بأن الرب قد مات، ومن ثم لا يتجه سعيه إليه، وإنما إلى نوع أعلى من الإنسان. وأن أوضح نموذج لأخلاق العبيد هو المسيحية، ذلك لأن المسيحية تتجه إلى التشاؤم عندما تعلل النفوس بالأمل في حياة أخروية أفضل، وتبدي تقديرا عاليا للفضائل الهابطة، كالتواضع والشفقة». برتراند رسل، **حكمة الغرب**، ترجمة: د.فؤاد زكريا، (الكويت: عالم المعرفة، ١٤٠٤هـ-١٩٨٣م)، (ج٢)، (ص٢٠٦).

كان في السابق مبادئ راسخة ثابتة ومثل عليا سامية صار عدما. وبهذا أفقد (نيتشه) القيم كل معنى أو حقيقة، لأن الحقائق في نظره مجرد أوهام غائبة في حقيقتها[١].

روّاد الفلسفة التأريخية:

إن المتتبع لجذور الفلسفة التأريخية يجد أنها ترجع إلى ما بعد العصور الوسطى[٢].

أما روَّاد هذه الفلسفة في العصر التنويري الغربي فيعد (فيكو Vico): (١٦٦٨-١٧٤٤م) -صاحب كتاب: Scienza Nuova (العلم الجديد)- أوَّل مؤسس لهذه الفلسفة. فهو من نصَّ على أنَّ البشر هم الذين يصنعون التأريخ، وليس القوى الغيبية كما يتوهمون. يقول: « الدِّين المسيحي هو وحده الموحى به إلهيـًا، أمَّا ما عداه فهو من صنع البشر. فلعله قال ذلك لعذر، لأنه عاش في مجتمع كانت تهيمن عليه العقيدة المسيحية بشكل مطلق» [٣].

ومن الذين بحثوا في الفلسفة التأريخية بعد فيكو: (فولتير، وهردر، وشينو)، وغيرهم.

- يقول فولتير Voltaire (ولد: ١٦٩٤م - ت: ١٧٧٨م) بعد أن قام بتطبيق الفلسفة التأريخية على الأناجيل الأربعة: «إن لديَّ مائتي مجلد في اللاهوت المسيحي، والأدهى من ذلك أني قرأتها وكأني أقوم بجولة في مستشفى للأمراض العقلية»[٤]. وقال في موضع آخر: «أنتم تعرفون كم يتناقض المؤلفون الأربعة (للأناجيل) تناقضا فاحشا؛ إن هذا دليل قاطع على الكذب»[٥].

- ويقول هردر Herder (ولد: ١٧٤٤م- ت:١٨٠٣م) -في كتابه «فلسفة أخرى للتأريخ من أجل تكوين البشرية»: « بما ثمة كائنات حية، متشابهة لنا، تساهم في تعليمنا وتغيير عاداتنا، فهناك حسب نظري تربية للجنس البشري وفلسفة في فلسفة البشرية، بمعنى تآزر أو تعاون بين الأفراد، وحده القادر

---

(١) ينظر:
Ray C. Petry (editor), A History of Chistianity: Readings in the History of the Early and Medieval Church (New Jersey: Prentice-Hall, Inc. Englewood Cliffs, 1962); Clyde L. Manschreck, A History of Chistianity: Readings in the History of the Church from Reformation to the Present (New Jersey: Prentice-Hall, Inc. Englewood Cliffs, 1965).

(٢) جميل صليبا، المعجم الفلسفي، (ج١)، (ص٢٢٩).

(٣) ينظر: عطيات أبو السعود، فلسفة التاريخ عند فيكو، (الإسكندرية: منشأة المعارف، (١٩٩٧).

(٤) برتراند رسل، حكمة الغرب، ج٢، (ص ١١٦)

(٥) عبد الرحمن بدوي، موسوعة الفلسفة، (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، ١٩٨٤)، (ج٢)، (ص٢٠٦).

على أن يجعل منا بشرا» [١]، كأن (هردر) بهذا المقال أرد أن يؤكدا لنا ما قاله (فيكو) في السابق؛ أنَّ البشر هم الذين يصنعون التأريخ، وليس القوى الغيبية.

- ثم جاء الأب ماري دومينيك شينو Marie Dominique Chenu -لاهوتي فرنسي معاصر (ولد: ١٨٩٥م-ت:١٩٩٠م)-، الذي أدَّى أثراً كبيراً في تجديد اللاهوت المسيحي لكي يتناسب مع روح العصور الحديثة.

وهذا هو معنى كلمته القائلة: «التدين الصحيح أن تفهم الإيمان على محك التجربة مع الزمن، يعني أنه لا يمكنك أن تؤمن اليوم أو أن تعيش الإيمان على طريقة العصور الوسطى مثلاً، فالظروف تغيّرت والعصور تغّيرت أيضـًا، لذلك فنحن بحاجة إلى إيمان جديد أقل قسرية وإكراهـًا من إيمان العصور السَّابقة» [٢].

من تلك التصريحات تبين لنا بشرية الأناجيل ومدى الانحرافات التي طرأت عليها؛ ذلك لأنها خلطت بين كلام الله عَزَّوَجَلَّ وبين كلام مؤلفيها من جهة، وتناقض مؤلفيها -كما صرح بذلك (فولتير) في كلامه السابق- من جهة أخرى، لذا لجأ علماء اليهود والنصارى إلى انتهاج الفلسفة التأريخية للاكتشاف عن حقيقة الأناجيل، حيث تجسدت هذه الفلسفة فيما سمي بـ"الهرمنيوطيقا" [٣] (hermeneutic) وهي

---

(١) ينظر: Donald M. Borchert (Editor), Encyclopedia of Philosophy, Vol. 4, p.333.

محمد أركون، **القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني**، ترجمة: هاشم صالح (بيروت: دار الطليعة، ٢٠٠٥) (ص٤٧-٤٨).

(٢) ينظر:

Johann Gottfried Herder, Une autre philosophie de l'histoire (Paris: tr. Max Rouche, Aubier/edition Montaigne, 1964), p. 125; Mircea Eliade (Editor in Chief), The Encyclopedia of Religion (New York: Simon & Schuster Macmillan, 1993), vol.5, p. 268-269.

محمد شوقي الزين، **فلسفة التاريخ وتكوين البشرية عند يونان هردر: من نظام المعرفة إلى نظام الحقيقة** (الرباط: مؤسسة مؤمنون بلا حدود، بدون تاريخ).

(٣) الهرمنيوطيقا مشتق من لفظ يوناني Hermes وهو في منظومة الأسطورة اليونانية: رسول الله لتبليغ رسالته إلى الناس على وجه الأرض، ومعناها لغة: الشرح والتفسير. ثم تحول هذا المفهوم اللغوي إلى المفهوم الفلسفي على أيدي علماء اليهود والنصارى لما ألبسوه بلباس الفلسفة التأريخية إبان حركة الإصلاح الديني، منهم:
Friedrich Schleiermacher، Dilthey، Heidegger، Gadamer، Jurgen Habermas.

ينظر:

The Catholic Encyclopedia (New York: Robert Appleton Company,1910), Hermeneutics"/ http://www.catholic.org/encyclopedia/view.php?id=5711; Josef Bleicher, Contemporary Hermeneutics: Herme =

كما عرفها هانس جورج جادامر Hans George Gadamer (ولد: ١٩٠٠م-ت:٢٠٠٢م) بأنها: «حل إشكالية الفهم بحصر المعنى ومحاولة الإحاطة به بواسطة تقنية ما» [١]. أو بعبارة أخرى هي: «علم يبحث في فهم النص بشكل عام، وذلك بإثارة أسئلة متعددة ومتشابكة حول النص من حيث طبيعته وعلاقته بمحيطه من جهة، وعلاقته بمنشئه وقارئه من جهة أخرى» [٢].

وقد جاء تقرير الموسوعة البريطانية بأن: (الهدف الأساس من انتهاج الهرمنيوطيقا والمناهج التأويلية في التفسير بالنسبة لليهود والنصارى عبر التأريخ هو الاكتشاف عن حقائق الأناجيل وقيمها)[٣].

= neutics as Method, Philosophy and Critique (London: Routledge & Kegan Paul, 1980); Richard E. Palmer, Hermeneutics: Interpretation Theory in Schleiermacher Dilthey, Heidegger, and Gadamer (Evaston, Illionis: Northwestern University Press, 1969) ;Friedrich Schleiermacher, Kritische Gesamtausgabe (Berlin: Walter de Gruyter, 1984); Wilhelm Dilthey, "Die Entsehung der Hermeneutik," Gesammelte Schriften (Gottingen: Vanderhoek & Ruprecht, 1957), 7:317-331.

(١) هانس جورج جادامر، **اللغة كوسيط التجربة التأويلية**، ترجمة آمال أبي سليمان، مجلة العرب والفكر العالمي، عدد٣، (١٩٩٩)، (ص٢١-٢٢).

(٢) نصر حامد أبو زيد، **إشكاليات القراءة وآليات التأويل**، (الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، (٢٠٠٥)، (ص١٣).

(٣) جاء في الموسوعة:
"For both Jews and Christians throughout their histories, the primary purpose of hermeneutics, and of the exegetical methods employed in interpretation, has been to discover the truth and values of the Bible".
See: Encyclopedia Britannica, 5th Edition, 1995. Vol.5, p.875. or see:
http://www.britannica.com/topic/hermeneutics-principles-of-biblical-interpretation.

المبحث الثاني:

تبني الفلسفة التأريخية لقراءة النص القرآني

هذه التأريخية التي قال بها فلاسفة التنوير الغربي طوال حركة الإصلاح الديني، دعت بعض المفكرين المسلمين الذين تأثروا بالثقافة الغربية إلى تطبيقها في قراءة النص القرآني، وقد ترسخت لديهم تلك الحالة التي وصفها العلامة ابن خلدون[1] بأن المغلوب ينزع منزع اتباع الغالب فتناولوا التراث الإسلامي على جوانبه المختلفة بالبحث والتحليل والنقد على غرار الاتجاه الغربي، فهم يريدون أن يبقى القرآن حبيساً لما سموه الظروف الموضوعية التأريخية، ولا يتعداها إلى ظروف جديدة، داعين إلى «تأريخية» معاني وأحكام القرآن الكريم، باعتبارها معاني وأحكاما تجاوزها الواقع الذي تطور، وعفا عليه التأريخ.

فمن المفكرين المسلمين المتأثرين بالفلسفة التأريخية: محمّد أركون[2] الذي دعا إلى قراءة القرآن الكريم قراءة تتماشى وروح العصر. يقول: «ينبغي أن يستيقظ المسلمون، ويفتحوا أعينهم، بأن يقرؤوا القرآن بعيون جديدة، وأن يتموضعوا في عصره وبيئته لكي يفهموه على حقيقته، وعندئذ لا يعودون يُسقطون عليه أفكار عصرهم وهمومه، أو نظرياته وأيديولوجياته. فالقرآن ليس كتاباً في علم الفيزياء أو الكيمياء، ولا في علم الاجتماع والاقتصاد. وهو لا يفرض نظاماً اقتصادياً محدداً دون غيره، ولا نظاماً سياسياً معيناً. هذه أشياء متروكة للبشر لكي يحلوها طِبقاً لقوانين علم الاقتصاد والاجتماع والسياسة[3].

وحتى يسوِّغ دعوته استعمل ما يسمي بالمنهج التفكيكي (deconstruction) في دراسة القرآن الكريم، وهو (المنهج الذي يقوم على تفكيك النص وتحليله إلى فقرات متعددة، ولا يقوم بهذا التفكيك

(١) ابن خلدون، هو عبد الرحمن بن محمد ولي الدين الحضرمي الأشبيلي، ولد في تونس سنة ٧٣٢هـ - وتوفي سنة ٨٠٨هـ. مؤرخ مشهور، ومؤسس علم الاجتماع الإسلامي صاحب كتاب: تأريخ ابن خلدون. ينظر: موقع ويكيبيديا الموسوعة الحرة www.ar.wikipedia.org

(٢) محمد أركون، مفكر وباحث أكاديمي ومؤرخ جزائري، ولد سنة ١٩٢٨ م - وتوفي سنة ٢٠١٠ م. من أشهر مؤلفاته: من الاجتهاد إلى نقد العقل الإسلامي، والقرآن من التغير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني. ينظر: موقع ويكيبيديا الموسوعة الحرة www.ar.wikipedia.org

(٣) محمد أركون، قضايا في نقد العقل الديني كيف نفهم الإسلام اليوم، ترجمة: هاشم صالح (بيروت: دار الطليعة، د.ت)، (ص٢٨٥-٢٨٦).

إلا القارئ، فهو يفك هذا النص، ويعيد بناءه وفق آليات تفكيره)[١] فالقارئ يوظف النص الديني حسب معطياته وفهمه، والنص الديني الواحد له الكثير من القُراء، وبالتالي تتعدَّد القراءات وتتنوَّع، وتنتج تأويلات متعددة[٢]. وأوَّل من أسّس هذا المنهج هو الفيلسوف الفرنسي جاك ديريدا Jacques Derrida (ولد: ١٩٣٠م –ت: ٢٠٠٤م) الذي طرح آراءه في ثلاثة كتب نشرت في سنة ١٩٦٧م وهي عن «علم القواعد» (Grammatology) و«الكتابة والاختلاف (Writing and Difference) و«الكلام والظواهر»(Speech and Phenomena)، ويهدف من خلاله إلى دراسة النصوص التي غلبت عليها صفة المطلق والمثالية، فبهذا المنهج لا يعطي القارئ اعتبارا للمقدس، فيولد من خلاله أشياء كثيرة سكت عنها النّقاد القدماء [٣].

يقول (أركون) في هذا الصدد: «لننتقل الآن إلى ما يدعوه الناس عموما بالقرآن. إن هذه الكلمة مشحونة إلى أقصى حد بالعمل اللاهوتي، والممارسة الطقسية الشعائرية الإسلامية المستمرة منذ أكثر من مئات السنين، إلى درجة أنه يصعب استخدامها كما هي. فهي تحتاج إلى تفكيك سابق؛ من أجل الكشف عن مستويات من المعنى والدلالة كانت قد طُمِست، وكُتِبت ونُسِيت من قبل التراث التقويُّ الورع، كما من قبل المنهجية الفيلولوجية–اللغوية النهائية– النصَّانية، أو المغرقة في التزامها بحرفية النص» [٤].

ومع دعوة (أركون) للمنهجية التفكيكية إلا أنه لم يتخل عن أصول البنيوية التي من أصولها قراءة النصوص المقدسة على أنها نصوص تأريخية منفصلة عن مصدرها، أو ما يسمى في البنيوية بـ«موت المؤلف» (death of author)، والتي أثارها لأوّل مرّة الكاتب الفرنسي رولند برتيس roland Barthes (ولد: ١٩١٥–ت:١٩٨٠م) [٥].

والمتتبع لكتابات أركون يجد أنه تناول إشكالية تأريخية القرآن من زاوية تأريخ نزوله حتى تدوينه، حيث لاحظ أن ثمة نقطة تحوّل هامّة في مسار تأريخية القرآن تتمثل في انتقال الوحي الشفوي

(١) كمال عبد اللطيف، قراءات في الفلسفة العربية المعاصرة، (بيروت: دار الطليعة، ١٩٩٤م)

(٢) المصدر السابق نفسه.

(٣) ينظر: كميل الحاج، **الموسوعة الميسرة في الفكر الفلسفي والاجتماعي**، (ص.٢٢٣)؛ وأيضا
Donald M. Borchert (Editor), Encyclopedia of Philosophy, Vol. 2, p.715-716.

(٤) محمد أركون، **الفكر الأصولي واستحالة التأصيل**، ترجمة وتعليق: هاشم صالح (بيروت: دار السياقي، ط٢، ٢٠٠١م)، (ص٢٩)؛ محمد أركون، **تأريخية الفكر العربي الإسلامي**، ترجمة هاشم صالح (بيروت: المركز الثقافي العربي،ط٢، ١٩٩٦م).

(٥) Donald M. Borchert (Editor), Encyclopedia of Philosophy, Vol. 2, p. 480.

إلى النص المكتوب أو المصحف، تتلخص تلك الإشكالية في أن القرآن مرّ بمراحل، أولاها هو كلام إلهي مجهول لا نعرفه، ثم انتقل إلى مرحلة ثانية عندما نُقل إلينا عبر «معجم بشري أول» هو معجم الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو بتعبير (أركون) "الخطاب القرآني الشفوي"، ثم تلتها مرحلة ثالثة هي مرحلة "المصحف" أو "المدونة النصية المغلقة"، ثم المرحلة الرابعة وهي "المرحلة التفسيرية" التي استوجبتها تبدل الظروف التأريخية فأصبح فَهم الوحي في حاجة إلى وساطة جديدة [١].

يقول الدكتور مختار الفجاري[٢]: «يريد أركون أن يجدّد العقل الإسلامي المعاصر بتفكيك بنية المقدّس، وبالتحديد حل المقدس الخاص بالنص القرآني. ويبرّر ذلك بأنّه رأس كل مقدّس وينبوعه الأول. ويقول في تحليله هذا إنّ المصحف ليس قرآنا، وإنما قرآن المسلمين هو القرآن الشفوي. وأنّ الله لم يفترض وجود قرآن مكتوب. وهو يرى أنّ تدوين القرآن أضر بالمسلمين أكثر ممّا نفعهم» [٣].

فبالإيجاز يمكن القول إن تعامل أركون مع النص القرآني-وهو النص المؤسس للثقافة العربية الإسلامية-يقوم أساسا على إعادة النظر في قداسته، والكشف عن آليات تعاليه، من خلال البحث في طبيعته اللغوية، ومشروطيته التأريخية، وكيفية تكونه، ومراحل تكونه واستقراره على الصورة التي هو عليها اليوم. فما يهم أركون ليس النص كوحي إلهي، وإنما يهمه الخطاب القرآني المنزَّل وفق حركة عمودية مجسدة في لغة بشرية شفوية في البداية، ثم مكتوبة بعد ذلك [٤].

وإذا انتقلنا إلى (نصر حامد أبو زيد)، نجد تشابها كبيرا بين الرجلين في موقفيهما من القرآن، ذاك الموقف الذي ينفي قداسة القرآن وألوهيته حتى يتسنى له بعد ذلك تطبيق التأريخية على النص القرآني، يقول أبو زيد: «إن القرآن نص ديني ثابت من حيث منطوقه، لكنه من حيث ما يتعرض له العقل الإنساني ويصبح مفهوما يفقد صفة الثبات..؛ يتحول إلى نص إنساني-يتأنسَن، ومن الضروري هنا أن نؤكد أن حالة النص الخام المقدس حالة ميتافيزيقية لا ندري عنها شيئا إلا ما ذكره النص عنها ونفهمه بالضرورة من زاوية الإنسان المتغير والنسبي، النص منذ لحظة نزوله الأولى – أي مع قراءة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ له

(١) ينظر: محمد أركون، **الفكر الإسلامي نقد واجتهاد**، (بيروت: دار الساقي، ٢٠١٢م)، (ص ٨٩).

(٢) باحث معاصر، لم أجد له ترجمة.

(٣) د.مختار الفجاري، **نقد العقل الإسلامي عند محمد أركون**، (بيروت: دار الطليعة، ٢٠٠٥م) (ص١٢٤).

(٤) Abdul Kabir Hussain Solihu, Historict Approach to the Qur'an: Impact of Nineteenth-Century Western Hermeneutics in the Writing of Two Muslim Scholars, (Unpublished Ph.D Dissertation at IIUM, 2003, Kuala Lumpur), p.189.

لحظة الوحي تحول من كونه نصا إلهيا إلى (نصا إنسانيا)، لأنه تحول من التنزيل إلى التأويل. إن فهم النبي للنص يمثل أولى مراحل حركة النص في تفاعله بالعقل البشري" [١].

فبعد القول بتحول النص القرآني من النص الإلهي إلى التأويل الإنساني، بدأ (أبو زيد) تطبيق التأريخية، وهي ما سماه بـ«تأريخية البنية القرآنية»، وفي ذلك يقول: «إن الخطاب الإلهي -أي القرآن- خطاب تأريخي لا يتضمن معنى مفارقا جوهريا ثابتا له إطلاقية المطلق» [٢].

وليس المقصود بالبعد التأريخي هنا علم أسباب النزول أو علم الناسخ والمنسوخ أو غيرها من علوم القرآن، فإن البعد التأريخي الذي نتعرض له هنا يتعلق بتأريخية المفاهيم التي تطرحها النصوص من خلال منطوقها، وذلك نتيجة طبيعية لتأريخية اللغة التي صيغت بها النصوص. فليس ثمة عناصر جوهرية ثابتة في النصوص، بل لكل قراءة - بالمعنى التأريخي الاجتماعي - جوهرها الذي تكشفه في النص. وخلافا للخطاب الديني فهذا ينطبق على النصوص التشريعية وعلى نصوص العقائد والقصص. إن النصوص الدينية قد تأنست منذ تجسدت في التأريخ واللغة وتوجهت بمنطوقها ومدلولها إلى البشر في واقع تأريخي محدَّد. إنها محكومة بجدلية الثبات والتغير، فالنصوص ثابتة في المنطوق متغيرة في المفهوم [٣].

فالتأريخية عند (أبي زيد) هي آلية إلغاء المعنى وتجاوز الحكم إلى حكم آخر متطور يساير «ظروف العصر» في قراءة جديدة للنص. يقول أبو زيد: «وإنما الذي ندعو إليه عدم الوقوف عند المعنى في دلالته التأريخية الجزئية وضرورة اكتشاف المغزى الذي يمكن لنا أن نؤسس عليه الوعي العلمي التأريخي» [٤].

فبدلا من الاعتماد على آلية القياس لنقل الحكم من أصل إلى فرع لاتفاقهما في العلة التي هي مسألة اجتهادية أيضا فإننا نعتمدها أيضا على التفرقة بين المعنى والمغزى[٥].

---

(١) **نصر حامد أبو زيد، نقد الخطاب الديني، (القاهرة: مكتبة مدبولي، (١٩٩٤)، (ص١٢٦).**

(٢) نصر حامد أبو زيد، **مشروع النهضة بين التوفيق والتلفيق**، مجلة القاهرة، العدد(١١٩)، أكتوبر (١٩٩٢).

(٣) ينظر: نصر حامد أبو زيد، **نقد الخطاب الديني**، (ص١١٨-١١٩).

(٤) المرجع السابق، (ص٢٠٣).

(٥) المرجع السابق، (ص٢٢١).

إن المعنى يمثل الدلالة التأريخية للنصوص في سياق تكونها وتشكلها، أما المغزى فذو طابع معاصر بمعنى أنه محصلة لقراءة عصر غير عصر النص[١].

إذن، ثمة تفريق عند (أبي زيد) بين معنى الحكم ومغزاه، وقد عدّه مبدأ لتطبيق تأريخية النص القرآني.

وقد ضرب (أبو زيد) مثالا صارخا في تطبيق هذا المبدأ وهو «مسألة ميراث المرأة»، فهو ينادى بالمساواة بين الرَّجل والمرأة في الميراث قائلا: «فإذا كان القرآن قد أعطى للأنثى نصف الرجل أو نصيبا محددا حسب موقعها في الوراثة بعد أن لم يكن للعرب يورثونها فيجب تجاوز هذا المعنى إلى مغزاه وهي تحسين وضع المرأة في المجتمع. وإذا كانت المرأة تشارك الرِّجال في هذا العصر في كل شيء فيجب مساواتها بالرجل في الميراث، حيث إن المعاني الواردة في النصوص عن المرأة بما في ذلك توريثها نصف نصيب الذكر ذات مغزى يتحدد بمقياس طبيعة الحركة التي أحدثها النص وبتحديد اتجاهها. إنها حركة تتجاوز الوضع المتردّي للمرأة وتسير في اتجاه المساواة المضمرة والمدلول عليها في نفس الوقت» [٢].

ولم تكتف هذه «القراءة التأريخية» التي أدَّت إلى إسقاط الأحكام الشرعية، بل حتى العقائد الدينية، كما صرح (أبو زيد) بذلك قائلا: «وإذا قرأنا نصوص الأحكام من خلال التحليل العميق لبنية النصوص.. وفي السياق الاجتماعي المنتج للأحكام والقوانين، فربما قادتنا القراءة إلى إسقاط كثير من تلك الأحكام التي كانت تصف واقعها أكثر مما تصنع تشريعا وحتى العقائد-بهذه القراءة التأريخية -هي تصورات مرتهنة بمستوى الوعي وبتطور مستوى المعرفة في كل عصر.. والنصوص الدينية قد اعتمدت في صياغة عقائدها على كثير من التصورات الأسطورية في وعي الجماعة التي توجهت إليها النصوص الدينية بالخطاب» [٣]. وفي هذا الصَّدد يقول (أركون) أيضا: «إن الحكايات التوراتية والخطاب القرآني هما نموذجان رائعان من نماذج التعبير الميثي (myth) الأسطوري»[٤]، -والعياذ بالله-وكذلك تعليقه

(١) نصر حامد أبو زيد، **نقد الخطاب الديني**، (ص٢٢١).

(٢) المرجع السابق، (ص٢٢٤).

(٣) نصر حامد أبو زيد، **نقد الخطاب الديني**، (ص٨٢)، (٨٤)، (١٠٦)، مجلة «القاهرة»، «إهدار السياق في تأويلات الخطاب الديني، يناير ١٩٩٣م.

(٤) محمد أركون، **تأريخية الفكر العربي الإسلامي**، (بيروت: مركز الإنماء القومي، ١٩٩٦)، (ص٢١٠).

على قوله تعالى: ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ﴾ [هود:١٢٠]، يقول: «هذه الآية تحيل إلى نوع من الاستخدام الأسطوري للتأريخ»(١).

مما سبق يتبيّن لنا أن (أبا زيد) بنى مذهبه: «تأريخية القرآن» على أساس أن القرآن نص لغوي، ومنتج ثقافي انطلق من حدود الواقع ومفاهيمه، وهو مرتبط أوثق الارتباط باللغة التي صيغ بها وبالنظام الثقافي الذي تشكل به، ومن هذا المنطلق التأويلي يرى (أبو زيد) أن القرآن ما هو إلا تعبير وانعكاس لتلك المرحلة التأريخية التي تشكَّل فيها وتكوَّن من خلالها؛ شأنه في ذلك شأن الأنواع الأدبية المختلفة المعبّرة عن حدث معين أو مرحلة معينة أو فكرة محددة لا تتعدّى زمانها ولا تبرح ظروف مكانها من الشعر والقصة والملحمة والرواية والأسطورة والرمز والمثل، وبذلك يلغي (أبو زيد) أي معاني أو أحكام ثابتة توجد في القرآن! وهو بذلك يلغي بل يكفر بعقائد القرآن وشرائعه تحت دعوى «التأريخية»(٢).

بين تأريخية النص القرآني وأسباب نزوله.

نتيجة لتأثير تأريخية النص القرآني التي دعت إلى اعتبار الواقع سببا للتنزيل حيث أن النص الديني يتأثر ببيئة وواقع نزوله جعل نفرا من المفكرين الحداثيين يقولوا: «إن أحكام التشريع في القرآن ليست مطلقة ولا هي مجردة ولكنها أحكام تتعلق بواقعات بذاتها أثيرت لسبب أو لآخر. ويمكن من أسباب بيان تنزيل آيات القرآن والاطلاع عليها معرفة الواقع أو الواقعات التي تنزل بها كل حكم من الأحكام التشريعية في القرآن، فلقد تنزلت الأحكام بصورة عملية واقعية على أسباب معينة ولم تكن مجرد تشريع مطلق(٣). وأن كل آية تتعلق بحادثة بذاتها فهي مخصّصة بسبب التنزيل وليست مطلقة.

من هذا المنطلق أيضا دعا (حسن حنفي)(٤) إلى اعتبار الواقع في التعامل مع النص القرآني أو ما يعبّرعنه بـ» أصالة الواقع وتبعية التراث»، حيث يستند في هذه النظرية إلى علم أسباب النزول وعلم الناسخ والمنسوخ، فإنهما –من وجهة نظره– يؤكدان تبعية التراث للواقع وارتباطه به قوة وضعفا، فإن «ما عبّر عنه القدماء باسم أسباب النزول لهو في الحقيقة أسبقية الواقع على الفكر ومناداته له، كما

(١) محمد أركون، **الفكر الإسلامي نقد واجتهاد**، (ص١٣٠).

(٢) فهمي سليم زبير، **خطابات دعوى فلسفة التأويل الهرمنيوطيقي للقرآن: عرض ونقد**، ج١، (ص٣٣٣).

(٣) محمد سعيد العشماوي، **معالم الإسلام**، (القاهرة: مؤسسة الانتشار العربي، ٢٠٠٤)، (ص١٢٠).

(٤) حسن حنفي، مفكر مصري من منظري تيار السيار الإسلامي، متخصص في علم الفلسفة، معاصر، ولد سنة ١٩٣٥م. من أعماله: التراث والتجديد، اليمين واليسار في الفكر الديني. ينظر: موقع ويكيبيديا الموسوعة الحرة www.ar.wikipedia.org

أن ما عبّر عنه القدماء باسم الناسخ والمنسوخ ليدل على أن الفكر يتجدد طبقا لقدرات الواقع وبناء على متطلباته، إن تراخى الواقع تراخى الفكر، وإن اشتد الواقع اشتد الفكر»[١]، وإذن فقد «نزل الوحي حسب متطلبات الواقع أو كما يقول علماء الأصول: طبقا لأسباب النزول وتبعا لإمكانيات تقلبه، وكثيرا ما كان الوحي يعدَّل حسب الواقع كما يقول بذلك علماء النسخ»[٢]. ثم يصل (حسن حنفي) إلى نتيجة بأن «الوحي ذاته مجموعة من الآيات نزلت إبان ثلاثة وعشرين عاما... نصوص الوحي ليست كتاباً أنزل مرة واحدة مفروضاً من عقل إلهي ليتقبله جميع البشر، بل مجموعة من الحلول لبعض المشكلات اليومية التي تزخر بها حياة الفرد والجماعة، وكثير من هذه الحلول قد تغيَّرت وتبدَّلت حسب التجربة على مقدار الإنسان وقدرته على التحمل، وكثير من هذه الحلول لم تكن كذلك في بادئ الأمر معطاة من الوحي، بل كانت مقترحات من الفرد والجماعة ثم أيدها الوحي وفرضها. وهذه الخاصية توجد في الوحي في آخر مراحله وهو الوحي الإسلامي، فهو ليس عطاء من الوحي بقدر ما هو فرض في الواقع وتأييد الوحي له، وهذا هو معنى أسباب النزول» [٣].

فهؤلاء لا يقيمون وزنا للقاعدة الأصيلة في علوم القرآن بأن «العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب»، وقد رفض (العشماوي) [٤] تلك القاعدة زاعما أنها من أقوال الفقهاء وفكرهم وأنها ليست نهجاً شرعياً وإنما هي نتاج فترات الظلام الحضاري والانحطاط العقلي»[٥]، و(أبو زيد) يرى أن التمسك بهذه القاعدة يؤدي إلى نتائج يصعب أن يسلِّم بها الفكر الديني، ويقول: إن أخطر هذه النتائج للمتمسك بعموم اللفظ مع إهدار خصوص السبب أنه يؤدي إلى إهدار حكمة التدرج بالتشريع في قضايا الحلال والحرام خاصة في مجال الأطعمة والأشربة، هذا بالإضافة إلى أن التمسك بعموم اللفظ في كل النصوص الخاصة بالأحكام يهدد الأحكام ذاتها[٦].

---

(١) حسن حنفي، **التراث والتجديد**، (القاهرة: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ١٩٩٢)، (ص١٣).

(٢) حسن حنفي، **قضايا معاصرة في فكرنا المعاصر**، (القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٩٨)، (ص٩٢).

(٣) حسن حنفي، **التراث والتجديد موقف من التراث القديم**، (القاهرة: مكتب الأنجلو المصرية، ١٩٨٧)، (ص١١٥).

(٤) هو المستشار محمد سعيد العشماوي، كاتب ومفكر مصري وقانوني تولى منصب رئيس لمحكمة استئناف القاهرة، نشر أكثر من ٣٠ كتاباً بالعربية والإنجليزية والفرنسية منها: الإسلام السياسي، أصول الشريعة، ولد سنة ١٩٣٢م - وتوفي سنة ٢٠١٣ م. ينظر: موقع ويكيبيديا الموسوعة الحرة www.ar.wikipedia.org

(٥) محمد سعيد العشماوي، **الخلافة الإسلامية**، (القاهرة: سينا للنشر، ١٩٩٢)، (ص١٤٩).

(٦) نصر حامد أبو زيد، **نقد الخطاب الديني**، (ص١١٧).

نقد دعوى تأريخية النص القرآني

قبل أن نفنِّد دعوى هؤلاء المفكرين بتأريخية النص القرآني، نود أن نرد مزاعم (أبو زيد وأركون) حول «بشرية القرآن»-على اختلافهما في التعبير- لأن هذا الزعم بالنسبة إليهما يمثل نقطة المنطلق قبل تطبيق الفلسفة التأريخية على النص القرآن، وردنا يكفي بالإشارة إلى قوله تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّي مَلَكٌۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۚ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴾[سورة الأنعام:٥٠]، وقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا لَمۡ تَأۡتِهِم بِـَٔايَةٖ قَالُواْ لَوۡلَا ٱجۡتَبَيۡتَهَاۚ قُلۡ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ مِن رَّبِّيۚ هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمۡ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴾[سورة الأعراف:٢٠٣] وقوله تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا ٱئۡتِ بِقُرۡءَانٍ غَيۡرِ هَٰذَآ أَوۡ بَدِّلۡهُۚ قُلۡ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلۡقَآيِ نَفۡسِيٓۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۖ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴾[يونس:١٥]، وقوله تعالى: ﴿وَلَوۡ تَقَوَّلَ عَلَيۡنَا بَعۡضَ ٱلۡأَقَاوِيلِ ٤٤ لَأَخَذۡنَا مِنۡهُ بِٱلۡيَمِينِ ٤٥ ﴾[سورة الحاقة:٤٤-٤٥]، هذه الآيات تدل دلالة واضحة أنه ليس من وسع النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ أن يحضر القرآن أو يبدله من عند نفسه، إنما يبلغ ما أنزله الله إليه بدون زيادة أو نقصان، أو تغيير أو تبديل.

كما نرد زعم (أركون) قوله: بأن القرآن لم يعد مقدسا بعد أن تحول من الوحي الشفوي إلى النص المكتوب!! وذلك بأن نقول أن القرآن كلام الله المعجز في كل الأحوال، سواء في حاله الملفوظ أو حاله المكتوب حيث يتحدى الثقافة العربية للعرب(١)، فلما عجزوا عن ذلك اتهموا النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ في مهمته تبليغ رسالة الإسلام، كما أُثِرَ ذلك عن الوليد بن المغيرة(٢)، رموه بقول باهت فقالوا: سحر يُؤثر!

---

(١) فقد ثبت أن القرآن تحدى العرب على مراحل ثلاث:

أ- تحداهم بالقرآن كله في أسلوب عام يتناولهم ويتناول غيرهم من الإنس والجن تحديًّا يظهر على طاقتهم مجتمعين، بقوله تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا ﴾[سورة الإسراء:٨٨].

ب- ثم تحداهم بعشر سور منه في قوله تعالى: ﴿أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِعَشۡرِ سُوَرٖ مِّثۡلِهِۦ مُفۡتَرَيَٰتٖ وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٣ فَإِلَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلۡمِ ٱللَّهِ ﴾[هود:١٣-١٤].

جـ- ثم تحداهم بسورة واحدة منه في قوله: ﴿ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّثۡلِهِۦ ﴾[يونس:٣٨]، وكرّر هذا التحدي في قوله: ﴿ وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ ﴾[سورة البقرة:٢٣].

(٢) عن ابن عباس: أن الوليد بن المغيرة اجتمع إليه نفر من قريش، وكان ذا شرف فيهم، وقد حضر الموسم فقال لهم: يا معشر قريش، إنه قد حضر هذا الموسم، وإن وفود العرب ستقدم عليكم فيه، وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا، فأجمعوا فيه رأيا واحدا ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضا، ويرد قولكم بعضه بعضًا. فقالوا: وأنت يا أبا عبد شمس، فقل وأقم لنا رأيا نقول به. قال: بل أنتم قولوا لأسمع. قالوا: نقول كاهن". قال: ما هو بكاهن. قالوا: فنقول: "مجنون". قال: ما هو بمجنون! قالوا فنقول: "شاعر". قال: ما هو بشاعر! قالوا: فنقول: "ساحر". قال: ما هو بساحر! قالوا: فماذا نقول؟ قال: والله إن لقوله حلاوة، فما أنتم بقائلين من هذا شيئًا إلا عُرف أنه باطل، =

أو شاعر مجنون! أو أساطير الأولين! لكن كل هذه الاتهامات مرفوضة من جذورها لما ما عرفوا من سيرته العطرة صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بأنه أميّ ولم يعرف عنه كذب قبل تكليفه بالرسالة بل وقد كانوا يلقبونه بالصادق الأمين، كل ذلك يدل أبلغ الدلالة على قداسة القرآن وإعجازه، وأنه كما وصفه الله تعالى: ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت:٤٢]

هذا وقد يقول البعض أنهم لا ينكرون قداسة القرآن-بالرغم من وضوح قولهم، لكنهم يرون أنَّ القرآن لا يكون مجموعة تشريعية متكاملة، وذلك لأمرين: الأول: أنَّ القرآن خاضع للتأويل الذي حدث في العهود اللاحقة. الثاني: أنَّ الأحكام الشرعية فيه، إنما جاءت لتعالج أموراً طارئة معينة بطريقة عملية واقعية[1]، بل حتى العقائد الدينية إنما هي التصورات الأسطورية في وعي الجماعة التي توجهت إليها النصوص الدينية بالخطاب .

أو بعبارة أخرى، أن للنص القرآني صفته التأريخية أي الاستمرارية التطورية لإحدى الظاهرات الموجودة فعلا في الحياة الجاهيلية، وكان مرد هذه الدعوى هو القول ببشرية القرآن أو أنه منتج ثقافي-حسب تعبير (أبي زيد).

نقول لهم: لا بد من التمييز بين أمرين:

١. كون القرآن يعكس في معظم صوره واقع العصر الجاهلي العقائدي والاجتماعي والأخلاقي، ويورد أقوال المعارضين لدعوته من يهود ونصارى وصائبة ودهريين ومجوس ووثنيين ويرد عليهم ويحجهم بالحجج والبراهين، وإنه نزل بحسب أسباب النزول ودواعي الخطاب، وإنه كان بذلك متصلا بواقع العصر الذي تنزَّل فيه اتصالا وثيقا، وإنه يعدّ لأجل هذا الاتصال دليلا من أدلة التأريخ الوثيقة والمقطوع بصحتها على ذلك العصر وعلى ما انتهت إليه الإنسانية من أطوار في العقيدة والفكر والاجتماع حتى عهد النزول.

٢. كون القرآن لم يصدر عن أي تأثير من مؤثرات ذلك العصر فلم يكن يعبِّر عن موقف من المواقف السياسة أو الدينية أو الإصلاحية أو الثورية، والتي ربما كان بعض مفكري أو قادة ذلك

= وإن أقرب القول أن تقولوا: هو ساحر. فتفرقوا عنه بذلك، وأنزل الله فيهم: ﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ﴾ [سورة الحجر:٩١]. أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، **تفسير القرآن العظيم**، (المدينة: دار طيبة للنشر والتوزيع،١٩٩٩م)، ج٤، (ص٩١).

(١) عجيل النشمي، **المستشرقون ومصادر التشريع الإسلامي**، (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، (١٩٨٤)، (ص٦٣-٦٤)

العصر يتبناها، ولم يكن محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالشخص الذي يخيل للبعض أنه هيأه تفكيره وهمومه الاجتماعية وانشغالاته الإصلاحية لممارسة التوجيه إلى الإصلاح، وكل ما يقال إن العصر النبوي كان «عصر انتظار الإصلاح» مقاما نقول اليوم عن أي عصر من العصور وكل لحظة من لحظات التأريخ فلا نكذب ولا نبالغ أن الرسالة الإسلامية جاءت في إبانها مثلما يجيء كل إصلاح وتوجيه في إبانه.

فالقرآن مستقل عن السياق التأريخي لعصره لا بمعنى الانفصال عن العصر، ولكن بمعنى أنه جاء وحيا من السماء غير صادر عن فكر أو جماعة أو حركة من الحركات الاجتماعية، مستقلا بخصائصه في المضمون والأسلوب[١].

والمتتبع لمنهجية هؤلاء المفكرين يجد أنهم اعتمدوا في تطبيق الفلسفة التأريخية على القرآن على ثلاثة أسس:

أولها: أنَّ المهم في فهم النصوص ما يحقق مقاصد الوحي، ولذلك ينبغي أن يكون الفهم مرتبطاً مباشرة بالمقصد.

ثانيها: اختصاص النص بظروف نزوله وأسبابه ممَّا يتيح أن يكون معناه محدوداً بزمن تلك الظروف والأسباب.

ثالثها: سلطان الواقع على العقل في فهم النصوص القطعية، فهذا الواقع الذي يُعبَّر عنه غالباً بـ(روح العصر) وما ساد فيه من أوضاع وقيم جديدة ينبغي أن يكون محدداً لأوجه الفهم في تلك النصوص، وهو ما لخصه (حسن حنفي) في قوله:"فلا سلطان إلا للعقل ولا سلطة إلا لضرورة الواقع»[٢].

وخلاصة هذه الأسس أنَّ فَهم النصوص بما فيها القطعية يتأسس مباشرة على مقاصد الشريعة، ولذلك فإنَّه يمكن أن يفسر نظر العقل في هذه النصوص أو في بعضها على أنَّ ما اشتملت عليه من أمر ونهي هو فَهم مرتبط بالظروف والأسباب التي نزلت فيها، وأنَّ هذا الفَهم يمكن أن يتغير إلى ما يجعل الأمر نهياً أو النهي أمراً، وذلك بالاعتماد على الواقع وروح العصر على حسب ما يُرى أنَّه كفيل بتحقيق مقاصد الوحي[٣].

---

(١) فهمي سالم زبير، **خطابات دعوى فلسفة التأويل الهرمنيوطيقي للقرآن: عرض ونقد**، رسالة ماجستير مقدمة إلى قسم التفسير وعلوم القرآن كلية أصول الدين جامعة الأزهر سنة ٢٠٠٧م، ج٢، (ص١٨٤-١٨٥).

(٢) حسن حنفي، **التراث والتجديد موقفنا من التراث القديم**، (القاهرة: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ١٩٩٢)، (ص٤٥).

(٣) عبد المجيد النجار، **خلافة الإنسان بين الوحي والعقل**، (فيرجنيا: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٩٩٣)، (ص١٠٥-١٠٦).

نقول تعليقا على ما سبق، إن الأسس التي انبنت عليها هذه الوجهة تنطوي على أمور خطيرة كانت سببا في اضطرابها وتهافتها، وهي تتمثل في ثلاث نقاط:

أولا: التفرقة بين مقاصد الوحي وبين الأساليب التي تحقق تلك المقاصد.

والحق أن الوحي جاء لتحقيق مقاصد تنتهي إلى إسعاد الإنسان وتحقيق مصلحته، إلا أنه لم يقتصر على تحديد تلك المقاصد فحسب، بل جاء يرشد أيضا إلى أساليب لتحقيق تلك المقاصد، وهذه الأساليب اشتملت عليها نصوص تحمل أحكاما بعضها ظني يشتمل على احتمالات، وبعضها قطعي لا يشتمل إلا على احتمال واحد. وكما جاء الوحي ملزما بتحقيق المقاصد جاء ملزما أيضا بسلوك الأحكام.. فلا يمكن الفصل بين المقاصد الشرعية وبين الأحكام التي حدَّدها الوحي لتحقيقها، بل إن المقاصد متضمنة في الأساليب على معنى أنها لا تتحقق إلا بتلك الأساليب المنصوص عليها. ولما كانت بعض الأساليب منصوصا عليها بالقطع فإن صرف الفَهم عن المعنى الذي تحمله ضرورة يؤدي إلى تعطيل المقاصد من حيث كان الهدف إلى تحقيقها.

ثانيا: ربط النصوص بأحداثها وظروفها من حيث تخصيص الفَهم بتلك الأحداث والظروف.

إن هذا الفَهم يناقض عمومية الخطاب التشريعي، فكأن منهاج خلافة الإنسان الذي جاءت نصوص الوحي تحدد مسالكه كلف به قوم دون قوم، وأهل زمن دون زمن آخر. والحال أن الوحي قد أعلن في صراحة أن الخطاب الخلافي جاء يكلف الناس كافة، لا إلزاما بالمقاصد العامة فحسب، بل إلزاما أيضا بالتكاليف التي تحقق تلك المصلحة، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا ﴾ [سورة سبأ: ٢٨]، وقال: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ ﴾ [سورة النحل:٤٤].

ثالثا: تأسيس الفهم العقلي في نصوص الوحي القطعية على معطيات الواقع الإنساني بمستجداته التقدمية، وأوضاعه وقيمه الجديدة، وهو المعبَّر عنه بروح العصر.

إن الواقع الذي تُؤوّل إليه أوضاعُ الإنسان ليس بالضرورة متطورا نحو الأفضل في جميع مجالاته، بل هو متفاوت في تلك المجالات، فقد يتقدم إلى الحق في مجال، ويؤول إلى الباطل في مجال آخر، وعالم اليوم شاهد على ذلك، فما آل إليه الإنسان من تقدم نحو اكتشاف الحقيقة في مجال الكون وما ترتب عليه من وسائل الرفاه، واكبه أسوأ ما عرف الإنسان من تظالم وبغي وسحق للكرامة الإنسانية،

وشاهده الأوضح ما وقع في الحركة الاستعمارية مواكبا للنهضة الحضارية الغربية مما لا تزال البشرية تحصد ثماره المرة إلى اليوم: فقراً وتبعيةً، واستلاباً ثقافياً [١].

بقي لنا مناقشة دعوى تأريخية القرآن التي تبنى على «علم أسباب النزول» كما هو الملاحظ من كلام (حسن حنفي والعشماوي وأبي زيد) السابق، فإنهم -من وجهة نظرهم- يؤكدون تبعية النص القرآني للواقع وارتباطه قوة وضعفا، بمعنى أن الأحكام التي نزلت بها الآيات مرتبطة بمن نزلت فيه الآية، ولا تتعدَّى إلى غيره.

فنقول لهم ومن سار على دربهم -كما يقول الأستاذ الدكتور: (أحمد الطيب) [٢] في ردِّه على (حسن حنفي)- « إن الحقيقة التي لا مراء فيها أن قدراً كبيراً جداً من القرآن نزل ابتداء بلا أسباب أو مقتضيات مع الواقع، أما الآيات التي نزلت لسبب فهي قليلة جدا. بمعنى أن هذا القدر الكبير لم يكن إجابة عن أسئلة ولا ردود فعل لمثيرات معينة أثارها واقع المجتمع المكي أو المدني في عصر الرسالة، وإذا كان بعض آيات الأحكام قد قارن نزوله حوادث جزئية فإن آيات التوحيد لم ترتبط في نزولها بسبب ولا مقتض ولا باعث من الواقع، بل نزلت أساسا لتغيير واقع المجتمع الجاهلي ولتنشئ على أطلاله مجتمعا من نوع آخر[٣]، ولعل هذا ما عناه الإمام (محمد عبده)[٤] بقوله: « إن سبب النزول إنما يحتاج إليه في آيات الأحكام، لأن معرفة الوقائع والحوادث التي نزل فيها الحكم تعين على فهمه وفقه حكمته وسره .... وأما الآيات المقررة للتوحيد-وهو المقصود الأول من الدين - فلا حاجة إلى التماس أسباب لنزولها بل هي لا تتوقف على انتظار السؤال، وإنما كان يبين عند كل مناسبة...[٥]».

(١) عبد المجيد النجار، **خلافة الإنسان بين الوحي والعقل**، (ص١٠٧-١١٠) بتصرف.

(٢) هو أحمد محمد أحمد الطيّب، الإمام الأكبر وشيخ جامع الأزهر والرئيس السابق لجامعة الأزهر، معاصر، ولد سنة ١٩٤٦م. ينظر: موقع ويكيبيديا الموسوعة الحرة www.ar.wikipedia.org

(٣) أحمد محمد الطيب، **التراث والتجديد مناقشات وردود**، (القاهرة: مجمع البحوث الإسلامية، ٢٠١٤)، (ص١٤٤).

(٤) هو محمد بن عبده بن حسن طير الله، عالم دين وفقيه مصري، يُعد أحد رموز التجديد في الفقه الإسلامي ومن دعاة الفقهاء والإصلاح في العالم العربي والإسلامي في أواخر القرن (١٩) وبداية القرن (٢٠). ولد سنة ١٨٤٩م - وتوفي سنة ١٩٠٥م. من أهم مؤلفاته: رسالة التوحيد، والإسلام والنصرانية بين العلم والدينية. ينظر: موقع ويكيبيديا الموسوعة الحرة www.ar.wikipedia.org

(٥) محمد عبده ورشيد رضا، **تفسير المنار**، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م)، ج٢، (ص٤٦).

صحيح أن معرفة سبب النزول-كما قال الإمام (ابن تيمية)[1]- يعين على فهم الآية؛ لأن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب[2]، لكن هذا لا يعني أن يلتمس الإنسان لكل آية سببًا، فإن القرآن نزل ليهدي الإنسانية إلى المحجة الواضحة، ويرشدها إلى الطريق المستقيم، ويقيم لها أسس الحياة الفاضلة التي تقوم دعامتها على الإيمان بالله ورسالاته، ويقرر أحوال الماضي، ووقائع الحاضر، وأخبار المستقبل، وأكثر القرآن نزل ابتداء لهذه الأهداف العامة[3].

أما الآيات التي نزلت لسبب -بالرغم من قلتها- فإن القاعدة الأصولية تقرِّر بأن «العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب»، وهذه القاعدة نفسها تنسف من الجذور محاولة ربط القرآن بالواقع.

وبالجملة: فإن القول بأن القرآن نزل طبقا لأسباب النزول وتبعا لإمكانيات تقبله قول لا يستند إلى دليل مقبول.

أما دعوى (العشماوي): بأن القاعدة فقهية وليست شرعية وإنها لم ترد في القرآن ولا في السنة! فنقول: هذه القاعدة شرعية ويكفينا في محل النزاع ما ورد في السنة النبوية الصحيحة الصالحة للحجة. فعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رجلا أصاب من امرأة قبلة فأتى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأخبره فأنزل الله: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴾ [هود:١١٤] فقال الرَّجل: يا رسول الله ألي هذا؟ قال: «**لجميع أمتي كلهم**»[4]. ونظير هذه الرواية رواية أميمة بنت رفيقة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: أتيت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في نسوة من الأنصار نبايعه فقلنا: يا رسول الله نبايعك على أن لا نشرك بالله شيئا ولا نسرق ولا نزني ولا نأتي ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا ولا نعصيك في معروف. قال: «**فيما استطعتن وأطقتن؟**» قالت: قلنا: الله ورسوله أرحم بنا هلم نبايعك يا رسول الله، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « **إني لا أصافح النساء إنما قولي لمائة امرأة كقولي لامرأة واحدة أو مثل قولي لامرأة واحدة**»[5].

---

(١) هو تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم الحراني المشهور بابن تيمية، عالم نحرير، وإمام في الفقه والحديث والتفسير، من أبرز علماء المسلمين في منتصف القرن السابع الهجري. ولد سنة ٦٦١ هـ - وتوفي سنة ٧٢٨هـ. ينظر: موقع ويكيبيديا الموسوعة الحرة www.ar.wikipedia.org

(٢) أحمد بن تيمية، **مجموع فتاوى**، (بيروت: دار الفكر، ١٩٩٧م)، ج١٢، (ص٢٩١).

(٣) مناع القطان، **مباحث في علوم القرآن**، (القاهرة: مكتبة المعارف، (٢٠٠٠)، (ص٦٥).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب: الصلاة، باب: الصلاة كفارة، ج١، (ص١٩٦-١٩٧)؛ ومسلم في صحيحه كتاب: التوبة باب: قوله تعالى: إن الحسنات يذهبن السيئات، ج٤، (٢١١٠).

(٥) أخرجه النسائي في سننه كتاب: البيعة باب: بيعة النساء، ج٧، ص١٤٩، وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن النسائي، ج٣، =

أما مقولة (العشماوي): بأن قاعدة «العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب» حدثت في فترة الظلام الحضاري والانحطاط العقلي وبذلك تغيّر تفسير القرآن تماما! فإن هذه المقولة فيها تطاول على مقام النبوة، وعلى الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وعلى عامة علماء المسلمين قديماً وحديثاً واتهام لهم بالانحطاط العقلي والتخلف الحضاري!! إن العمل بهذه القاعدة لا يعني إلغاء الفكر وإعمال النظر، فإنه عند تطبيق هذه القاعدة لا يغفل بحال جانب الفكر والنظر لتبين مدى الشبه القائم بين الواقعة غير صورة السبب وبين الواقعة التي هي صورة السبب، حتى إن الكل مجمع على إمكان خروج صورة غير السبب من النص العام بطريق الاجتهاد الذي يتبين من خلاله قيام فارق مؤثر بين الواقعة الماثلة وبين الواقعة التي هي صورة السبب[١].

وفي النهاية، نود أن نسجل ما كتبه الأستاذ: (محمد عمارة) [٢] حين بيّن تهافت القول بتأريخية النص القرآني. يقول: «إذا كان هذا القول بتأريخية النص قد جاز ووجد له بعض المسوغات في الغرب المسيحي، فإنَّ دعوى تأريخية النص الديني لا مكان لها بالنسبة للقرآن، لأنَّ القرآن هو كتاب الشريعة الخاتمة، والرسالة التي ختمت بها النبوات والرسالات، فلو طبقنا عليه قاعدة تأريخية النصوص الدينية، لحدث (فراغ) في المرجعية الدينية، إذ لا رسالة بعد رسالة محمد، ولا وحي بعد القرآن وإذا حدث هذا (الفراغ) في المرجعية والحجة الإلهية على الناس، زالت حجة الله على العباد في الحساب والجزاء، إذ سيقولون: يا ربنا، لقد أنزلت علينا كتاباً نسخه التطور، فماذا كان علينا أن نطبق بعد أن تجاوز الواقع المتطور آيات الكتاب وأحكامه؟»[٣].

= (ص٨٧٦)؛ والحديث أخرجه الترمذي في جامعه كتاب السير باب ما جاء في بيعة النساء، ج٤، (ص١٥١-١٥٢)، وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح.

(١) فهمي سالم زبير، **خطابات دعوى فلسفة التأويل الهرمنيوطيقي للقرآن: عرض ونقد**، ج١، (ص٣٣٣).

(٢) هو محمد عمارة مصطفى عمارة، مفكر إسلامي، ومؤلف ومحقق وعضو البحوث الإسلامية بالأزهر القاهرة، معاصر، ولد سنة (١٩٣١م)، له مؤلفات كثيرة منها: التفسير الماركسي للإسلام، المعتزلة ومشكلة الحرية الإنسانية. ينظر: موقع ويكيبيديا الموسوعة الحرة www.ar.wikipedia.org

(٣) محمد عمارة، **شبهات حول الإسلام**، (القاهرة: دار نهضة مصر، ٢٠٠٢م)، (ص١٨-١٩).

الخاتمة

يمكن تلخيص أهم نتائج البحث فيما يلي:

١. أن الفلسفة التأريخية قائمة على المادية وإنكار الوحي وإنكار كل ما هو غير مادي، وهذا لا يجوز مع القرآن الكريم الذي هو وحي إلهي؛ لا يمكن أن يدرك وفق القواعد أو المناهج المادية التي تنكر حقيقة الوحي.

٢. المجتمعات الاسلامية لم تعرف في تأريخها الطويل أية سلطة دينية كما هي سلطة الكنسية في المجتمعات الغربية، وأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قد منَّ على المسلمين بحفظ قرآنه الكريم من أي تحريف وتزييف، وليس الأمر كذلك بالنسبة للكتب المقدسة، لذا لجأ علماء اليهود والنصارى إلى انتهاج الطريقة التأريخية في تفسيرها.

٣. أنَّ القرآن الكريم هو الرسالة الخالدة التي ختمت به النبوات والرسالات، فلا يتصور أن يناقض ما شرعه الله تعالى –وهو خالق كل إنسان سبحانه– الواقع الحياتي أو مصلحة عباده، فالقول بتأريخية القرآن يناقض عمومية الخطاب التشريعي، فكأن منهاج خلافة الإنسان الذي جاءت نصوص الوحي تحدد مسالكه كُلف به قوم دون قوم، وأهل زمن دون زمن آخر.

٤. أن العقلية البشرية التي تريد تطبيق الفلسفة التأريخية متعددة القدرات والرغبات ومع هذه المناهج التي لا تملك إلا شعارات التطور والمواكبة ستكون النتائج غير ثابتة أو غير متباينة.

٥. أن الله عَزَّوَجَلَّ رتَّب على فعل أوامر القرآن الكريم وتطبيق أحكامه الثواب والعقاب، فلو خرجت الأحكام عما ورد في نصوصه إلى أحكام أخرى متطورة لأصبح الثواب والعقاب بلا معنى، فلا الحاجة إلى القرآن الكريم في ظل هذه الفلسفة؟

المصادر والمراجع

المراجع باللغة العربية:

١. **القرآن الكريم**.

٢. **الفلسفة الحديثة من ديكات إلى هيوم**، إبراهيم مصطفى إبراهيم، (إسكندرية: دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، د.ت)..

٣. **تفسير القرآن العظيم**، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، (المدينة: دار طيبة للنشر والتوزيع،١٩٩٩م).

٤. **التراث والتجديد مناقشات وردود**، أحمد محمد الطيب، (القاهرة: مجمع البحوث الإسلامية، ٢٠١٤).

٥. **حكمة الغرب**، برتراند رسل، ترجمة: د.فؤاد زكريا، (الكويت: عالم المعرفة، ١٤٠٤هـ-١٩٨٣م).

٦. **المعجم الفلسفي**،جميل صليبا، (بيروت: دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٢م).

٧. **تاريخ العصور الوسطى الأوروبية وحضارتها**، جوزيف نسيم يوسف، (بيروت: دار النهضة العربية، ط٢، ١٩٨٧م).

٨. **التراث والتجديد موقف من التراث القديم**، حسن حنفي، (القاهرة: مكتب الأنجلو المصرية، ١٩٨٧م).

٩. **التراث والتجديد موقفنا من التراث القديم**، حسن حنفي،(القاهرة: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ١٩٩٢م).

١٠. **التراث والتجديد**، حسن حنفي، (القاهرة: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ١٩٩٢م).

١١. **قضايا معاصرة في فكرنا المعاصر**، حسن حنفي، (القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٩٨م).

١٢. **رواد الفلسفة الحديثة**، ريتشارد شاخت، ترجمة: د أحمد حمدي محمود، (القاهرة: مكتبة الأسرة، د.ت).

١٣. **المعجم العلمي للمعتقدات الدينية (The Scientific Lexicon of religious Beliefes)**، سعيد الفيشاوي (مترجم)، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٢م).

١٤. **موسوعة الفلسفة**، عبدالرحمن بدوي، (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، ١٩٨٤م).

١٥. **خلافة الإنسان بين الوحي والعقل**، عبد المجيد النجار، (فيرجنيا: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٩٩٣م).

١٦. **المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة**، عبد المنعم الحنفي، (القاهرة: مكتبة مدبولي، ط٣، ٢٠٠٠م.

١٧. **المستشرقون ومصادر التشريع الإسلامي**، عجيل النشمي، (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، ١٩٨٤م).

١٨. **فلسفة التاريخ عند فيكو**، عطيات أبو السعود، (الإسكندرية: منشأة المعارف، ١٩٩٧م).

١٩. **خطابات دعوى فلسفة التأويل الهرمنيوطيقي للقرآن: عرض ونقد**، فهمي سالم زبير، رسالة ماجستير مقدمة إلى قسم التفسير وعلوم القرآن كلية أصول الدين جامعة الأزهر سنة ٢٠٠٧م.

٢٠. **قراءات في الفلسفة العربية المعاصرة**، كمال عبد اللطيف، (بيروت: دار الطليعة، ١٩٩٤م).

٢١. **الموسوعة الميسرة في الفكر الفلسفي والاجتماعي**، كميل الحاج، (بيروت: مكتبة لبنان، ط١، ٢٠٠٠م.

٢٢. **محاضرات في النصرانية**، محمد أبو زهرة، (د. م: دار الفكر العربي، د. ط).

٢٣. **الفكر الإسلامي نقد واجتهاد**، محمد أركون، (بيروت: دار الساقي، ٢٠١٢م).

٢٤. **الفكر الأصولي واستحالة التأصيل**، محمد أركون، ترجمة وتعليق: هاشم صالح (بيروت: دار السياقي، ط٢، ٢٠٠١م).

٢٥. **القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني**، محمد أركون، ترجمة: هاشم صالح (بيروت: دار الطليعة، ٢٠٠٥م).

٢٦. **تأريخية الفكر العربي الإسلامي**، محمد أركون، ترجمة: هاشم صالح (بيروت: المركز الثقافي العربي، ط٢، ١٩٩٦م).

٢٧. **قضايا في نقد العقل الديني كيف نفهم الإسلام اليوم**، محمد أركون، ترجمة: هاشم صالح (بيروت: دار الطليعة، د.ت).

٢٨. **الخلافة الإسلامية**، محمد سعيد العشماوي، (القاهرة: سينا للنشر، ١٩٩٢م).

٢٩. **معالم الإسلام**، محمد سعيد العشماوي، (القاهرة: مؤسسة الانتشار العربي، ٢٠٠٤م).

٣٠. **فلسفة التاريخ وتكوين البشرية عند يونان هردر: من نظام المعرفة إلى نظام الحقيقة**، محمد شوقي الزين، (الرباط: مؤسسة مؤمنون بلا حدود، د. ت)..

٣١. **تفسير المنار**، محمد عبده ورشيد رضا، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م).

٣٢. **شبهات حول الإسلام**، محمد عمارة، (القاهرة: دار نهضة مصر، ٢٠٠٢م).

٣٣. **قراءات في تاريخ العصور الوسطى**، محمد محمد ناصر الحداد، مجلة جامعة الناصر، العدد الرابع يوليو، ٢٠١٤م.

٣٤. **نقد العقل الإسلامي عند محمد أركون**، مختار الفجاري، (بيروت: دار الطليعة، ٢٠٠٥م).

٣٥. **مباحث في علوم القرآن**، مناع القطان، (القاهرة: مكتبة المعارف، ٢٠٠٠م).

٣٦. **موسوعة المورد**، منير البعلبكي، (بيروت: دار العلم والملايين، ط١، ١٩٩٢م).

٣٧. **إشكاليات القراءة وآليات التأويل**، نصر حامد أبو زيد، (الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٥م).

٣٨. **مشروع النهضة بين التوفيق والتلفيق**، نصر حامد أبو زيد، مجلة القاهرة، العدد ١١٩، أكتوبر ١٩٩٢م.

٣٩. **نقد الخطاب الديني**، نصر حامد أبو زيد، (القاهرة: مكتبة مدبولي، ١٩٩٤م).

٤٠. **اللغة كوسيط التجربة التأويلية**، هانس جورج جادامر، ترجمة آمال أبي سليمان، مجلة العرب والفكر العالمي، عدد٣، ١٩٩٩م.

المراجع باللغة الأجنبية:

1. Abdul Kabir Hussain Solihu, Historict Approach to the Qur'an: Impact of Nineteenth-Century Western Hermeneutics in the Writing of Two Muslim Scholars, (Unpublished Ph.D Dissertation at IIUM, 2003, Kuala Lumpur).
2. C. John Sommerville, The Secularization of Early Modern England: From Religious Culture to Religious Faith (New York: Oxford University Press, 1992).
3. C. Turner, Without God, Without Creed: The Origins of Unbelief in America, (Baltimore: Jonh Hopkins University Press, 1985).
4. Charles G. Herbetmann (Editor in Chief),The Catholic Encyclopedia (New York: Robert Appleton Company,1910).
5. Clyde L. Manschreck, A History of Chistianity: Readings in the History of the Church from Reformation to the Present (New Jersey: Prentice-Hall, Inc. Englewood Cliffs, 1965).
6. Donald M. Borchert (Editor), Encyclopedia of Philosophy, (USA: Thomson Gale, 2nd Edition, 2006).
7. Friedrich Schleiermacher, Kritische Gesamtausgabe (Berlin: Walter de Gruyter, 1984).
8. Hanz Kung, Judaism between Yesterday and Tomorrow, Eng. Tr. by John Bowden. (New York: Cross Road, 1992)
9. Huston Smith, The World's Religion. The revised & update edition of The Religions of Man, (San Francisco: Harper, 1991).
10. J. Christian Beker, Paul the Apostle, (Philadelphia: Fortress Press, 1971).
11. Johann Gottfried Herder, Une autre philosophie de l'histoire (Paris: tr. Max Rouche, Aubier/ edition Montaigne, 1964).
12. John William Draper, History of the Conflict between Religion and Science, (London: Cambridge University Press, 2nd Edition, 2009).
13. Josef Bleicher, Contemporary Hermeneutics: Hermeneutics as Method, Philosophy and Critique (London: Routledge & Kegan Paul, 1980).
14. Joseph Prestly, An History of the Corroption of Cristianity, (London: J. Thomson, 1793);

15. Mircea Eliade (Editor in Chief), The Encyclopedia of Religion (New York: Simon & Schuster Macmillan, 1993).

16. Peterson Collins & Mathew A. Price, The Story of Christianity, 2000 Years of Faith, (London: Dorling Kindersley Limited).

17. Ray C. Petry (editor), A History of Chistianity: Readings in the History of the Early and Medieval Church (New Jersey: Prentice-Hall, Inc. Englewood Cliffs, 1962).

18. Richard E. Palmer, Hermeneutics: Interpretation Theory in Schleiermacher Dilthey, Heidegger, and Gadamer (Evaston, Illionis: Northwestern University Press, 1969).

19. Wilhelm Dilthey, "Die Entsehung der Hermeneutik," Gesammelte Schriften (Gottingen: Vanderhoek & Ruprecht, 1957).

20. http://www.britannica.com/topic/hermeneutics-principles-of-biblical-interpretation

21. http://www.catholic.org/encyclopedia/view.php?id=5711

رسالة ابن بصخان
في شرح باب وقف حمزة وهشام

للإمام محمد بن أحمد بن بصخان (ت: ٣٤٧هـ)

(دراسة وتحقيق)

د/ أحمد بن عبد الله سليماني

الأستاذ المشارك بقسم القراءات بكلية القرآن الكريم

والدراسات الإسلامية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

aadas99@gmail.com

مجلة تعظيم الوحيين

ملخص البحث

موضوع البحث:

باب وقف حمزة وهشام على الهمز من خلال أبيات الشاطبية.

هدف البحث:

تحقيق المخطوط وإخراجه لينتفع به طلبة العلم من المتخصصين في القراءات.

مشكلة البحث:

صعوبة هذا الباب على المبتدئين في هذا العلم، فبينت ما يحتاج إلى بيان أو توضيح مع إزالة مشكله وتوضيح غامضه.

نتائج البحث:

أن باب وقف حمزة وهشام من أهمّ الأبواب التي ينبغي أن يهتمّ بها، وتدرس دراسة موسّعة من حيث النحو والتصريف؛ لأنه لا يتقن هذا الباب ويتمكن منه إلا من كان ضليعًا في علم النحو والصرف كما قال الإمام الشّاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

الكلمات الدَّالة (المفتاحية):

حمزة- هشام- ابن بصخان- الوقف على الهمز.

مجلة تعظيم الوحيين

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجًا، والصّلاة والسّلام على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين، ومن سلك طريقهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن الله تعالى فضَّل أمة محمدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وشرَّفها على سائر الأمم، ومما فضلها به أنه أنزل إليهم القرآن الكريم، الذي جعله مهيمنًا على جميع الكتب السَّابقة، والذي تكفَّل الله عَزَّوَجَلَّ بحفظه، واختار له أفصح اللغات وأبينها؛ فأنزله بها، وأنزله على سبعة أحرفٍ تخفيفًا على هذه الأمّة، وإرادة اليسر لها، والتهوين عليها، وإجابة لقصد نبيِّها حينما أتاه جبريل عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فقال له: «إن الله يأمرك أن تقرأ أُمتك القرآن على حرف»، فقال: «أسأل الله معافاته ومغفرته وإن أمتي لا تطيق ذلك»، ثم أتاه الثانية فقال: «إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرفين»، فقال: «أسأل الله معافاته ومغفرته وإن أمتي لا تطيق ذلك»، ثم جاءه الثالثة فقال: «إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على ثلاثة أحرف»، فقال: «أسأل الله معافاته ومغفرته وإن أمتي لا تطيق ذلك»، ثم جاءه الرابعة فقال: «إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على سبعة أحرف فأيماحرف قرءوا عليه فقد أصابوا»[1].

ولقد اهتمَّ سلف هذه الأمّة بقراءات القرآن الكريم اهتماما كبيرا، فالصّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ تلقوا القرآن من فم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما أخذه عن جبريل عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وقاموا بدورهم فأقرءوا من بعدهم على وفق ما تلقوا من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،كُلٌّ بالحرف الذي تعلمه وتلقاه.

وهكذا تلقاه التابعون ونقلوه إلى من بعدهم مشافهة بالسند المتّصل إلى النّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى انتشرت القراءات في جميع بقاع الأرض، ثم بدأ التدوين في هذا العلم، فألف العلماء المؤلفات المطولات والمختصرات، فكان منها ما اشتمل على عدة قراءات مثل: السبع، والعشر، وما فوق ذلك وما دون ذلك، ومنها ما ألف في قراءة واحدة أو رواية منفردة.

(١) الجامع الصحيح (١/ ٥٨٢)، باب: بيان أنّ القرآن أنزل على سبعة أحرف، حديث رقم (٨٢١).

ومن العلماء من خص بعض أبواب القراءات بالتأليف؛ لصعوبة مسائلها، وكثرة أوجهها، ومن هؤلاء العلماء: الشيخ النابه والمقرئ النحرير بدر الدين محمد بن أحمد بن بصخان الذي ألف رسالة قيمة شرح فيها باب وقف حمزة وهشام على الهمز من خلال أبيات الشاطبية، فاستخرت الله في تحقيقه وإخراجه لينتفع به طلاب العلم من المتخصصين في القراءات راجيا من الله المعونة والتوفيق.

أهمية الموضوع، وأسباب اختياره

تظهر أهمية هذا الموضوع، وأسباب اختياره، في النقاط التالية:

١ . كونه يتناول مبحثا من مباحث علم القراءات، وهو وقف حمزة وهشام على الهمز.

٢ . أن هذه الرسالة موجزة، ومع ذلك حوت على جميع مسائل باب وقف حمزة وهشام.

٣ . أنّ هذه الرسالة لا تزال في حكم المخطوط، فأحببت إخراجها لطلبة العلم؛ حتى يستفاد منها.

٤ . باب وقف حمزة وهشام من أصعب الأبواب التي تحتاج إلى دراسة وعناية؛ كي يشرح ويبيّن للطّلاب؛ حتّى يكونوا على دراية به، وإلمام بمسائله، فأحببت أن أساهم بتحقيق هذه الرسالة، وإخراجها؛ لكي يستفيد منها الطلاب، والله أسأل أن يوفقني وجميع طلبة العلم لما فيه النفع والخير للمسلمين والمسلمات.

الدراسات السابقة

بعد البحث والاستقراء، وتتبع شبكات التواصل، وسؤال المختصين، لم أقف على دراسة سابقة تناولت هذه الرسالة بالدراسة والتحقيق، فهي ما زالت محبوسة في رفوف المخطوطات، وعساها ترى النور قريبا إن شاء الله، سائلاً الله تعالى التوفيق والسداد.

خطة البحث

تألف هذا البحث من مقدمة وقسمين وخاتمة وفهارس علمية.

المقدمة: وتشتمل على: الافتتاحية، وأهمية الموضوع، وأسباب اختياره، والدراسات السابقة، وخطة البحث، ومنهج التحقيق.

القسم الأول: الدراسة ويشتمل على فصلين:

الفصل الأول: ترجمة المؤلف، وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: اسمه، وكنيته، ولقبه، ونسبته، ومولده، ووفاته.

المبحث الثاني: طلبه للعلم، ورحلاته.

المبحث الثالث: شيوخه، وتلاميذه.

المبحث الرابع: مؤلفاته ومنهجه في الإقراء.

الفصل الثاني: دراسة الرسالة، وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: صحة نسبة الرسالة لمؤلفها.

المبحث الثاني: موضوع الرسالة، وسبب تأليفه لها.

المبحث الثالث: منهج المؤلف في رسالته.

المبحث الرابع: وصف النسخة الخطية ونماذج منها.

القسم الثاني: النّص المحقق، ويحتوي على تحقيق الرسالة كاملة.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.

الفهارس:

فهرس المصادر والمراجع.

منهج التحقيق

١ . نسخت النص وفق قواعد الإملاء الحديثة.

٢ . كتبت الآيات بالرسم العثماني، مع ذكر اسم السورة ورقم الآية في النص المحقق.

٣ . ترجمت للأعلام الوارد ذكرهم في الرسالة.

٤ . عزوت أبيات الشاطبية بالصفحة ورقم البيت، في الحاشية.

٥ . رجعت إلى المصادر ووثقت منها ما أمكن توثيقه.

٦ . التزمت بعلامات الترقيم، وضبطت بالشكل ما يحتاج إلى ضبط.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الفصل الأول:

ترجمة المؤلف، وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: اسمه، وكنيته، ولقبه، ونسبته، ومولده، ووفاته.

المبحث الثاني: طلبه للعلم ورحلاته.

المبحث الثالث: شيوخه، وتلاميذه.

المبحث الرابع: مؤلفاته ومنهجه في الإقراء.

مجلة تعظيم الوحيين

المبحث الأول:

اسمه، وكنيته، ولقبه، ونسبته، ومولده، ووفاته.

اسمه: محمد بن أحمد بن بصخان بفتح الباء الموحدة وسكون الصاد المهملة وبعد الخاء المعجمة ألف ونون ابن عيد الدولة، الإمام البارع المقرئ المجود النّحوي، ابن السراج[(١)].

كنيته: أبو عبد الله[(٢)].

لقبه: بدر الدين، شيخ القراء[(٣)].

نسبته: الدّمشقي، الصفدي[(٤)].

مولده: ولد سنة (٦٦٨ه)[(٥)].

وفاته: توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ يوم الخميس، خامس ذي الحجة سنة (٧٤٣هـ) بدمشق، وصلي عليه من يومه، ودفن بمقابر باب الفراديس[(٦)].

(١) انظر بغية الوعاة في طبقات اللغوين والنحاة (١/ ٢٠)، ديوان الإسلام(١/ ٣٤٦).

(٢) انظر نكث الهميان في نكت العميان (١/ ٢٢٦).

(٣) انظر الوافي بالوفيات(٢/ ١١٢).

(٤) انظر بغية الوعاة(١/ ٢٠).

(٥) انظر الوافي بالوفيات(٢/ ١١٢).

(٦) انظر الوفيات(١/ ٤٣٩).

المبحث الثاني:
طلبه للعلم، ورحلاته.

طلبه للعلم:

نشأ بدر الدين محمد بن أحمد بن بصخان بمدينة الصالحية بدمشق، سمع الكثير بعد الثمانين وستمائة من العز بن الفراء، وجماعة، وعني بالقراءات سنة تسعين وستمائة وبعدها، فقرأ لأبي عمرو وابن كثير ونافع: على رضي الدين بن دبوقا، ولابن عامر: على الفاضلي، ثم جمع عليه السبعة، ثم عرض ختمة بالسبع على الدمياطي، وأخرى على برهان الدين الإسكندري، وقرأ ختمة لعاصم: على شرف الدين الفزاري، ولازمه مدة وقرأ عليه شرح أبي شامة.

أقبل على العربية فأحكم كثيرا منها، وتصدى لقراء القراءات والنحو، وقصده الطلبة، وظهرت فضائله، وبهرت معارفه، وبعد صيته، وازدحم عليه المقرئون، وأخذوا عنه علم العربية.

وله مُلْكٌ يقوم بمصالحه، ولم يتناول من الجهات درهما، ولا طلب جهة مع كمال أهليته، ثم ولي بلا طلب مشيخة التربة الصالحية بعد مجد الدين التونسي، بحكم أنه أقرأ من بدمشق في زمانه[١].

رحلاته:

ذهب إلى بلاد الحجاز؛ قاصدا الحج أكثر من مرة، ورحل عام سبع مائة إلى مصر، وجلس في حانوت تاجرا، وتعلم علوم العربية هناك، وأتقن كثيرا منها، وقدم دمشق معلما ومدرسا للقراءات والعربية[٢].

(١) انظر: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام(٢٠/ ٢٧٩)، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة(٥/ ٣٦).

(٢) انظر: أعيان العصر وأعوان النصر(٤/ ٢٨٣)، نكث الهميان (١/ ٢٢٦).

المبحث الثالث:

شيوخه، وتلاميذه.

أولا: شيوخه:

١ . إبراهيم بن داود بن ظافر بن ربيعة، الإمام جمال الدين أبو إسحاق العسقلاني المقرئ المجود، ولد في صفر سنة اثنتين وعشرين وست مائة، سمع من ابن الزبيدي، ولازم السخاوي، وأكثر عنه وجمع عليه بالسبع، وقرأ على السيوفي البلداني، وسمع على أحمد بن عبد الدائم الترغيب والترهيب للتيمي، وكان شيخ الإقراء بالتربة الصالحية، توفي في جمادى الأولى سنة اثنتين وتسعين وست مائة[١].

٢ . أحمد بن عبد الرحيم بن شعبان، الإمام المقرئ الفقيه شهاب الدين ابن النحاس، ولد في حدود الأربعين وست مائة، وقرأ القراءات على الشيخ زين الدين الزواوي، وكان صالحا نزيها فاضلا، يقرئ بالمقدمية وبالجامع، وولي مشيخة تربة أم الصالح بعد الفاضلي أشهرا[٢].

٣ . أحمد بن إبراهيم بن سباع بن ضياء شرف الدين أبو العباس المقرئ النحوي، خطيب دمشق، أخو الشيخ تاج الدين، ولد بدمشق في رمضان سنة ثلاثين وست مائة، قرأ بثلاث روايات على السخاوي وسمع منه الكثير ومن ابن الصلاح، وتلا بالسبع على شمس الدين بن أبي الفتح، وأحكم العربية على المجد الإربلي، وطلب الحديث بنفسه، وقرأ الكتب الكبار وله مشيخة ودرس بالرباط الناصري وغيره، وولي خطابة جامع جراح، ثم ولي خطابة جامع دمشق بعد الفارقي سنة ثلاث: قال الذهبي في معجمه: «كان فصيحا حلو القراءة، عديم اللحن، متواضعا، حسن الجمة، درس وفسر وأقرأ العربية مدة، توفي في شوال سنة خمس وسبعمائة، ودفن بباب الصغير عند أخيه رحمهما الله»[٣].

---

(١) انظر: المعجم المختص بالمحدثين (ص٥٤)، تذكرة الحفاظ (٤/ ١٧٨)، ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد (١/ ٨٧).

(٢) انظر: معجم الشيوخ الكبير للذهبي (١/ ٦٥).

(٣) طبقات الشافعية(٢/ ٢٠٩).

٤ . إسماعيل بن عبد الرحمن بن عمرو بن موسى بن عميرة العدل المعمر عز الدين أبو الفداء المرداوي ثم الصالحي الحنبلي الفراء، ولد سنة عشر وستمائة، شيخ صالح، كثير التلاوة، روى الكثير عن ابن قدامة، وسمع من الشيخ الموفق، وكان محبا للحديث، مات في جمادى الآخرة سنة سبع مائة بقاسيون[١].

٥ . جعفر بن القاسم بن جعفر بن علي بن جيش الربعي الإمام رضي الدين بن دبوقا، مولده بحران، بكرة يوم الإثنين رابع عشر ذي الحجة سنة إحدى وعشرين وست مائة، ونزل دمشق وسكنها، شيخ جليل، صالح فاضل، مفنن في القراءات والعربية، وله محفوظ في الفقه، وكانت وفاته بدمشق في يوم الأحد السادس والعشرين من شهر رجب سنة إحدى وتسعين وست مائة، ودفن بسفح قاسيون، رَحِمَهُ ٱللَّهُ [٢].

٦ . جمال الدين الفاضلي، ولي مشيخة الإقراء بتربة أم الصالح في صفر، لموت العماد الموصلي سنة اثنتين وثمانين وستمائة[٣].

٧ . محمد بن عبد العزيز بن أبي عبد الله، أبو عبد الله ابن الدمياطي، ولد في حدود سنة عشرين وست مائة، تلا بالسبع على السخاوي، وسمع منه، وخدمه، ولازمه، وقرأ القراءات مفردا في عشر ختمات، وجامعا في ختمة على الشيخ علم الدين السخاوي، وعرض الشاطبية والرائية، وسمع التيسير، وكانت له حلقة مصدرة[٤].

٨ . إبراهيم بن فلاح بن محمد بن حاتم، الإمام الخطيب أبو إسحاق الجذامي الإسكندراني، الشافعي، نزيل دمشق، قدم شابا فتلا بالسبع على علم الدين القاسم الأندلسي وغيره، واعتنى بالسماع فسمع من عبد الدائم، وفرج الحبشي، وعماد الدين، وأقرأ الناس دهرا، مات في شوال سنة اثنتين وسبع مائة[٥]، وغيرهم.

---

(١) انظر: معجم الشيوخ (١/ ١٧٥)، تاريخ الإسلام (١٥/ ٩٤٨).

(٢) انظر: المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي(٤/ ٢٦٩).

(٣) انظر: تاريخ الإسلام(١٥/ ٤١٨).

(٤) انظر: معجم الشيوخ الكبير للذهبي(٢/ ٢١٨)، معرفة القراء (ص٣٧٩).

(٥) انظر: المعجم المختص بالمحدثين (ص٦١).

ثانيا: تلاميذه:

١ . محمد بن أحمد بن عبد الهادي ابن عبد الحميد بن قدامة شمس الدين الحنبلي، الفقيه البارع المقرئ المجود المحدث الحافظ النحوي الحاذق صاحب الفنون، ولد سنة خمس وسبع مائة أو قريب منها، وسمع الكثير من القاضي، وأبي بكر بن عبد الدائم، وطائفة، وعني بفنون الحديث، توفي في جمادى الأولى سنة أربعة وأربعين وسبعمائة[١].

٢ . عمر بن رسلان بن نصير بن صالح الكناني العسقلاني الأصل، ثم البلقيني المصري الشافعي، أبو حفص، سراج الدين: مجتهد حافظ للحديث، ولد في بلقينة (من غربية مصر) وتعلم بالقاهرة، وولي قضاء الشام سنة تسعة وستين وسبعمائة وتوفي بالقاهرة[٢].

٣ . عمر بن حسن بن يزيد بن أميلة بن جمعة بن عبد الله المراغي ثم المزي، مسند الشام زين الدين أبو حفص، سمع على الفخر بن البخاري «جامع الترمذي»، والسنن لأبي داود السجستاني، وسمع من محمد بن عبد المؤمن الصوري، والشرف أحمد بن عساكر، والعز إسماعيل بن الفراء، ومات في ثامن من ربيع الآخر سنة ثمان وسبعين وسبع مائة، ومولده في ثاني شعبان سنة ثمانين وستمائة[٣].

(١) انظر: المعجم المختص بالمحدثين (ص٢١٥)، ذيل طبقات الحنابلة(٥/ ١١٥، ١١٦).

(٢) انظر: الأعلام(٥/ ٤٦).

(٣) انظر: ذيل التقييد (٢/ ٢٣٧).

المبحث الرابع:
مؤلفاته، ومنهجه في الإقراء

مؤلفاته:

أما مؤلفاته: فبعد مراجعة الفهارس المعتمدة في ذكر مؤلفات الشيوخ لم أقف لابن بصخان على مؤلفات في القراءات سوى هذه الرسالة التي أقوم بتحقيقها، ولعل اشتغاله بالإقراء أخذ عليه كل وقته فلم يدع له مجالا للتأليف، والذي دعاه إلى تأليف هذه الرسالة هو إجابته لحاجة لدى الطلاب في معرفة دقائق هذا الباب، فكتب هذه الرسالة من واقع خبرته الطويلة في الإقراء[١].

وأما منهجه في الإقراء: فقد كان منهجا فريدا يدل على مدى دقته وعنايته بطلابه؛ ليصل بهم إلى منتهى الجودة في ضبط حروف الخلاف وإتقانها، وقد تحدث ابن الجزري عن منهج الشيخ ابن بصخان في باب إفراد القراءات وجمعها من كتاب النشر مصورا هذا المنهج تصويرا ينم عن غاية فريدة من الدقة والحرص على كتاب الله تعالى فقال ما نصه:

«وكان ابن بصخان إذا رد على القارئ شيئا فاته فلم يعرفه كتبه عليه عنده، فإذا أكمل الختمة وطلب الإجازة سأله عن تلك المواضع موضعا موضعا، فإن عرفها أجازه وإلا تركه يجمع ختمة أخرى، ويفعل معه كما فعل أولا، وذلك كله حرص منهم على الإفادة وتحريض للطالب على الترقي والزيادة.

ففي الصحيح أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دخل المسجد فدخل رجل فصلى، ثم جاء فسلم على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فرد عَلَيْهِ السَّلَامُ. فقال: «**ارجع فصل فإنك لم تصل**» فرجع فصلى كما صلى، ثم جاء فسلم على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: «**ارجع فصل فإنك لم تصل**» - ثلاثا - فقال: والذي بعثك بالحق لا أحسن غيره فعلمني فقال: «**إذا قمت إلى الصلاة فأسبغ الوضوء...الحديث**»[٢].

وقد كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قادرا على أن يعلمه من أول مرة؛ ولكنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قصد أن ينبهه، وينبه به، ويكون أرسخ في حفظه وأبلغ في ذكره»[٣].

---

(١) انظر: معرفة القراء الكبار (٢/ ٧٤٤)، والدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة (٥/ ٣٦) وأعيان العصر وأعوان النصر (٤/ ٢٨٢).

(٢) انظر: صحيح البخاري، باب: أمر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي لا يتم ركوعه بالإعادة رقم الحديث (٧٩٣).

(٣) النشر (٢/ ٢٠٥).

وأنت ترى أن منهج الشيخ يعتمد على نقاط مهمة:

أولها: تنبيه الطالب إلى خطئه في حينه.

ثانيها: تسجيل هذا الخطأ كتابة على الطالب، وهذا يعني أنه كان يجعل لكل طالب سجلا خاصا يحصي فيه أخطاءه أثناء القراءة.

ثالثها: أنه لا يمنح الطالب الإجازة إلا بعد أن يذكره بأخطائه السابقة، فإن ذكرها وأتقنها وضبطها أجازه وإلا أمره أن يعيد ختمة ثانية، ويفعل معه فيها مثل ما فعل في الختمة الأولى حتى يستيقن من إتقانه وضبطه وأنه أهل للإجازة.

رابعها: أنه كان حريصا على حسن الأداء ابتداء ووقفا أثناء جمع القراءات، ويدل على ذلك ما ذكره عنه ابن الجزري في كتاب النشر في قوله:

«وبلغني عن شيخ شيوخنا الأستاذ بدر الدين محمد بن بصخان رَحِمَهُ ٱللَّهُ وكان كثير التدبير أن شخصا كان يجتمع عليه فقرأ: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى﴾ [سورة المسد:١] ووقف وأخذ يعيدها حتى يستوفي مراتب المد، فقال له: يستأهل الذي أبرز مثلك»[1].

خامسها: أنه استلهم هذا المنهج من فعل النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع المسيء صلاته، فإن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علمه كيف يتقن صلاته بهذا المنهج الفريد، الذي يثبت كيفية الصلاة الصحيحة عند هذا الرجل، فجدير بالشيوخ في زماننا هذا أن يقتفوا هذا المنهج الذي سلكه هذا الشيخ الجليل.

(١) النشر (٢/ ٢٠٤).

مجلة تعظيم الوحيين

الفصل الثاني:

دراسة الرسالة

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: صحة نسبة الرسالة لمؤلفها.

المبحث الثاني: موضوع الرسالة، وسبب تأليفه لها.

المبحث الثالث: منهج المؤلف في رسالته.

المبحث الرابع: وصف النسخة الخطية ونماذج منها.

مجلة تعظيم الوحيين

المبحث الأول:
صحة نسبة الرسالة لمؤلفها

صحة نسبة الرسالة لمؤلفها:

من أبرز الأدلة على أن هذه الرسالة من تأليف ابن بصخان ما جاء في نص المقدمة من قوله:

«يقول العبد الفقير المعترف بالعصيان من بحر فضل الرحمن، الراجي من مولاه الغفران، محمّد بن أحمد بن بصخان:

بعد حمد الله ذي الامتنان، والصّلاة على سيدنا محمّد المصطفى من ولد عدنان، سألني بعض القرّاء من ذوي الاجتهاد ذوي الذّكاء، أن أختصر له باب وقف حمزة، وأبيّن أقسامه ورسمه، وهمزه، فأجبته إلى ما طلب، ومنحته جميع الأدب».

فهذا النص صريح في الدلالة على نسبة الرسالة للشيخ ابن بصخان، كما نص ابن الجزري في نشره على نسبة الرسالة للمؤلف ومن ذلك قوله:

«وأفرده أيضا بالتأليف أبو الحسن بن غلبون، وأبو عمرو الداني، وغير واحد من المتأخرين كابن بصخان، والجعبري، وابن جبارة، وغيرهم»[1].

وقوله:

«ورأيت فيما ألفه ابن بصخان في وقف حمزة أن قال: وما رسم منه بالألف وقف عليه بها نحو (وأخاه، بأنهم)، وكنت أظن أنه إنما قال: (فآتهم) على ما فيه حتى رأيته بخطه (بانهم) فعلمت أنه يريد أن يقال في الوقف (بانهم) فيفتح الباء التي قبل الهمزة، إذ لا يمكن أن ينطق بالألف بعدها إلا بفتحها، ثم يمد على الألف من أجل التقاء الساكنين»[2].

وهذا واضح الدلالة جدا على تأكيد نسبة الرسالة إلى مؤلفها.

(١) النشر(١/ ٤٢٨).

(٢) النشر(١/ ٤٦٢).

المبحث الثاني:
موضوع الرسالة، وسبب تأليفه لها.

موضوع الرسالة:

الكلام عن وقف حمزة على الهمز، وبطريقة أخرى، كيف تقف على الهمز إذا كان وسط الكلمة أو في آخرها لحمزة؟ وكذلك كيف ترسم هذه الهمزة على صورة أم على غير صورة، وكذلك هشام كيف يقف على الهمزة المتطرفة؟ وقد اعتمد في رسالته في بيان الوقف على الهمز في مذهب حمزة وهشام على طريق الشاطبية والتيسير ولم يخرج عنهما بدليل استشهاده في شرحه بأبيات الشاطبية، وليس فيما ذكره شيء من الأوجه الضعيفة إلا النذر اليسير مثل الوقف على ﴿وَمَكۡرَ ٱلسَّيِّئِ﴾[فاطر:٤٣].

سبب تأليفه لها:

سبب تأليف هذه الرسالة هو ما قاله المؤلّف في مقدّمته، حيث قال:

«سألني بعض القرّاء من ذوي الاجتهاد ذوي الذّكاء، أن أختصر له باب وقف حمزة، وأبيّن أقسامه ورسمه، وهمزه، فأجبته إلى ما طلب، ومنحته جميع الأدب»، فلأجل هذا السؤال ألف هذه الرسالة المختصرة.

المبحث الثالث:

منهج المؤلف في رسالته.

بدأ المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذه الرسالة بالبسملة، وطلب التوفيق من الله، ثم صلى على النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ثم ذكر سبب تأليفه لهذه الرسالة، ثمّ تكلم عن أقسام الهمز فقسمه على ثلاثة أقسام أولا، ثمّ تكلم عن القسم الأول فقسمه إلى قسمين، ثم ذكر حكمه من حيث التسهيل المطلق، وضرب الأمثلة على ذلك، مستشهدا على ما يقول من حرز الأماني ووجه التّهاني، ثمّ تكلم عن حكم رسم همزة هذا القسم، مع ذكر ما شذ عن الحكم العام، وذكر خلاف مصاحف الأمصار في ذلك، ثمّ ذكر القسم الثّاني، فتحدث عن حكمه وكيفية رسمه وما شذ عن الحكم العام، مع ذكر خلاف مصاحف الأمصار في ذلك، ثم ذكر القسم الثالث فبين أقسامه وحكمه وكيفية رسمه، وما شذ عن الحكم العام مع ذكر خلاف مصاحف الأمصار في ذلك، ثمّ تكلم عن الهمز المتوسّط بزائد، ثمّ ختم رسالته بوقف هشام على الهمز المتطرف.

ويمكننا أن نقول: إنّ منهج المؤلّف يتلخص في النّقاط التالية:

١. ذكر أقسام الهمز.

٢. بيان حكم كل قسم من حيث الإبدال والتسهيل والحذف.

٣. بيان كيفية رسم صورة تلك الهمزة الموقوف عليها.

٤. بيان ما شذ عن القاعدة في رسم صورة تلك الهمزة.

٥. بيان خلاف مصاحف الأمصار في ذلك.

٦. الاستشهاد بأبيات الشاطبية على ما يذكره من الأحكام.

المبحث الرابع
وصف النسخة الخطية ونماذج منها

يوجد أصل هذه النسخة مخطوطا في مكتبة المعهد العالي للدراسات الإسلامية ببيروت تحت رقم ١/ ٢٠٩، ومنها نسخة مصورة في مكتبة المصغرات الفلمية بقسم المخطوطات بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة تحت رقم ٦/ ١٥٨٩، تتكون هذه النسخة من أربع لوحات، ويتراوح عدد الأسطر في كل لوحة ما بين تسع وعشرين وثمان وعشرين سطرا إلا اللوحة الأخيرة فعدد أسطرها ثمانية عشرا سطرا، وفي كل سطر ما بين ثلاث عشرة إلى أربع عشرة كلمة، وهي نسخة ملونة مكتوبة بخط مشرقي واضح، وليس فيها سقط يذكر، وأبيات الشاطبية فيها مشكولة، وكلمة فصل فيها مكتوبة باللون الأحمر، وبدأها المؤلف بقوله:

«بسم الله الرحمن الرحيم، وبالله التوفيق.

يقول العبد الفقير المعترف بالعصيان من بحر فضل الرحمن، الراجي من مولاه الغفران، محمّد بن أحمد بن بصخان:

بعد حمد الله ذي الامتنان، والصّلاة على سيدنا محمّد المصطفى من ولد عدنان، سألني بعض القرّاء من ذوي الاجتهاد ذوي الذّكاء، أن أختصر له باب وقف حمزة، وأبيّن أقسامه، ورسمه، وهمزه، فأجبته إلى ما طلب، ومنحته جميع الأدب»، وختمها بقوله:

« تمّت أقسام أحكام الباب بتسهيل الجليل الوهّاب، وصلواته وسلامه على سيّدنا محمّد خاتم النبيّين وجميع الملائكة والمرسلين والصالحين، والحمد لله رب العالمين».

وليس فيها إشارة إلى اسم ناسخها ولا إلى تاريخ النسخ.

المخطوط

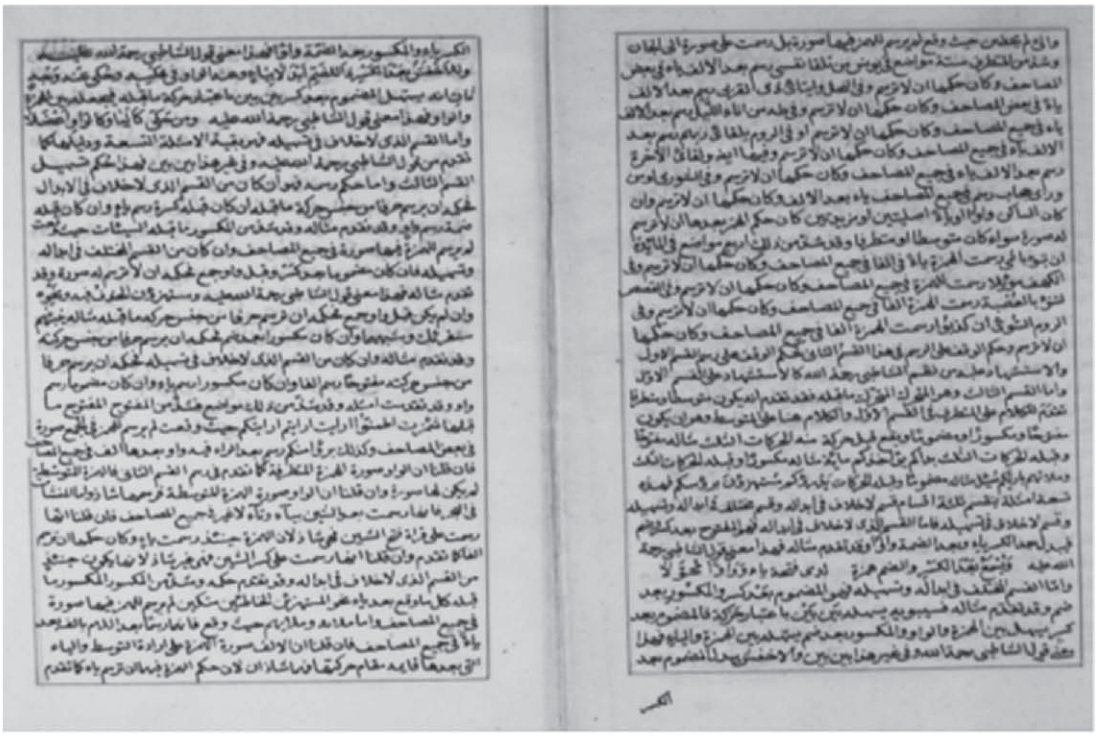

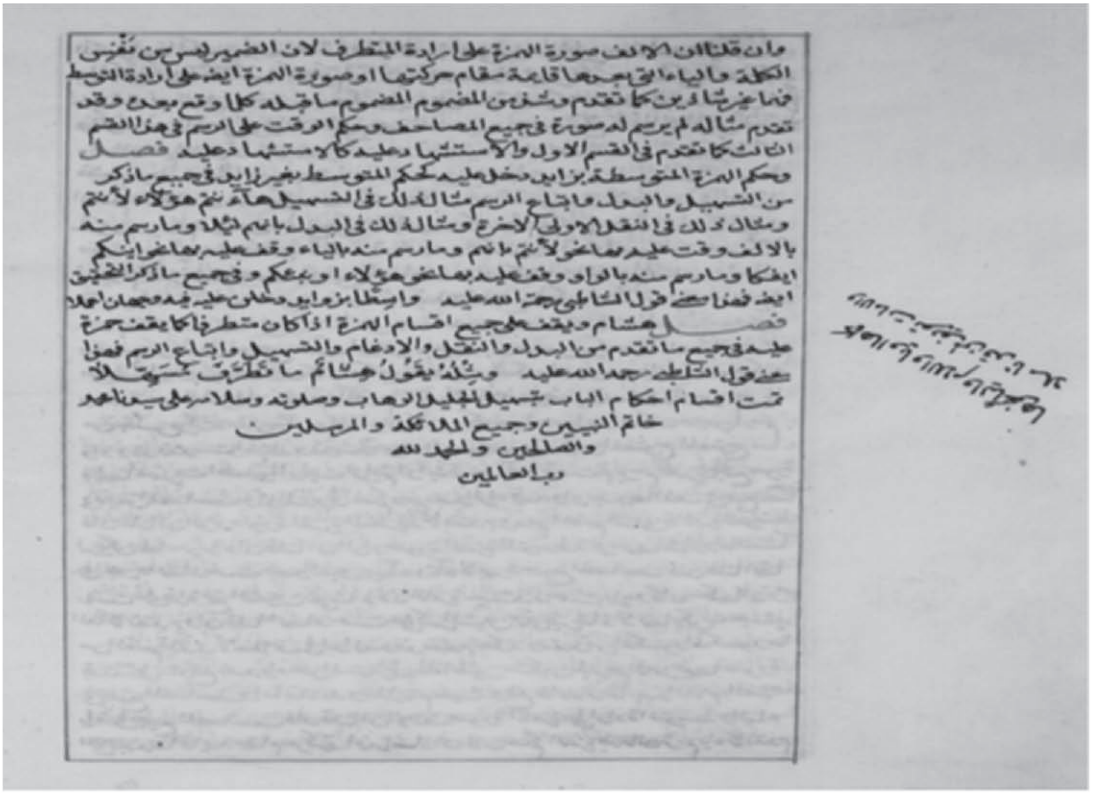

النَّصُ المُحَقَّق

مجلة تعظيم الوحيين

بسم الله الرحمن الرحيم، وبالله التوفيق

يقول العبد الفقير المعترف بالعصيان[سورة المغترف][1] من بحر فضل الرحمن، الراجي من مولاه الغفران، محمّد بن أحمد بن بَصْخان:

بعد حمد الله ذي الامتنان، والصّلاة على سيدنا محمّد المصطفى من ولد عدنان سألني بعض القرّاء من ذوي الاجتهاد ذوي الذّكاء، أن أختصر له باب وقف حمزة[2]، وأبيّن أقسامه، ورسمه، وهمزه، فأجبته إلى ما طلب، ومنحته جميع الأدب.

فقلتُ مستعينا بالله على المرام: الهمز ينقسم في هذا الباب ثلاثة أقسام:

فأمّا القسم الأوّل: فيكون ساكنا متحرّكًا ما قبله.

وأمّا القسم الثّاني: فيكون متحركّاً ساكنًا ما قبله.

وأمّا القسم الثّالث: فيكون متحرّكًا متحرّكًا ما قبله[3].

ويكون في هذه الأقسام: متوسطًا، ومتطرفًا[4].

فهذا معنى قول الشّاطبي[5] رَحِمَهُ ٱللَّهُ رحمة واسعة:

وَحَمْزَةُ عِنْدَ الْوَقْفِ سَهَّلَ هَمْزَهُ إِذَا كَانَ وَسْطًا أَوْ تَطَرَّفَ مَنْزِلا[6]

(١) زيادة يقتضيها السياق.

(٢) حمزة بن حبيب بن عمارة بن إسماعيل الزّيات، أحد القرّاء السّبعة، ولد سنة ٨٠هـ، قرأ القرآن على الأعمش، وحمران بن أعين، ومحمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى، وغيرهم، وقرأ عليه عدد كثير، منهم: الكسائي، وسليم بن عيسى، وهما أجل أصحابه، وكان إماما حجة توفي رحمه سنة ١٥٦هـ، انظر: غاية النهاية(١/ ١١٥)، وفيات الأعيان (٢/ ٢١٦).

(٣) انظر: الفريدة البارزية (ص١٧٥، ١٧٦، ١٧٨).

(٤) انظر: شرح الشاطبية (ص٩٤).

(٥) القاسم بن فيرّة بن خلف بن أحمد، الإمام أبو محمد وأبو القاسم الرّعيني الشّاطبي المقرئ الضّرير أحد الأعلام، ولد سنة ٥٣٨ه، قرأ القراءات على أبي عبد الله محمد بن أبي العاص النفزي، وعلى أبي الحسن بن هذيل، نظم حرز الأماني ووجه التّهاني، وعقيلة أتراب القصائد اللتين في القراءات والرسم، وقرأ عليه عدد كثير منهم: أبو موسى عيسى بن يوسف المقدسي، وأبو القاسم عبد الرحمن بن سعد الشّافعي، توفّي رَحِمَهُ ٱللَّهُ سنة ٥٩٠هـ، انظر: معرفة القراء (٢/ ٥٧٣)، غاية النّهاية(٢/ ٢٨٤).

(٦) انظر:حرز الأماني ووجه التهاني (ص١٩) بيت (٢٣٥).

فأمّا القسم الأول:

فيكون سكونه لازمًا، وغير لازم، فإن كان متوسطًا كان سكونه لازمًا لا غير، ويقع قبله الحركات الثلاث، مثال ذلك: ﴿يَأْلَمُونَ﴾[سورة النساء:١٠٤]، ﴿يُؤْمِنُونَ﴾[سورة البقرة:٣]، ﴿وَبِئْرٍ﴾ [سورة الحج:٤٥]، وإن كان متطرفًا كان سكونه لازمًا، وغير لازم للوقف فقط(١).

وأمّا الذي سكونه لازم: فيقع قبل الفتحة والكسرة(٢) مثال ذلك:﴿ ٱقْرَأْ ﴾[سورة الإسراء:١٤]، ﴿نَبِّئْ﴾[سورة الحجر:٤٩](٣).

وأمّا الذي سكونه غير لازم: فيكون مفتوحًا ومكسوراً ومضمومًا، ويقع قبله كل حركة من الحركات الثّلاث، إلّا أن يكون مفتوحًا فيقع قبله الحركتان، وهما: الفتحة والكسرة(٤).

مثال المفتوح وقبله الحركتان:﴿بَدَأَ﴾[سورة العنكبوت:٢٠]، و﴿قُرِئَ﴾[سورة الأعراف:٢٠٤].

مثال المكسور وقبله الحركات الثّلاث: «﴿نَبَإٍ﴾[سورة الأنعام:٦٧]﴿ٱللُّؤْلُؤِ﴾[سورة الواقعة:٢٣] ﴿شَطِيٓ﴾ [سورة القصص:٣٠] ومثال المضموم وقبله الحركات الثلاث»(٥)، ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ﴾[سورة الأعراف:٦٠]، و﴿يُنشِئُ﴾[سورة العنكبوت:٢٠]، ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾[سورة الرحمن:٢٢](٦).

فهذه أقسام القسم الأوّل.

حكمه:

البدل، إن كان قبله فتحة أبدل ألفًا، وإن كان قبله كسرة أبدل ياءً، وإن كان قبله ضمّة أبدل واواً(٧)، وقد تقدّمت الأمثلة آنفًا.

---

(١) انظر: سراج القارئ المبتدي وتذكار المقرئ المنتهي (ص٤٨، ٨٥).

(٢) انظر: العقد النضيد في شرح القصيد(٢/ ٩٤٦).

(٣) انظر: سراج القارئ (ص٨٥).

(٤) انظر: شرح طيبة النشر في القراءات العشر(١/ ٤٩٠، ٤٩١).

(٥) لم يأت المؤلّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ بأمثلة للهمز المكسور المتطرّف قبله الحركات الثّلاث بل أتى بأمثلة الهمز المضموم المتطرّف؛ ولعلّ ذلك سقط سهواً من النّاسخ.

(٦) هذه أمثلة المضموم المتطرّف بعد الحركات الثّلاث.

(٧) انظر: إبراز المعاني من حرز الأماني (ص١٦٦)، شرح شعلة على الشاطبية (ص٩٠).

فهذا [معنى][1] قول الشاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ رحمة واسعة:

فَأَبْدِلْهُ عَنْهُ حَرْفَ مَدٍّ مُسَكِّنًا وَمِنْ قَبْلِهِ تَحْرِيكُهُ قَدْ تَنَزَّلا[2]

فإن كان المتوسّط واقعاً قبل ياء أو واو جاز فيه وجه ثان، وهو: الإدغام، مثال ذلك: ﴿وَرِءْيًا﴾ [مريم:٧٤]، ﴿وَتُـْٔوِۦٓ﴾[سورة الأحزاب:٥١][3].

فهذا معنى قول الشاطبي:

وَرِئْيًا عَلَى إِظْهَارِهِ وَإِدْغَامِهِ .....[4]

وإن كان قبل هاء ضمير المذكر جاز في الهاء الكسر والضم[5].

فهذا معنى قول الشاطبي رحمة الله عليه:

..... **وَبَعْضٌ بِكَسْرِ الْهَا لِيَاءٍ تَحَوَّلا**

كَقَوْلِكَ أَنْبِئْهُمْ وَنَبِّئْهُمْ..... .....[6]

وإن كان المتطرّف سكونه غير لازم وهو غير مفتوح[7] وريمت[8] حركته، جاز فيه ثان[9]، وهو: بين بين[10] باعتبار حركته؛ إن كان مكسوراً سُهّل بين الهمزة والياء، وإن كان مضموماً سهّل بين الهمزة والواو، وقد تقدّمت أمثلته[11].

---

(١) زيادة يقتضيها السياق.

(٢) انظر: الشّاطبيّة (ص١٩) بيت (٢٣٦).

(٣) انظر: إبراز المعاني (ص١٧١).

(٤) انظر: الشّاطبيّة (ص٢٠) بيت (٢٤٣).

(٥) انظر: إبراز المعاني (ص١٧١).

(٦) انظر: الشّاطبيّة (ص٢٠) بيت (٢٤٣، ٢٤٤).

(٧) لأنّ المفتوح لا يدخله روم.

(٨) الروم هو: « تضعيفك الصوت بالحركة حتى يذهب بذلك معظم صوتها» التيسير (ص: ٥٨).

(٩) أي: وجه ثان.

(١٠) أي: التّسهيل.

(١١) انظر: شرح العلامة ابن الحق السنباطي على حرز الأماني للشاطبي (ص١٨٤).

فهذا معنى قول الشاطبي رحمة الله عليه:

وَمَا قَبْلَهُ التَّحْرِيكُ أَوْ أَلِفٌ مُحَرْ رَكًا طَرَفًا فَالْبَعْضُ بِالرَّوْمِ سَهَّلا[١]

وإن كان مضموماً بعد كسرة، أو مكسوراً بعد ضمّة، وريمت حركته أيضاً؛ جاز فيه وجه ثالث، وهو: تسهيل بين بين، باعتبار حركة ما قبله، إن كان قبله كسرة سهل بين الهمزة والياء، وإن كان قبله ضمّة سهّل بين الهمزة والواو[٢]، وقد تقدّمت أمثلته.

فهذا معنى قول الشاطبي:

..... **وَمَنْ حَكَى فِيهِمَا كَالْيَا وَكَالْوَاوِ أَعْضَلا**[٣]

فهذا حكم تسهيل القسم الأوّل.

وأمّا حكم رسمه:

فإن كان متوسّطاً رسم بعد الفتحة ألفاً، وبعد الكسر ياءً، وبعد الضمة واواً[٤]، وقد تقدّمت أمثلته.

وقد شذّ من هذا الحكم مواضع لم يرسم للهمزة فيها صورة.

فشذّ من المفتوح ما قبله موضعان، وهما:

﴿فَأَدَّٰرَٰٔتُمۡ﴾ [سورة البقرة:٧٢]، ﴿ٱمۡتَلَأۡتِ﴾[ق:٣٠]، فأمّا ﴿فَأَدَّٰرَٰٔتُمۡ﴾ ففي جميع المصاحف محذوفة الألفين[٥].

وأمّا ﴿ٱمۡتَلَأۡتِ﴾ ففي بعض المصاحف محذوفة الألف[٦].

---

(١) انظر: الشّاطبيّة (ص٢١) بيت (٢٥٢).

(٢) انظر: شرح العلامة ابن الحق السنباطي على حرز الأماني (ص١٧٧).

(٣) وقد أشار بكلمة أعضلا إلى إن هذا الوجه يصعب النطق به فهو كالمعضلة لما فيه من المشقة التي قد تغير معنى الكلمة انظر: الشّاطبيّة (ص٢٠) بيت (٢٤٦).

(٤) انظر: مختصر التبيين (٢/ ٥٣، ٥٣، ٥٤).

(٥) الألف التي بعد الدّال وألف الهمزة التي بعد الرّاء، اتّفق شيوخ النّقل على حذف الألف الأولى، ونص الشيخان أبو عمرو الدّاني وأبو داود سليمان بن نجاح على حذف صورة الهمزة الثانية، انظر: دليل الحيران على مورد الظمآن (ص٩٢، و٢٤٥).

(٦) نقل الشيخان اختلاف المصاحف في إثبات صورة الهمزة وحذفها، وكلام أبي عمرو يقتضي رجحان حذف الصورة، واختار أبو داود إثباتها. انظر: مختصر التبيين (٤/ ١١٣٧)، دليل الحيران، (ص ٢٤٥).

وشذّ من المكسور ما قبله موضع واحد وهو:

﴿وَرِءۡيًا﴾ رسم في جميع المصاحف بياء واحدة[1].

وشذّ من المضموم ما قبله مواضع وهي:

﴿ٱلرُّءۡيَا﴾ [سورة الإسراء:٦٠] و ﴿لِلرُّءۡيَا﴾ [يوسف:٤٣][2] كيف وقعا، ﴿وَتُـٔۡوِيٓ﴾ [سورة الأحزاب:٥١] ﴿تُـٔۡوِيهِ﴾ [سورة المعارج:١٣][3] لم يرسم الهمزة فيهما في جميع المصاحف[4].

وإن كان متطرفا فسكونه[5] لازم، رسم بعد الفتحة ألفا وبعد الكسر ياء، وقد تقدم مثال ذلك.

وقد شذّ من هذا الحكم موضعان رسمت الهمزة فيهما ألفـًا في جميع المصاحف، ﴿وَهَيِّئۡ لَنَا﴾ [سورة الكهف:١٠] ﴿وَيُهَيِّئۡ لَكُم﴾ [سورة الكهف:١٦][6].

فإن كان سكونه غير لازم:

رسم بعد الفتحة ألف وبعد الكسرة ياءً وبعد الضمة واواً، كما رسم وهو متوسط[7].

وقد شذّ من هذا الحكم مواضع:

فشذّ من المكسور والمفتوح ما قبله موضع واحد، وهو ﴿مِن نَّبَإِئ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ [سورة الأنعام:٣٤] رسم في جميع المصاحف بألف بعدها ياء[8]، وكان حكمه أن يرسم بألف لا غير كما تقدّم.

فإن قلنا: إنّ الألف صورة الهمزة والياء التي بعدها قائمة مقام حركتها فالموضع غير شاذ، وإن

---

(١) انظر: مختصر التبيين (٤/ ٨٣٦)، دليل الحيران (ص٤١٨).

(٢) انظر: مختصر التبيين (٣/ ٧٠٦).

(٣) انظر: الدرة الصقيلة في شرح أبيات العقيلة (ص٤٧٦).

(٤) انظر: دليل الحيران (ص٤١٨).

(٥) هكذا في الأصل والصواب وسكونه؛ لأن فسكونه بالفاء يعني أنه لا يوجد همز متطرف سكونه عارض وهو غير صحيح؛ لوجود ما سكونه عارض في القرآن مثل ﴿شَٰطِيٓ﴾ [سورة القصص:٣٠].

(٦) قال أبو عمرو الدّاني في المقنع: «واتفقت المصاحف على رسم ياءين في قوله في الكهف ﴿وَهَيِّئۡ لَنَا﴾ ﴿وَيُهَيِّئۡ لَكُم﴾ ورأيت هذه المواضع في كتاب هجاء السنة بألف بعد الياء، وحكى أبو حاتم إن في بعض المصاحف و «هيا لنا» و «يهيا لكم» بألف صورةً، وذلك خلاف الإجماع، وبالله التوفيق». انظر: المقنع (ص١٦).

(٧) انظر: مختصر التبيين (٢/ ٤٥).

(٨) انظر: دليل الحيران (ص٢٧٧).

قلنا: إنّ الياء صورة الهمزة، والألف التي قبلها قائمة مقام حركة الياء الموجودة كان شاذّاً[١].

وشذّ من المكسور المكسور ما قبله موضع واحد وهو:

﴿وَمَكۡرَ ٱلسَّيِّئِ﴾[فاطر:٤٣]؛ رُسمت الهمزة فيها ألفاً في جميع المصاحف وكان حكمها أن ترسم ياء كما تقدّم[٢].

وشذّ من المضموم المفتوح ما قبله مواضع رسمت الهمزة فيها واواً بعدها ألف، وكان حكمها أن ترسم بالألف لا غير كما تقدّم[٣]، وهي:

في براءة ﴿نَبَأُ ٱلَّذِينَ﴾[٧٠] بخلاف في المصاحف[٤].

وفي يونس وغيرها ﴿يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ﴾[٤][٥].

وفي يوسف ﴿تَفۡتَؤُاْ﴾[٨٥].

وفي إبراهيم ﴿نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ﴾[٩].

وفي النّحل ﴿يَتَفَيَّؤُاْ﴾[٤٨].

وفي طه ﴿أَتَوَكَّؤُاْ﴾[١٨] ﴿تَظۡمَؤُاْ﴾[١١٩].

وفي المؤمنين ﴿فَقَالَ ٱلۡمَلَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ﴾[٢٤].

وفي النور ﴿وَيَدۡرَؤُاْ﴾[٨].

وفي الفرقان ﴿يَعۡبَؤُاْ﴾[٧٧].

وفي النمل ﴿ٱلۡمَلَؤُاْ أَفۡتُونِي﴾[٣٢].

---

(١) انظر: مختصر التبيين (٣/ ٤٧٩).

(٢) قال أبو عمرو الدّاني: واتفقت المصاحف على رسم ياءين في قوله ﴿وَمَكۡرَ ٱلسَّيِّئِ﴾ ورأيت هذه المواضع في كتاب هجاء السنة بألف بعد الياء، وحكى أبو حاتم إنّ في بعض المصاحف بألف صورةً، وذلك خلاف الإجماع، بتصرف، انظر: المقنع (ص١٦)، مختصر التبيين (٣/ ٨٠٢).

(٣) انظر: مختصر التبيين (٢/ ٨٤).

(٤) انظر: دليل الحيران (ص٢٥٠).

(٥) انظر: مختصر التبيين (٤/ ٩٥٥).

﴿ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى﴾ [٣٨].

وفي ص ﴿نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ﴾ [٢١] و ﴿نَبَؤٌا عَظِيمٌ﴾ [٦٧].

وفي التغابن ﴿نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [٥].

وفي الزخرف ﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُا۟﴾ [١٨].

بلا خلاف بين المصاحف في الجميع(١).

وفي القيامة ﴿يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ [١٣] بخلاف بين المصاحف(٢).

وشذّ من المضموم المكسور ما قبله موضع واحد، رسمت الهمزة فيه ألف، وكان حكمها أن ترسم ياء كما تقدّم، وهو:

﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ﴾ [فاطر:٤٣](٣).

فأمّا الوقف باعتبار المرسوم:

فما رسم منه بالياء نحو ﴿نَّبَإِىٓ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ وقف عليه بالياء.

إن قلنا: إنّها صورة الهمزة، وإلا فالوقف عليه بالألف؛ لأنّها حينئذ صورة الهمزة، وما رسم منه بالألف ك﴿وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ﴾[فاطر:٤٣] فالوقف عليه بالألف(٤).

وما رسم منه بالواو نحو ﴿ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى﴾ و﴿يَعْبَؤُا۟﴾ فالوقف عليه بالواو(٥).

وما رسم عليه بالحذف نحو ﴿فَأَدَّرَٰٓءْتُمْ﴾ ﴿وَتُءْوِىٓ﴾ و﴿ٱلرُّءْيَا﴾[سورة الإسراء:٦٠] وقف عليه بالحذف(٦).

---

(١) المقصود الكلمات السابقة، انظر: مختصر التبيين (٢/ ٨٤).

(٢) لم يذكر الشيخان فيه خلافا، الخلاف فيه عن الشاطبي قال صاحب المورد:
وفي يُنَبَّأْ في الْعَقِيلَةِ أُلِفْ * ولَيْسَ قَبلَ الواوِ فِيهِنَّ أَلِفْ، انظر: دليل الحيران (ص٢٥٠، وص١٤)، مختصر التبيين (٢/ ٨٤).

(٣) انظر: مختصر التبيين (٣/ ٨٠٢)، دليل الحيران (ص٢٦٣).

(٤) الصحيح أن الوقف عليها بالياء على المذهب المشهور المعمول به في المصاحف أما ما ذكره الغازي من رسمها بالألف فهو منكر قال صاحب المورد:
«لكن في السيأ لغاز صورا هيأ يهيأ ألفا وأنكرا»، مورد الظمآن بيت رقم(٣٣٧).

(٥) انظر: الفريدة البارزية (ص١٧٩).

(٦) انظر: شرح العلامة ابن الحق السنباطي على حرز الأماني (ص١٧٣ وما بعدها)، الفريدة البارزية (ص١٧٩).

فهذا معنى قول الشاطبي رحمة الله عليه:

.....وَقَدْ رَوَوْا أَنَّهُ بِالْخَطِّ كَانَ مُسَهَّلا

فَفِي الْيَا يَلِي وَالْوَاوِ وَالْحَذْفِ رَسْمَهُ .....[١]

وأمّا القسم الثّاني:

فهو المتحرّك السّاكن ما قبله، فالسّاكن قبله يكون صحيحاً ومعتلّاً، والمعتل يكون ألفاً وواواً وياءً، والواو والياء يكونان أصليتين وزائدتين، والهمزة تقع بعد هذه السّواكن [متوسّطة ومتطرّفة][٢]، إلّا إذا كان السّاكن واواً زائدة فإنّ الهمزة لا تقع بعدها إلا متطرّفاً، فإن وقع بعد السّاكن الصّحيح والواو والياء الأصليتين [همز][٣] فحكمه النّقل[٤]، وهو أن ينقل حركته إلى السّاكن بعد الواو والياء الأصليتين:

﴿شَيْئًا﴾ [سورة البقرة:٤٨] ﴿شَيْءٍ﴾ [سورة البقرة:١٠٦] ﴿سُوٓءًا﴾ [سورة النساء:١٢٣] ﴿سُوٓءَ﴾ [سورة البقرة:٤٩].

فهذا معنى قول الشّاطبي رحمة الله عليه:

وَحَرِّكْ بِهِ مَا قَبْلَهُ مُتَسَكِّنًا وَأَسْقِطْهُ حَتَّى يَرْجِعَ اللَّفْظُ أَسْهَلا[٥]

فإن كان بعد الياء والواو المذكورين جاز فيه وجه ثان وهو أن تقلب حرفا مثل السّاكن الّذي قبله، ويدغم السّاكن فيه[٦].

فهذا معنى قول الشّاطبي رحمة الله عليه:

وَمَا وَاوٌ أَصْلِيٌّ تَسَكَّنَ قَبْلَهُ أَوِالْيَا فَعَنْ بَعْضٍ بِالِادْغَامِ حُمِّلا[٧]

(١) انظر: الشّاطبيّة (ص٢٠) بيت (٢٤٤، ٢٤٥).

(٢) في المخطوط [متوسطا ومتطرفا].

(٣) زيادة يقتضيها السياق.

(٤) انظر: الفريدة البارزية (ص١٧٦)، الكفاية الكبرى في القراءات العشر (ص١٥٨).

(٥) انظر: الشّاطبيّة (ص١٩) بيت (٢٣٧).

(٦) انظر: الوافي في شرح الشاطبية في القراءات السبع (ص١٢٥).

(٧) انظر: الشّاطبيّة (ص٢٠) بيت (٢٥١).

وإن كان بعد الألف وكان متوسّطًا فحكمه:

تسهيل بين بين باعتبار حركة نفسه[1]، إن كان مفتوحا[يسهل بين الهمزة والألف، وإن كان مكسورا يسهل بين الهمزة والياء وإن كان مضموما][2] تسهّل بين الهمزة والواو[3].

مثال ذلك:

﴿لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ﴾[سورة الفرقان:٧٧] ﴿لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ﴾ [فاطر:١٤] ﴿عَن دُعَآئِهِمْ﴾ [سورة الأحقاف:٥] ﴿فَجَعَلْنَٰهُمْ غُثَآءً﴾[سورة المؤمنون:٤١] ﴿فَيَذْهَبُ جُفَآءً﴾[سورة الرعد:١٧] وشبه ذلك.

فهذا معنى قول الشّاطبي رحمة الله عليه:

سِوَى أَنَّهُ مِنْ بَعْدِ مَا أَلِفٍ جَرَى يُسَهِّلُهُ مَهْمَا تَوَسَّطَ مَدْخَلا[4]

فإن كان متطرّفًا فحكمه أن يبدل ألفًا.

مثال ذلك:

﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [سورة البقرة:١٩] ﴿مِنَ ٱلْمَآءِ﴾ [سورة الأعراف:٥٠] ﴿دُعَآءٍ﴾ [إبراهيم: ٤٠] وشبه ذلك[5].

فهذا معنى قول الشّاطبي رحمة الله عليه:

وَيُبْدِلُهُ مَهْمَا تَطَرَّفَ مِثْلُهُ وَيَقْصُرُ أَوْ يَمْضِي عَلَى الْمَدِّ أَطْوَلا[6]

وفيه وجهٌ ثانٍ إذا لم يكن مفتوحًا وريمت حركته، وهو تسهيل بين بين كما تقدّم في المتوسّط[7].

---

(١) انظر: المستنير في القراءات العشر (ص٣٨٤).

(٢) زيادة يقتضيها السياق.

(٣) انظر: جامع البيان في القراءات السبع(٢/ ٥٨٦).

(٤) انظر: الشّاطبيّة (ص٢٠) بيت (٢٣٨).

(٥) انظر: التيسير في القراءات السبع (ص٣٨).

(٦) انظر: الشّاطبيّة (ص٢٠) بيت (٢٣٩).

(٧) انظر: سراج القارئ (ص٩١).

فهذا معنى قول الشاطبي رحمة الله عليه:

وَمَا قَبْلَهُ التَّحْرِيكُ أَوْ أَلِفٌ مُحَرْ رْكًا طَرَفًا فَالْبَعْضُ بِالرَّوْمِ سَهَّلا[١]

فإذا سهّل المتوسّط بين بين وأبدل المتطرّف ألفًا أو سهّل بين بين كما تقدّم، جاز في الألف الّتي قبلها المدّ والقصر[٢].

فهذا معنى قول الشاطبي رحمة الله عليه:

..... **وَيَقْصُرُ أَوْ يَمْضِي عَلَى الْمَدِّ أَطْوَلا**[٣]

وإن وقع بعد الياء والواو الزائدتين، فحكمه أن ينقلب مثل السّاكن الّذي قبله ويدغم السّاكن فيه سواء كان الهمز متطرّفًا أو متوسّطًا[٤].

مثال ذلك:

﴿بَرِيٓـُٔونَ﴾ [يونس:٤١] ﴿بَرِيٓءٌ﴾ [سورة الأنعام:١٩] ﴿قُرُوٓءٍ﴾[سورة البقرة:٢٢٨].

وقد تقدّم أنّه لا يقع متوسّطًا قبل الواو الزائدة؛ فلذلك لم أضع له مثالاً.

فهذا معنى قول الشاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ رحمة واسعة:

وَيُدْغِمُ فِيهِ الْوَاوَ وَالْيَاءَ مُبْدِلاً إِذَا زِيدَتَا مِنْ قَبْلُ حَتَّى يُفَصَّلا[٥]

فهذا حكم تسهيل القسم الثاني.

وأمّا الحكم في رسمه:

فلا يخلو من أن يكون قبله ساكن صحيح أو لا، فإن كان[٦] فحكمه: لا يرسم له صورة سواء كان متوسّطًا أو متطرّفًا[٧]، وقد تقدّم مثال ذلك.

---

(١) انظر: الشّاطبيّة (ص٢١) بيت (٢٥٢).

(٢) إذا أبدل المتطرف ألفا ففيه القصر والتوسط والمد، وأما إذا سهل بالروم ففيه المد والقصر، انظر: التيسير (ص٤٠).

(٣) انظر: الشّاطبيّة (ص٢٠) بيت (٢٣٩).

(٤) انظر: الكفاية الكبرى (ص١٥٧)، المستنير (ص٣٨٤).

(٥) انظر: الشّاطبيّة (ص٢٠) بيت (٢٤٠).

(٦) أي: كان قبله ساكن صحيح.

(٧) انظر: مختصر التبيين (٢/ ٤٧).

وقد شذّ من ذلك موضعان وهما ﴿ٱلنَّشْأَةَ﴾ [سورة العنكبوت: ٢٠] حيث وقعت[١]، و﴿يَسْـَٔلُونَ﴾ [سورة الأحزاب: ٢٠] ففي بعض المصاحف بألف[٢].

فإن قلنا: إن ﴿ٱلنَّشْأَةَ﴾ رسمت على قراءة المد[٣] فرسمها غير شاذ.

وإن قلنا: إنّها رسمت على قراءة القصر[٤] فرسمها شاذ[٥].

وإن كان ألفـًا فلا يخلو من أن يكون الهمز مفتوحـًا أو لا.

فإن كان مفتوحـًا فحكمه أن [لا][٦] يرسم له صورة سواء كان متوسّطـًا أو متطرّفـًا، وقد تقدّم مثال ذلك.

فإن كان مضمومـًا فحكمه أن يرسم واواً إن كان متوسّطـًا، وإن كان متطرّفـًا فحكمه أن لا يرسم له صورة، وقد تقدّم مثال ذلك أيضـًا[٧].

وقد شذّ من ذلك مواضع.

فشذّ من المتوسّط ﴿أَوْلِيَآؤُكُمْ﴾ [فصلت: ٣١] ﴿أَوْلِيَآؤُهُمُ﴾ [سورة البقرة: ٢٥٧] ﴿إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ﴾ [سورة الأنعام: ١٢١] حيث وقعت لم يرسم الهمز فيها صورة في بعض المصاحف[٨].

---

(١) قال الدّاني: «اتّفقوا على أن رسموا ألفـًا بعد الشين في قوله تعالى: ﴿ٱلنَّشْأَةَ﴾ في العنكبوت والنجم والواقعة، ولا اعلم همزة متوسطة قبلها ساكن رسمت في المصحف إلا في هذه الكلمة وفي قوله تعالى: ﴿مَوْبِلًا﴾ [٥٨] في الكهف لا غير». انظر: المقنع (ص٤٩).

(٢) بعض المصاحف بحذف الألف بين السين واللام، وبعضها بإثبات الألف، والعمل على الحذف. انظر: المقنع (ص١٠٠)، ودليل الحيران (ص٢٣٩).

(٣) هي قراءة «ابن كثير وابو عمرو ﴿ٱلنَّشْأَةَ﴾ [سورة العنكبوت: ٢٠]، هنا وفي النجم والواقعة بفتح الشين والف بعدها والباقون باسكان الشين من غير الف ووقف حمزة على وجهين في ذلك احدهما ان يلقى حركة الهمزة على الشين ثم يسقطها طردا للقياس والثاني ان يفتح الشين ويبدل الهمزة الفا اتباعا للخط». التيسير (ص: ١٧٣).

(٤) هي قراءة نافع وابن عامر والكوفيين وأبي جعفر ويعقوب وخلف العاشر. انظر: المصدر السّابق.

(٥) المقصود أنها لم تأت على القاعدة.

(٦) زيادة يقتضيها السياق وذلك نحو ﴿أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ﴾ [آل عمران: ٦١] من المتوسط، أما المتطرف فنحو ﴿وَٱلسَّمَآءَ﴾ [سورة البقرة: ٢٢]، انظر: مختصر التبيين (٢/ ٤٩).

(٧) انظر: مختصر التبيين (٢/ ٥٠).

(٨) اختلف الشيوخ على الحذف والإثبات، والعمل على الإثبات، انظر: دليل الحيران (ص٢٤٢)، سمير الطالبين ضمن الإمتاع بجمع مؤلفات الضباع (ص٣/ ١١٩، ١٢٠).

وكذلك في يوسف ﴿فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥ﴾ [٧٤] ﴿قَالُواْ جَزَٰٓؤُهُۥ﴾ [٧٥] لم يرسم الهمز فيها صورة في بعض المصاحف(١).

وكذلك إذا وقع قبل واو نحو ﴿يُرَآءُونَ﴾ [سورة النساء:١٤٢] ﴿جَآءُوكُمْ حَصِرَتْ﴾ [سورة النساء:٩٠] لم يرسم له صورة في جميع المصاحف(٢).

وشذّ من المتطرّف عشرون موضعاً رسم الهمز فيها واواً بعدها ألف:

في المائدة ﴿جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [٢٩] وفيها ﴿جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ﴾ [٣٣] بلا خلاف بين المصاحف فيهما(٣).

وفي الأنعام ﴿أَنۢبَـُٔواْ مَا كَانُواْ بِهِۦ﴾ [٥] بلا خلاف بين المصاحف(٤)، وفيها ﴿شُرَكَـَٔوُاْ لَقَدْ تَّقَطَّعَ﴾ [٩٤] بلا خلاف بين المصاحف(٥).

وفي هود ﴿مَا نَشَـَٔوُاْ﴾ [٨٧] بلا خلاف بين المصاحف(٦).

وفي إبراهيم ﴿ٱلضُّعَفَـَٔوُاْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ﴾ [٢١] بلا خلاف بين المصاحف(٧).

وفي الكهف ﴿جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [٨٨] بلا خلاف بين المصاحف(٨).

وفي طه ﴿جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ﴾ [٧٦] بخلاف بين المصاحف(٩).

وفي الشعراء ﴿أَنۢبَـُٔواْ مَا كَانُواْ﴾ [٦] وفيها ﴿عُلَمَـٰٓؤُاْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [١٩٧] بخلاف بين المصاحف(١٠).

---

(١) العمل فيها على الإثبات، انظر: المقنع (ص٤٥)، ودليل الحيران (ص٢٤٢).

(٢) انظر: مختصر التبيين (٢/ ٤٨، ٤٩).

(٣) انظر: مختصر التبيين (٣/ ٤٤٠).

(٤) انظر: مختصر التبيين (٣/ ٤٤١).

(٥) انظر: مختصر التبيين (٣/ ٤٤١).

(٦) انظر: مختصر التبيين (٣/ ٦٩٧).

(٧) انظر: مختصر التبيين (٣/ ٤٤١).

(٨) على قراءة الرفع وعدم التّنوين فرسم الهمزة على الواو، أمّا على قراءة النّصب مع التّنوين فترسم على السّطر، انظر: المقنع (ص٩٨)، ودليل الحيران (ص٩٨).

(٩) العمل فيه على حذف صورة الهمزة، انظر: دليل الحيران (ص٢٤٨).

(١٠) انظر: المقنع (ص٣٠)، ودليل الحيران (ص٢٤٦).

وفي الروم ﴿شُفَعَـٰٓؤُا۟ وَكَانُوا۟﴾ [١٣] بخلاف بين المصاحف[١].

وفي فاطر ﴿ٱلْعُلَمَـٰٓؤُا۟ إِنَّ ٱللَّهَ﴾ [٢٨] بلا خلاف بين المصاحف[٢].

وفي الصافات ﴿ٱلْبَلَـٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ﴾ [١٠٦] بلا خلاف بين المصاحف[٣].

وفي الزمر ﴿جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [٣٤] بخلاف بين المصاحف[٤].

وفي غافر ﴿دُعَـٰٓؤُا۟ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ [٥٠] بخلاف بين المصاحف[٥].

وفي الشورى ﴿وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ﴾ [٤٠] وفيها ﴿شُرَكَـٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟﴾ [٢١] بلا خلاف بين المصاحف فيهما[٦].

وفي الدّخان ﴿بَلَـٰٓؤُا۟ مُّبِينٌ﴾ [٣٣] بلا خلاف بين المصاحف[٧].

وفي الحشر ﴿جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [١٧] بخلاف بين المصاحف[٨].

وفي الممتحنة ﴿بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ﴾ [٤] بلا خلاف بين المصاحف[٩].

وإن كان مكسورا متوسّطًا فحكمه أن يرسم ياءً، وإن كان متطرّفًا فحكمه أن لا يرسم له صورة[١٠].

وقد شذّ من ذلك مواضع:

فشذّ من المتوسّط:

﴿إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًا﴾ [سورة الأحزاب:٦] ﴿إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَـٰدِلُوكُمْ﴾ [سورة الأنعام:١٢١] حيث

(١) انظر: المقنع (ص٦٤).

(٢) انظر: مختصر التبيين (٣/ ٤٤١).

(٣) انظر: المرجع السابق (٤/ ١٠٤١).

(٤) العمل فيها على حذف صورة همزتها، انظر: دليل الحيران (ص٢٤٨).

(٥) انظر: دليل الحيران (ص٢٥٠).

(٦) انظر: مختصر التبيين (٣/ ٤٤١).

(٧) انظر: المرجع السابق (٤/ ١٠٤١).

(٨) انظر: دليل الحيران (ص٢٤٨).

(٩) انظر: مختصر التبيين (٤/ ١١٩٨).

(١٠) انظر: المرجع السابق (٢/ ٥٠).

وقع لم يرسم الهمز فيها صورة كما تقدّم في المضموم في بعض المصاحف[١].

كذلك كلّ همز وقع بعده ياء نحو: ﴿إِسْرَٰٓءِيلَ﴾[سورة البقرة: ٤٠] ﴿وَمِيكَٰٓئِيلَ﴾[سورة البقرة:٩٨][٢] ﴿وَرَآءِى﴾ [مريم:٥][٣] ﴿شُرَكَآءِى﴾ [سورة النحل:٢٧] لم يرسم للهمز فيها صورة، بل جميع المصاحف[٤]، وكذلك ﴿ٱلَّٰٓـِٔى تُظَٰهِرُونَ﴾ [سورة الأحزاب:٤] ﴿وَٱلَّٰٓـِٔى لَمْ يَحِضْنَ﴾[سورة الطلاق:٤] حيث وقع لم يرسم للهمز فيها صورة[٥].

وشذّ من المتطرّف ستّة مواضع:

في يونس ﴿مِن تِلْقَآىِٕ نَفْسِىٓ﴾[١٥] رسم بعد الألف ياء في بعض المصاحف[٦]، وكان حكمها أن لا ترسم.

وفي النّحل ﴿وَإِيتَآىِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [٩٠] رسم بعد الألف ياء في بعض المصاحف[٧] وكان حكمها أن لا ترسم.

وفي طه ﴿وَمِنْ ءَانَآىِٕ ٱلَّيْلِ﴾ [١٣٠]رسم بعد الألف ياء في جميع المصاحف[٨]، وكان حكمها أن لا ترسم.

أو في الروم ﴿بِلِقَآىِٕ رَبِّهِمْ﴾ [٨] رسم بعد الألف ياء في جميع المصاحف[٩]، وكان حكمها أن لا ترسم، وفيها أيضا ﴿وَلِقَآىِٕ ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [سورة الروم:١٦] رسم بعد الألف ياء في جميع المصاحف، وكان حكمها أن لا ترسم[١٠].

وفي الشّورى ﴿أَوْ مِن وَرَآىِٕ﴾[٥١] رسم في جميع المصاحف ياء بعد الألف[١١]، وكان حكمها أن لا ترسم.

---

(١) انظر: مختصر التبيين (٣/ ٥١٤).

(٢) على قراءة البزي، وقنبل في وجه، وابن عامر وشعبة وحمزة والكسائي وخلف العاشر، انظر: النّشر (٢/ ٢١٩).

(٣) انظر: مختصر التبيين (٤/ ٨٢٦).

(٤) انظر: مختصر التبيين (٤/ ١٠٨٨).

(٥) انظر: الدرة الصقيلة (ص٤٦٧).

(٦) انظر: دليل الحيران (ص٢٧٧).

(٧) انظر: دليل الحيران (ص٢٨١).

(٨) انظر: مختصر التبيين (٤/ ٨٥٥٩).

(٩) انظر: مختصر التبيين (٤/ ٩٨٤).

(١٠) انظر: المرجع السابق (٤/ ٩٨٤، ٩٨٥).

(١١) انظر: المرجع السابق (٤/ ١٠٩٦).

وإن كان السّاكن واواً أو ياءً أصليتين، أو مزيدتين، كان حكم الهمز بعدها أن لا ترسم لها صورة، سواء كان متوسّطاً أو متطرّفاً[1].

وقد شذّ من ذلك أربع مواضع:

في المائدة ﴿أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي﴾ [٢٩] رسمت الهمزة ألفاً في جميع المصاحف[2]، وكان حكمها أن لا ترسم.

وفي الكهف ﴿مَوۡبِلًا﴾ [٥٨] رسمت للهمزة صورة في جميع المصاحف، وكان حكمها أن لا ترسم[3].

وفي القصص ﴿لَتَنُوٓأُ بِٱلۡعُصۡبَةِ﴾ [٧٦]رسمت الهمزة ألفاً في جميع المصاحف[4]، وكان حكمها أن لا ترسم.

وفي الروم ﴿ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُواْ﴾ [١٠] رسمت الهمزة ألفاً في جميع المصاحف[5] وكان حكمها أن لا ترسم.

وحكم الوقف على الرسم في هذا القسم الثّاني كحكم الوقف على رسم القسم الأوّل، والاستشهاد عليه من نظم الشّاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ كالاستشهاد على القسم الأوّل.

وأمّا القسم الثّالث:

وهو المتحرّك المتحرّك ما قبله، فقد تقدّم أنّه يكون متوسّطاً ومتطرّفاً، تقدّم الكلام على المتطرّف في القسم الأوّل.

والكلام هنا على المتوسّط، وهو أن يكون مفتوحاً ومكسوراً ومضموماً، ويقع قبله حركة من الحركات الثّلاث.

---

(١) انظر: مختصر التبيين (٢/ ٥١، ٥٢).

(٢) انظر: المرجع السابق (٢/ ٥٣).

(٣) انظر: المقنع (ص٥٠).

(٤) انظر: مختصر التبيين (٢/ ٥٣).

(٥) انظر: المرجع السابق (٤/ ٩٨٥).

مثاله مفتوحاً وقبله الحركات الثّلاث:

﴿بَدَأَكُمْ﴾ [سورة الأعراف:٢٩] ﴿يُؤَاخِذُكُمْ﴾ [سورة البقرة:٢٢٥] ﴿مِائَةَ﴾ [سورة البقرة:٢٥٩].

مثاله مكسوراً وقبله الحركات الثّلاث:

﴿وَمَلَإِيْهِمْ﴾ [يونس:٨٣] ﴿بَارِئِكُمْ﴾ [سورة البقرة:٥٤] ﴿سُئِلَ﴾ [سورة البقرة:١٠٨].

مثاله مضموماً وقبله الحركات الثّلاث:

﴿يَذْرَؤُكُمْ﴾ [سورة الشورى:١١] ﴿مُسْتَهْزِءُونَ﴾ [سورة البقرة:١٤] ﴿بِرُءُوسِكُمْ﴾ [سورة المائدة:٦]

فهذه تسعة أمثلة.

ينقسم ثلاثة أقسام:

قسم لا خلاف في إبداله:

فهو المفتوح بعد كسر وضم، فيبدل بعد الكسر ياء، وبعد الضمّة واواً، وقد تقدّم مثاله[١].

فهذا معنى قول الشاطبي رحمة الله عليه:

وَيُسْمَعُ بَعْدَ الْكَسْرِ والضَّمِّ هَمْزَهُ لَدَى فَتْحِهِ يَاءً وَوَاواً مُحَوَّلا[٢]

وأمّا القسم المختلف في إبداله وتسهيله:

فهو المضموم بعد كسر، والمكسور بعد ضم، وقد تقدّم مثاله.

فسيبويه[٣] يسهّله بين بين، باعتبار حركته، فالمضموم بعد كسر يسهّل بين الهمزة والواو، والمكسور بعد ضمّ يسهّله بين الهمزة والياء[٤].

(١) انظر: الكفاية الكبرى (ص١٥٦).

(٢) انظر: الشّاطبيّة (ص٢٠) بيت (٢٤١).

(٣) هو: عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الملقب سيبويه: وهي رائحة التّفّاح بالفارسيّة، إمام النحاة، وأول من بسط علم النّحو، صنف كتابه المسمى (كتاب سيبويه) في النّحو، توفي سنة ١٨٠هـ. انظر: بغية الوعاة (٢/ ١٢٩) وسير أعلام النّبلاء (١٥/ ٣٦٥).

(٤) انظر: الكفاية الكبرى (ص١٥٦).

فهذا معنى قول الشاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَفِي غَيْرِ هَذَا بَيْنَ بَيْنَ ....[1]

والأخفش[2] يبدل المضموم بعد الكسر ياء، والمكسور بعد الضمّة واواً.

فهذا معنى قول الشاطبي رحمة الله عليه:

..... **وَالْأَخْفَشُ بَعْدَ الْكَسْرِ ذَا الضَّمِّ أَبْدَلا**

بِيَاءٍ وَعَنْهُ الْوَاوُ فِي عَكْسِهِ .....[3]

وحكى عنه[4] وجه ثان أنّه يسهّل المضموم بعد كسر بين بين، باعتبار حركة ما قبله، فيجعله بين الهمزة والواو.

فهذا معنى قول الشاطبي رحمة الله عليه

..... **وَمَنْ حَكَى فِيهِمَا كَالْيَا وَكَالْوَاوِ أَعْضَلا**[5]

وأمّا القسم الذي لا خلاف في تسهيله:

فهو بقيّة الأمثلة التّسعة[6]، ودليلها كما تقدّم من قول الشاطبي رحمة الله عليه:

وَفِي غَيْرِ هَذَا بَيْنَ بَيْنَ ....[7]

فهذا حكم تسهيل القسم الثّالث.

---

(١) انظر: الشّاطبيّة (ص٢٠) بيت (٢٤٢).

(٢) هارون بن موسى بن شريك الأخفش النّحوي القارئ الدّمشقي أبو عبدالله، أخذ القراءات عن عبد الله بن ذكوان، وبه اقتدى أهل الشام في القراءة، روى القراءة عنه خلق كثير، توفي سنة ٢٩٢ه، انظر: معرفة القرّاء الكبار (١/ ١٤٢)، غاية النهاية في طبقات القراء (١/ ٤٢٩).

(٣) انظر: الشّاطبية (ص٢٠) بيت (٢٤٥، ٢٤٦).

(٤) أي: عن الأخفش.

(٥) وهذا لا يصح في القراءة لأنه يخل بمعنى الكلمة. انظر: الشّاطبيّة (ص٢٠) بيت (٢٤٦).

(٦) انظر: الكفاية الكبرى (ص١٥٦، ١٥٧).

(٧) انظر: الشّاطبيّة (ص٢٠) بيت (٢٤٢).

وأمّا حكم رسمه:

فهو إن كان من القسم الذي لا خلاف في الإبدال فيه، فحكمه أن يرسم حرفًا من جنس حركة ما قبله، وإن كان قبله كسرة رسم ياءً، وإن كان قبله ضمّة رسم واواً[١]، وقد تقدّم مثاله.

وقد شذّ من المكسور ما قبله ﴿ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [سورة النساء:١٨] حيث وقعت لم يرسم للهمزة فيها صورة في جميع المصاحف[٢].

وإن كان من القسم المختلف في إبداله وتسهيله، فإن كان مضموماً بعد كسر وقبل واو جمع، فحكمه أن لا ترسم له صورة[٣]، وقد تقدّم مثاله.

فهذا معنى قول الشاطبي رحمة الله عليه:

وَمُسْتَهْزِءُونَ الْحَذْفُ فِيهِ وَنَحْوُهُ .....[٤]

وإن لم يكن قبل واو جمع فحكمه أن يرسم حرفًا من جنس حركة ما قبله مثاله: ﴿يُنَبِّـُٔهُمُ﴾ [سورة المائدة:١٤] ﴿سَنُقْرِئُكَ﴾ [سورة الأعلى:٦] وشبههما[٥].

وإن كان مكسوراً بعد ضمٍّ فحكمه أن يرسم حرفًا من جنس حركته، وقد تقدّم مثاله[٦].

وإن كان من القسم الذي لا خلاف في تسهيله، فحكمه أن يرسم حرفًا من جنس حركته:

مفتوحا رسم ألفًا، وإن كان مكسوراً رسم ياءً، وإن كان مضموماً رسم واواً[٧]، وقد تقدّمت أمثلته.

وقد شذّ من ذلك مواضع:

فشذّ من المفتوح المفتوح ما قبله:

---

(١) انظر: مختصر التبيين (٢/ ٤٦).

(٢) انظر: المقنع (ص٥٦).

(٣) انظر: مختصر التبيين (٢/ ١٩٤، ١٩٥).

(٤) انظر: الشّاطبيّة (ص٢٠) بيت (٢٤٧)

(٥) انظر: مختصر التبيين (٢/ ٤٦، ٤٧).

(٦) انظر: المرجع السابق (٢/ ٤٥).

(٧) انظر: مختصر التبيين (٢/ ٤٥، ٤٦).

﴿ٱشۡمَأَزَّتۡ﴾ [سورة الزمر:٤٥] [1] ﴿وَٱطۡمَأَنُّواْ﴾ [يونس:٧] [2] ﴿أَرَءَيۡتَ﴾ [سورة الكهف:٦٣] ﴿أَرَءَيۡتُمۡ﴾ [سورة الأنعام:٤٦] ﴿أَرَءَيۡتَكُمۡ﴾ [سورة الأنعام:٤٧] حيث وقعت لم يرسم للهمز في الجميع صورة في بعض المصاحف[3]، وكذلك ﴿بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمۡ﴾ رسم بعد الرّاء فيه واو بعدها ألف في جميع المصاحف[4].

فإن قلنا: إنّ الواو صورة الهمزة المتطرّفة كما تقدّم في رسم القسم الثّاني، فالهمزة المتوسّطة لم يكن لها صورة، وإن قلنا: إنّ الواو صورة الهمزة المتوسّطة فرسمها شاذ.

وأمّا: ﴿ٱلۡمُنشَـَٔاتُ فِي ٱلۡبَحۡرِ﴾ [سورة الرحمن:٢٤] فإنّها رسمت بعد الشّين بياء وتاء لا غير في جميع المصاحف[5].

فإن قلنا: إنّها رسمت قراءة فتح الشّين[6] فهي شاذ؛ لأنّ الهمزة حينئذ رسمت ياء وكان حكمها أن ترسم ألفـًا كما تقدّم[7].

وإن قلنا: إنها رسمت على كسر الشّين[8] فهي غير شاذة؛ لأنّها تكون حينئذ من القسم الذي لا خلاف في إبداله وقد تقدّم حكمه.

وشذّ من المكسور المكسور ما قبله كلّ ما وقع بعد ياء، نحو:

---

(١) انظر: الدرة الصقيلة (ص٤١٩).

(٢) انظر: مختصر التبيين (٣/ ٦٤٦).

(٣) بعض المصاحف رسمتها بألف وهو الذي عليه العمل. انظر: المقنع في رسم مصاحف الأمصار، (ص١٠٣)، وسمير الطالبين ضمن الإمتاع بجمع مؤلفات الضباع (ص٣/ ١١٩).

(٤) انظر: مختصر التبيين (٤/ ١١٩٨).

(٥) «وكتبوا في بعض (٤) المصاحف: ﴿ٱلۡمُنشَـَٔاتُ﴾ [سورة الرحمن:٢٤] بياء بين الشين والتاء، من غير ألف وكذا رسمها الغازي، وحكم، وعطاء، وقرأه حمزة بكسر الشين، وفتح الهمزة، وألف بعدها في اللفظ، فتكون الياء على قراءته صورة للهمزة؛ لانكسار ما قبلها وفي بعضها: ﴿ٱلۡمُنشَـَٔاتُ﴾ [سورة الرحمن:٢٤] بألف ثابتة ولا يصح على هذا كسر الشين» مختصر التبيين لهجاء التنزيل (٤/ ١١٦٨).

(٦) هي قراءة الجمهور نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وحفص ورواية لشعبة والكسائي وأبو جعفر ويعقوب وخلف العاشر، انظر: النّشر (٢/ ٣٨١).

(٧) انظر: مختصر التبيين (٤/ ١١٦٨).

(٨) هي قراءة حمزة ورواية لشعبة انظر: المصدر السّابق.

﴿ٱلۡمُسۡتَهۡزِءِينَ﴾[سورة الحجر:٩٥] ﴿ٱلۡخَاطِئِينَ﴾ [يوسف:٢٩] ﴿مُتَّكِـِٔينَ﴾ [سورة الكهف:٣١] لم يرسم للهمز فيها صورة في جميع المصاحف[١].

وأمّا: ﴿وَمَلَأَهُۥ﴾ [يونس:٨٨] ﴿وَمَلَإِيْهِمۡ﴾ [يونس:٨٣] حيث وقع فإنّهما رسما بعد اللّام بألف بعد ياء في جميع المصاحف.

فإن قلنا: إنّ الألف صورة الهمزة على إرادة التوسّط، والياء التي بعدها قائمة مقام حركتها، فهما شاذّان؛ لأنّ حكم الهمزة فيهما أن ترسم ياء كما تقدّم.

وإن قلنا: إنّ الألف صورة الهمزة على إرادة المتطرّف؛ لأنّ الضمير ليس من نفس الكلمة، والياء الّتي بعدها قائمة مقام حركتها أو صورة الهمزة أيضـًا على إرادة المتوسّط فهما غير شاذّين كما تقدّم[٢].

وشذ من المضموم المضموم ما قبله كلّما وقع بعده، وقد تقدّم مثاله لم يرسم له صورة في جميع المصاحف.

وحكم الوقف على الرّسم في هذا القسم الثّالث كما تقدّم في القسم الأوّل، والاستشهاد عليه كالاستشهاد عليه.

فصل:

وحكم الهمزة المتوسّطة بزائد دخل عليه، كحكم المتوسّط بغير زائد في جميع ما ذكر من التّسهيل والبدل واتباع الرّسم، مثال ذلك في التّسهيل:

﴿هَـٰٓأَنتُمۡ﴾ [آل عمران:٦٦] ﴿هَـٰٓؤُلَآءِ﴾ [آل عمران:٦٦] ﴿لَآ أَنتُمۡ﴾ [سورة الحشر:١٣].

ومثال ذلك في النقل:

﴿ٱلۡأُولَىٰ﴾ [طه:٢١] ﴿ٱلۡأَخِرَةُ﴾ [سورة البقرة:٩٤].

ومثال ذلك في البدل:

﴿بِأَنَّهُمۡ﴾ [سورة البقرة:٦١] ﴿لِّئَلَّا﴾ [سورة الحديد:٢٩].

(١) انظر: مختصر التبيين (٢/ ٤٩).

(٢) انظر: الدرة الصقيلة (ص٤٦٧، ٤٦٨).

وما رسم منه بالألف وقف عليه بها، نحو:

﴿لَأَنتُمْ﴾ ﴿بِأَنَّهُمْ﴾.

وما رسم منه بالياء وقف عليه بها نحو:

﴿أَيْنَكُمْ﴾ [سورة الأنعام:١٩] ﴿أَيْفِكًا﴾ [سورة الصافات:٨٦].

وما رسم منه بالواو وقف عليه بها نحو:

﴿هَٰؤُلَآءِ﴾ ﴿أَؤُنَبِّئُكُم﴾ [آل عمران:١٥].

وفي جميع ما ذكر التحقيق أيضاً[١].

فهذا معنى قول الشاطبي رحمة الله عليه:

وَمَا فِيهِ يُلْفَى وَاسِطًا بِزَوَائِـــدٍ دَخَلْنَ عَلَيْهِ فِيهِ وَجْهَانِ أُعْمِـــلا

كَمَا هَا وَيَا وَاللَّامِ والْبَا وَنَحْوِهَا وَلَامَاتِ تَعْرِيفٍ لِمَنْ قَدْ تَأَمَّلا[٢]

فصل:

هشام[٣] يقف على جميع أقسام الهمزة إذا كان متطرّفاً كما يقف حمزة عليه في جميع ما تقدّم من البدل[٤] والنّقل والإدغام[٥] والتّسهيل[٦] واتّباع الرسم[٧].

---

(١) انظر: شرح طيبة النشر للنويري (١/ ٤٩٩، ٥٠٠)، شرح طيبة النشر في القراءات (ص١٠٣)، المؤلف: أحمد بن محمد بن محمد بن محمد بن يوسف الجزري، ضبطه وعلق عليه: الشيخ أنس مهرة، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠م.

(٢) انظر: الشّاطبيّة (ص٢٠) بيت (٢٤٨، ٢٤٩).

(٣) هشام بن عمار بن نصير بن ميسرة، أبو الوليد السّلمي، إمام أهل دمشق، قرأ القرآن على عراك بن خالد، وأيوب بن تميم، أحد الرّواة عن ابن عامر، توفّي سنة ٢٤٥ه، انظر: معرفة القرّاء الكبار (١/ ١١٥)، وغاية النّهاية (٢/ ٣٥٤).

(٤) وهو أن «يبدل الهمز حرف مد محضا ليس يبقى فيه شائبة من لفظ الهمز». إبراز المعاني (ص:١٤٦).

(٥) قال ابن الجزري: «الإدغام هو اللفظ بحرفين حرفا كالثاني مشددا». النشر(١/ ٢٧٤).

(٦) هو أن تسهيل الهمزة بينها وبين حرف المد المجانس لحركتها قال الشاطبي:
« والمسهل بين ما هو الهمز والحرف الذي منه أشكلا». متن الشاطبية بيت رقم (١٣).

(٧) انظر: جامع البيان(٢/ ٥٧٤).

فهذا معنى قول الشاطبي رحمة الله عليه:

..... وَمِثْلُهُ يَقُولُ هِشَامٌ مَا تَطَرَّفَ مُسْهِلا[1]

تمّت أقسام أحكام الباب بتسهيل الجليل الوهّاب، وصلواته وسلامه على سيّدنا محمّد خاتم النبيّين وجميع الملائكة والمرسلين والصالحين، والحمد لله رب العالمين.

(١) انظر: الشّاطبيّة (ص٢٠) بيت (٢٤٢).

الخاتمة

أهم النتائج والتوصيات:

الحمد لله على التمام، والصلاة والسلام على مسك الختام، محمد بن عبد الله سيد الأنام وعلى آله وأصحابه ومن سار على نهجهم إلى يوم الزحام.

وبعد: هذه الدراسة والتحقيق لرسالة ابن بصخان في شرح باب وقف حمزة وهشام ننتهي إلى النتائج الآتية:

١. أن باب وقف حمزة وهشام من أهمّ الأبواب التي ينبغي أن يهتمّ بها وتدرس دراسة موسّعة من حيث النحو والتصريف؛ لأنه لا يتقن هذا الباب ويتمكن منه إلا من كان ضليعا في علم النحو والصرف كما قال الإمام الشّاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَفِي الْهَمْزِ أَنْحَاءٌ وَعِنْدَ نُحَاتِهِ يُضِيءُ سَنَاهُ كُلَّمَا اسْوَدَّ أَلْيَلَا (١)

٢. إظهار علم من أعلام القراءات محمد بن أحمد بن بصخان، بهذه الدراسة قد يحمس الطلاب على البحث في تراث هذا العلم المغمور، ولا شك أنه تولى الإقراء بدمشق وذاع صيته، وقصده القاصي والدّاني، فمن شمّر في البحث يجد تراثًا عن هذا العالم.

٣. المؤلف له باع في علم الرسم، فالكلام عن رسم صورة الهمزة قل ما تجد من يربطه بالأحكام، فنجد المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ يتكلم عن رسم صورة الهمزة بعد ذكره للحكم من تسهيل أو إبدال أو حذف، مع ذكر خلاف الأمصار في ذلك، فهذا الصنيع من المؤلّف دلنا على أن نحكم عليه أنه عالم بعلم الرسم.

٤. أن المؤلف اعتمد الشاطبية ولم يخرج عنها في مذهب حمزة وهشام في الوقف على الهمز.

٥. كذلك لم يتوسع المؤلف في بيان الأوجه وذكر عددها.

(١) انظر الشاطبيّة (ص٢١) بيت (٢٥٤).

وفي الختام أوصي الباحثين في علم القراءات بدراسة باب وقف حمزة وهشام دراسة موسعة على المذاهب، كل مذهب على حدة - المذهب القياسي والمذهب الرسمي - مع استقصاء الأمثلة في كل مذهب وبيان ما يتفق منها مع الرواية وما يخالف الرواية فلا تجوز القراءة به، وكتب القراءات مليئة بما يعين على إنجاز هذا البحث.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.

١. **إبراز المعاني من حرز الأماني**، المؤلف: أبو القاسم شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي المعروف بأبي شامة (المتوفى: ٦٦٥هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية.

٢. **الأعلام**، المؤلف: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ)، الناشر: دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر - أيار / مايو ٢٠٠٢ م.

٣. **أعيان العصر وأعوان النصر**، لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (ت: ٧٦٤هـ)، ط دار الفكر المعاصر، بيروت - لبنان، دار الفكر، دمشق - سوريا، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م، تحقيق: د. علي أبو زيد، د. نبيل أبو عشمة، د. محمد موعد، د. محمود سالم محمد.

٤. **بغية الوعاة في طبقات اللغوين والنحاة**، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، ط المكتبة العصرية - لبنان / صيدا، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم.

٥. **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت:٧٤٨هـ)، ط دار الكتاب العربي، لبنان/ بيروت، الطبعة: الأولى،١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري.

٦. **تذكرة الحفاظ**، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.

٧. **التيسير في القراءات السبع**، المؤلف: عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني (المتوفى: ٤٤٤هـ)، المحقق: اوتو تريزل، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

٨. **جامع البيان في القراءات السبع**، المؤلف: عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني (المتوفى: ٤٤٤هـ)، الناشر: جامعة الشارقة - الإمارات، الطبعة: الأولى، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧ م.

٩. **الجامع الصحيح**، أبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١هـ)، ط دار إحياء التراث العربي – بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

١٠. **حرز الأماني ووجه التهاني**، للقاسم بن فيره بن خلف بن أحمد الرعيني، أبو محمد الشاطبي(ت: ٥٩٠هـ)، ط مكتبة دار الهدى ودار الغوثاني للدراسات القرآنية، الطبعة الرابعة: ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م، تحقيق: محمد تميم الزعبي.

١١. **الدرة الصقيلة في شرح أبيات العقيلة**، للمقرئ الحافظ أبي بكر عبد الغني المشتهر باللبيب، تحقيق الدكتور عبد العلي آيت زعبول، إصدار وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية –دولة قطر الطبعة الأولى١٤٣٢هـ – ٢٠١١م.

١٢. **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**، لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ)، ط مجلس دائرة المعارف العثمانية – صيدر آباد/ الهند، تحقيق: محمد عبد المعيد ضان.

١٣. **دليل الحيران على مورد الظمآن في رسم القرآن**، لمحمد بن محمد بن إبراهيم الشريشي، الشهير بالخراز، ط دار الاستقامة بالقاهرة، الطبعة الأولى: ١٣٦٥هـ، تحقيق: عامر السيد عثمان.

١٤. **دليل الحيران على مورد الظمآن**، لأبي إسحاق إبراهيم بن أحمد بن سليمان المارغني التونسي المالكي (ت: ١٣٤٩هـ)، ط دار الحديث– القاهرة.

١٥. **ديوان الإسلام**، لشمس الدين أبو المعالي محمد بن عبد الرحمن بن الغزي، (ت: ١١٦٧هـ)، ط دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ – ١٩٩٠م، تحقيق: سيد كسروي حسن.

١٦. **ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد**، المؤلف: محمد بن أحمد بن علي، تقي الدين، أبو الطيب المكي الحسني الفاسي (المتوفى: ٨٣٢هـ)، المحقق: كمال يوسف الحوت، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

١٧. **ذيل طبقات الحنابلة**، المؤلف: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ)، المحقق: د عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، الناشر: مكتبة العبيكان – الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٥ م.

١٨. **سراج القارئ المبتدي وتذكار المقرئ المنتهي (وهو شرح منظومة حرز الأماني ووجه التهاني للشاطبي)**، المؤلف: أبو القاسم (أو أبو البقاء) علي بن عثمان بن محمد بن أحمد بن الحسن

المعروف بابن القاصح العذري البغدادي ثم المصري الشافعي المقرئ (المتوفى: ٨٠١هـ)، راجعه شيخ المقارئ المصرية: علي الضباع، الناشر: مطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، الطبعة: الثالثة، ١٣٧٣ هـ – ١٩٥٤ م.

١٩. **سمير الطالبين في رسم وضبط الكتاب المبين**، ضمن الإمتاع بجمع مؤلفات الضباع، لعلي بن محمد الضّباع (ت: ١٣٨٠هـ)، طبع بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة الكويت.

٢٠. **سير أعلام النبلاء**، لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت: ٧٤٨هـ)، ط مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط.

٢١. **شرح الشاطبية**، تأليف جلال الدين السيوطي، تحقيق مكتب قرطبة للبحث العلمي، الطبعة الأولى ٢٠٠٤م.

٢٢. **شرح العلامة ابن الحق السنباطي على حرز الأماني**، للشاطبي، دراسة وتحقيق للدكتور يحيى بن محمد حسن بن أحمد زمزمي، جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين، عام ١٤١٨هـ.

٢٣. **شرح طيبة النشر في القراءات**، المؤلف: أحمد بن محمد بن محمد بن محمد بن يوسف الجزري، ضبطه وعلق عليه: الشيخ أنس مهرة، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م.

٢٤. **شرح طيبة النشر في القراءات العشر**، المؤلف: محمد بن محمد بن محمد، أبو القاسم، محب الدين النُّوَيْري (المتوفى: ٨٥٧هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، تقديم وتحقيق: الدكتور مجدي محمد سرور سعد باسلوم، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣م.

٢٥. **طبقات الشافعية**، المؤلف: أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر الأسدي الشهبي الدمشقي، تقي الدين ابن قاضي شهبة (المتوفى: ٨٥١هـ)، المحقق: د. الحافظ عبد العليم خان، دار النشر: عالم الكتب – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧هـ.

٢٦. **العقد النضيد في شرح القصيد**، للسمين الحلبي، من أول الكتاب إلى أول باب الفتح والإمالة، دراسة وتحقيق الدكتور أيمن سويد، دار نور المكتبات للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ – ٢٠٠م.

٢٧. **غاية النهاية في طبقات القراء**، لمحمد بن محمد بن الجزري (ت:٨٣٣هـ)، ط دار الصحابة للتراث بطنطا، تحقيق: الشيخ/ جمال الدين محمد شرف، والشيخ/ مجدي فتحي السيد.

٢٨. **الفريدة البارزية في حل القصيدة الشاطبية**، للإمام هبة الله بن عبد الرحيم بن إبراهيم الجهني الحموي المعروف بابن البارزي(ت٧٣٨هـ)، دراسة وتحقيق لنيل درجة الماجستير لعبد الله بن حامد بن أحمد السليماني، جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين، عام ١٤١٦هـ / ١٤١٧هـ.

٢٩. **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **وسننه وأيامه = صحيح البخاري**، المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

٣٠. **الكفاية الكبرى في القراءات العشر**، تأليف الإمام الحافظ مقرئ العراق أبي العز محمد بن الحسين بن بندار الواسطي القلانسي المتوفى سنة ٥٢١هـ، تحقيق عثمان محمود غزال دار الكتب العلمية الطباعة الأولى ٢٠٠٧م، لبنان.

٣١. **المستنير في القراءات العشر**، للشيخ الإمام أبي طاهر أحمد بن علي بن عبيد الله بن عمر بن سوار البغدادي الحنفي النحوي المتوفى سنة ٤٩٦ه، تحقيق ودراسة لنيل الشهادة العالمية الدكتوراه إعداد الطالب أحمد طاهر أويس إشراف الدكتور محمد محمد سالم محيسن، عام ١٤١٣هـ المملكة العربية السعودية الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة كلية القرآن الكريم قسم القراءات.

٣٢. **معجم الشيوخ الكبير للذهبي**، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، المحقق: الدكتور محمد الحبيب الهيلة، الناشر: مكتبة الصديق، الطائف – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.

٣٣. **المعجم المختص بالمحدثين**، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، تحقيق: د. محمد الحبيب الهيلة، الناشر: مكتبة الصديق، الطائف، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م.

٣٤. **معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار**، لمحمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي أبو عبد الله (ت: ٧٤٨هـ)، ط مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الأولى ١٤٠٤هـ، تحقيق: بشار عواد معروف، شعيب الأرناؤوط، صالح مهدي عباس.

٣٥. **المقنع في رسم مصاحف الأمصار**، لعثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني (ت: ٤٤٤هـ)، ط مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، تحقيق: محمد الصادق قمحاوي.

٣٦. **المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي**، المؤلف: يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي، أبو المحاسن، جمال الدين (المتوفى: ٨٧٤هـ)، حققه ووضع حواشيه: دكتور محمد محمد أمين، تقديم: دكتور سعيد عبد الفتاح عاشور، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٣٧. **مورد الظمآن في رسم أحرف القرآن**، للإمام محمد بن محمد بن إبراهيم الشريشي الخراز المتوفى سنة ٧١٨هـ، تحقيق الدكتور أشرف محمد فؤاد طلعت، مكتبة الإمام البخاري، الطبعة الأولى٢٠٠٢م.

٣٨. **النشر في القراءات العشر**، لشمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (ت: ٨٣٣ هـ)، ط تصوير دار الكتاب العلمية، تحقيق: علي محمد الضباع.

٣٩. **نكث الهميان في نكت العميان**، لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (ت: ٧٦٤هـ)، ط دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا.

٤٠. **الوافي بالوفيات**، لصلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (ت: ٧٦٤هـ)، ط دار إحياء التراث – بيروت، تحقيق: أحمد الأرناؤوط، وتركي مصطفى.

٤١. **الوافي في شرح الشاطبية في القراءات السبع**، المؤلف: عبد الفتاح بن عبد الغني بن محمد القاضي (المتوفى: ١٤٠٣هـ)، الناشر: مكتبة السوادي للتوزيع، الطبعة: الرابعة، ١٤١٢هـ – ١٩٩٢ م.

٤٢. **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (ت: ٦٨١هـ)، ط دار صادر – بيروت، تحقيق: إحسان عباس.

٤٣. **الوفيات**، لتقي الدين محمد بن هجرس بن رافع السلامي (ت: ٧٧٤هـ)، ط مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٢هـ، تحقيق: صالح مهدي عباس، د. بشار عواد معروف.

مجلة تعظيم الوحيين

الأحاديث الدالة على وجوب شهود جماعة المسجد للصلوات الخمس

(جمعًا ودراسة)

د/ علي بن فهد بن عبد الله أبا بطين

الأستاذ المساعد في قسم فقه السنَّة ومصادرها - كلية الحديث الشريف،

الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية

Abufahad6161@gmail.com

مجلة تعظيم الوحيين

ملخص البحث

موضوع البحث:

شهود جماعة المسجد للصلوات الخمس.

هدف البحث:

جمع ودراسة الأدلة على وجوب شهود جماعة المسجد للصَّلوات الخمس.

مشكلة البحث:

ما يُثَارُ في أوساط المسلمين عبر وسائل الإعلام المختلفة بين الفينة والأخرى وغيرها من القول بجواز إقامة الجماعة للصلوات الخمس في البيت ونحوه في حقِّ الرَّجُلِ المكلَّفِ الذي يسمعُ النِّداء، وليس معذورًا بعُذْرٍ شرعيٍّ.

نتائج البحث:

١- أنَّ نصوص الكتاب والسنَّة قاضية بوجوب شهود الجماعة للصلوات المفروضة في المساجد.

٢- أنَّه لا يجوز التخلُّف عن هذه الجماعة في المساجد مع سماع النداء لها إلاَّ لعذرٍ شرعيٍّ، كالخوف والمرض.

٣- أنَّ التخلُّف عنها من غير عذرٍ شرعيٍّ علامة من علامات النفاق.

الكلمات الدَّالة (المفتاحية):

أحاديث- وجوب- جماعة- المسجد.

مجلة تعظيم الوحيين

المقدمة

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمدٍ، وعلى آله وصحابته أجمعين، أما بعد؛

فممَّا لا ريب فيه أنَّ نصوص الكتاب والسنَّة وحيان وأصلان عظيمان من أصول الشريعة ومصادرها، تُبنى عليهما الأحكام والمسائل الشرعية.

وهذه النصوص هي حُجَّةُ الله على عباده، يجب تقديمها، والتعويل عليها، وترجيح الراجح بها في المسائل المختَلفِ فيها؛ إذ لا يحلُّ لمسلمٍ العدول عنها لقول أحدٍ من الناس كائنًا من كان.

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعدما ذكر أسباب الخلاف بين العلماء: «لكن نحن وإن جَوَّزْنَا هذا[1] فلا يجوز لنا أن نَعْدِلَ عن قولٍ ظهرت حُجَّتُهُ بحديثٍ صحيحٍ، وافقه طائفةٌ من أهل العلم إلى قولٍ آخر قاله عَالِمٌ ....، إلى أن قال: فإنَّ الأدلة الشرعية حُجَّةُ الله على جميع عباده، بخلاف رأي العَالِمِ، والدليلُ الشرعيُّ يمتنع أن يكون خطأ إذا لم يعارضه دليلٌ آخر، ورأي العَالِمِ ليس كذلك...، إلى أن قال: وليس لأحدٍ أن يُعَارِضَ الحديث عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقول أحدٍ من الناس"[2].

وقال - أيضًا -: «وَلْيُعْلَمْ أنه ليس أحدٌ من الأئمة المقبولين عند الأُمَّةِ قبولاً عامًّا يتعمَّدُ مخالفة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في شيءٍ من سنته، دقيقٌ ولا جليلٌ، فهم متفقون اتفاقًا يقينيًّا على وجوب اتباع الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ". اهـ كلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ[3].

فالخلافُ بين العلماء في فروع الدين أمرٌ طبيعيٌّ اقتضته مقتضياتٌ وأسبابٌ عِدَّةٌ، كدلالة النص، أو خفائه على العالِم، أو نحو ذلك من الأسباب.[4]

ولكنَّ الشأن كُلَّ الشأن هو موقف المسلم أمام هذا الخلاف؛ إذ حاد عن الجادَّةِ وجانب الصواب فيه طوائفُ من الناس.

---

(١) يعني: وجود الخلاف بين العلماء.

(٢) انظر: رسالة: رفع الملام عن الأئمة الأعلام، كما في مجموع فتاواه، (٢٠ / ٢٥٠).

(٣) من المصدر السابق، (٢٠ / ٢٣٢)

(٤) لك أن تنظر رسالة شيخ الإسلام السالفة؛ فإنه استوعب فيها أسباب الخلاف بين العلماء.

فطائفةٌ ظنَّت أنَّ وجود الخلاف بين العلماء يعني حرية الإنسان في اختيار ما يوافق هواه من أقوالهم في المسألة المختَلف فيها.

فجرَّ هذا المسلكُ هؤلاء إلى الانزلاق في تتبُّعِ رُخَصِ العلماء، والأخذِ من أقوالهم بما يتوافق مع رغبة المرء منهم، ويهواه هواه، دون النظر إلى كون هذا القول راجحًا، أو مرجوحًا.

وطائفةٌ أخرى استغلَّت وجود هذا الخلاف بين العلماء؛ لنشر وترويج الأقوال المرجوحة والشاذة، تحت شعار احترام الرأي الآخر وعدم إقصائه وتهميشه ونحو ذلك من المصطلحات والعبارات التي يُرَوَّجُ لها عبر وسائل الإعلام المختلفة؛ لينخدع بها عوامُّ الناس وجهلتُهم .

وطائفةٌ ثالثةٌ ـ هي في الواقع من المنتسبين إلى العلم ـ اشتغلوا ـ بزعمهم ـ في البحث عمَّا فيه تيسيرٌ للناس بين أقوال وآراء واجتهادات العلماء في المسائل المُخْتَلَفِ فيها، متغافلين عن نصوص الكتاب والسنَّة في هذه المسائل، التي هي في الواقع الحُجَّةُ والبرهانُ، وفيها التيسيرُ الحقيقيُّ للأُمَّةِ؛ فزلَّت أقدامُ كثيرٍ منهم.

ولا شكَّ أنَّ هذا مُنزَلَقٌ خطيرٌ يُنَحِّي الأُمَّةَ عن مصادرها الأصيلة:- «الكتاب والسنة»- إلى آراء وأقوالٍ بشرية يعتريها الخطأُ والنسيانُ.

ويتضح مما سبق غفلةُ طوائفَ من الناس، وبُعْدُهُمْ عن المسلك الشرعي الذي أوضحه الله لعباده، وأبانه لهم، بل: وألزمهم به، وجعل الاهتداء إليه من مقتضيات الإيمان، وهو: رَدُّ النزاع إلى الكتاب والسُّنة.

فإنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يقول: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾[1].

قال ابن كثيرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهذا أمْرٌ من الله عَزَّوَجَلَّ بأنَّ كلَّ شيءٍ تنازع الناسُ فيه من أصول الدين وفروعه أَنْ يُرَدَّ التنازعُ في ذلك إلى الكتاب والسُّنّة، فما حَكَمَ به الكتابُ والسنَّةُ، وشهِدا له بالصِّحة فهو الحق».

وقال عند قوله سبحانه: ﴿إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾: «دلَّ على أنَّ من لم يتحاكم في محلِّ النزاع إلى الكتاب والسنة، ولا يرجع إليهما في ذلك فليس مؤمنًا بالله ولا باليوم الآخر»[2].

(١) سورة النساء، آية (٥٩).

(٢) تفسير القرآن العظيم (١ / ٦٧٨).

وقال تعالى: ﴿ وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾[1].

قال ابن كثير: «أي: مهما اختلفتم فيه من الأمور، وهذا عامٌّ في جميع الأشياء، «فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ»، أي: هو الحَاكِمُ فيه بكتابه، وسنة نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ" ا هـ كلامه[2].

فتلك هي طريقة الصحابة الكرام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وهذا هو منهجهم، ومنهج من سار على طريقهم، واقتفى أثرهم من الأئمة المتبوعين، والعلماء الناصحين: رَدُّ النزاع إلى الله ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإن كان بعضُهم أعلمَ من بعضٍ في مَوَاضِعَ أُخَر.

ولذا ترك الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ قول عمر بن الخطاب وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهما في مسألة تيمُّم الجُنب، وأخذوا بقول من هو دونهما في العلم، كأبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وغيره لمَّا احتجَّ بالكتاب والسُّنة[3].

وتركوا قول عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في «دِيَة الأصابع»[4]، وأخذوا بقول معاوية رضي الله عنه لِمَا معه من السُّنة[5].

وروي عن ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه لما قَالَ في «مُتْعَةِ الحَجِّ»: تَمَتَّعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ: نَهَى أَبُو بَكرٍ وَعُمَرُ عن «المُتْعَةِ»، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: مَا يَقُولُ عُرَيَّةُ؟ قَالَ: يَقُولُ: نَهَى أَبُو بكرٍ وَعُمَرُ عن «المُتْعَةِ»، فَقَالَ: "أُرَاهُمْ سَيَهْلِكُونَ! أَقُولُ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَيَقُولُ نَهَى أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ"[6].

---

(١) سورة الشورى، آية ١٠

(٢) المصدر السابق (٤ / ١٣٦).

(٣) القصَّةُ عند النسائيِّ في المجتبى (١ / ١٧٠ برقم ٣٢٠) من طريق الأعمش، عن شَقِيقٍ، قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا مَعَ عَبْدِ اللهِ وَأَبِي مُوسَى، فَقَالَ أَبُو مُوسَى: أَوَلَمْ تَسْمَعْ قَوْلَ عَمَّارٍ لِعُمَرَ: بَعَثَنِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَاجَةٍ، فَأَجْنَبْتُ، فَلَمْ أَجِدِ المَاءَ، فَتَمَرَّغْتُ بِالصَّعِيدِ، ثُمَّ أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ: «**إِنَّمَا كَانَ يَكْفِيكَ أَنْ تَقُولَ هَكَذَا**»، وَضَرَبَ بِيَدَيْهِ عَلَى الأَرْضِ ضَرْبَةً، فَمَسَحَ كَفَّيْهِ، ثُمَّ نَفَضَهُمَا، ثُمَّ ضَرَبَ بِشِمَالِهِ عَلَى يَمِينِهِ وَبِيَمِينِهِ عَلَى شِمَالِهِ عَلَى كَفَّيْهِ وَوَجْهِهِ. فَقَالَ عَبْدُ اللهِ: أَوَلَمْ تَرَ عُمَرَ لَمْ يَقْنَعْ بِقَوْلِ عَمَّارٍ».

(٤) أخرجه الثوري في جامعه، كما في فتح الباري لابن حجر (١٢ / ٢٢٦).

(٥) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (٢٠ / ٢٥٠).

(٦) أخرجه أحمد في المسند (٥ / ٢٢٨ برقم ٣١٢١)، والخطيبُ في الفقيه والمتفقه (١ / ٣٧٨).

قال أبو بكرٍ الخطيب عقب أن ساق الأثر: «لا ينبغي أن يُقَلِّدَ أحدٌ في ترك ما ثبتت به سنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ". ا هـ كلامه[١].

وكذلك عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لم يكن عنده علمٌ بأن المُتَوفَّى عنها زوجُها تَعْتَدُّ في بيت الموت حتى حدَّثته الفُرَيعَةُ بنتُ مالكٍ بقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لها حين توفي عنها زوجها: «**امْكُثِي فِي بَيْتِكِ حَتَّى يَبْلُغَ الكِتَابُ أَجَلَهُ**»[٢]، فأخذ به عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وكذا الأئمة الأربعة ـ رَحِمَهُمُ اللَّهُ ـ حذَّروا من تقليدهم، والأخذ بأقوالهم بغير حُجَّةٍ.

فثبت عن الإمام أبي حنيفة رَحِمَهُ اللَّهُ أنه كان يقول: «قولنا هذا رأيٌ، وهو أَحْسَنُ مَا قَدَرْنَا عليه؛ فمن جاءنا بأحسنَ من قولنا فهو أولى بالصواب منَّا»[٣].

وكذا ثبت عن الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ قوله: «إنما أنا بشرٌ أُصيب وأخطئ، فاعرضوا قولي على الكتاب والسنة»[٤].

وقال الإمام الشافعيُّ ـ رَحِمَهُ اللَّهُ: «إذا كان عن النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خلافُ قولي ممَّا يَصِحُّ، فحديثُ النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أولى، ولا تُقلِّدوني"[٥].

وقال أيضًا: «مَثَلُ الذي يطلب العلم بلا حُجَّةٍ، كمثل حَاطِبِ لَيْلٍ يحمل حُزْمَةَ حَطَبٍ، وفيه أَفْعَى تلدغه وهو لا يدري»[٦].

وقال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ: «مِنْ قِلَّةِ فقه الرجل أن يُقلِّد دينه الرِّجال»[٧].

فهؤلاء هم الصحابة وأعلام الأُمَّة، رأوا الحق فيما ظهر لهم ولم يجعلوه حُجَّةً يُعَوَّلُ عليها، بل جعلوا الحجَّة في اتِّباع الدليل الصحيح؛ زهدوا في أقوالهم، وانصاعوا للحق، واتَّسعت صدورهم لقبوله، ورغبوا في خلاص أنفسهم من آثار الفتوى.

---

(١) المصدر السابق.

(٢) أخرجه مالك في الموطأ (٢ / ٥٩١ برقم ١٢٢٩) في حديثٍ طويل بإسنادٍ صحيح.

(٣) أخرجه الخطيب في تاريخ بغداد (١٥ / ٤٨١).

(٤) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (٢٠ / ٢١١).

(٥) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٩ / ١١٣).

(٦) أخرجه البيهقي في مناقب الشافعي (٢ / ١٤٣).

(٧) انظر: إعلام الموقعين (٢ / ٢٠١).

فإذا كان كذلك، فكيف بمن ترك قول الله ورسوله لقول من هو دون هؤلاء في العلم والمنزلة والفضل.

وممَّا يُؤسَفُ له ما يُثَارُ في أوساط المسلمين بين الفينة والأخرى عبر وسائل الإعلام المختلفة وغيرها **من القول بجواز إقامة الجماعة للصلوات الخمس في البيت ونحوه في حقِّ الرَّجُلِ المكلَّفِ الذي يسمعُ النِّداء**[(١)]، **وليس معذورًا بعُذْرٍ شرعيٍّ**[(٢)]؛ تَرَخُّصًا بقول مَنْ قال من الأئمة أو الفقهاء ــ رَحِمَهُمُ اللَّهُ ــ بأنَّ شهود الجماعة لهذه الصلوات في المسجد سُنَّة، وليس واجبًا، فللرَّجُلِ فِعلُ هذه الجماعة في بيته ونحوه مع ابنٍ أو زوجةٍ أو خادمٍ أو نحوهم.

والمتأمِّلُ في نصوص الشريعة يجدُ دلالتها ظاهرةً على وجوب شهودها ـ أعني: جماعة المسجد للصلوات الخمس[(٣)] ـ؛ ذلك أنَّ المساجد بيوتُ الله، وقد أمر أن تُرْفَعَ ويُذْكَرَ فيها اسمه؛ لإظهار شعائر دينه، ومن ذلك هذه الصلوات الخمس؛ فإنه سبحانه قد عظَّمها في كتابه، وعلى لسان رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بل: وقرنها بتوحيده، وإخلاص العمل له[(٤)].

ومنه ظهرت لي ضرورةُ تتبُّع الأحاديث التي يُمكِنُ أن يُستَدلَّ بها لوجوب شهود هذه الجماعة في المسجد، وجمعها في هذا البحث المختصر، مع بيان أوجه دلالتها للمسألة.[(٥)]

أمَّا عن الدراسات السابقة، فإني لم أقف على من أفرد المسألة، وجمع أدلَّتها، واجتهد في استظهار أوجه دلالتها ببحثٍ مستقلٍّ على حدٍّ علمي.

---

(١) الضابط في سماع النداء، هو: سماع أذان المؤذِّن بالإذن مجرَّدًا من مُكبِّر الصوت.
انظر: فتاوى نور على الدرب لابن باز (١١ / ١٣١)

(٢) كالخوف والمرض وغيرهما مما دلَّت النصوص على العذر بها.
انظر: الأوسط لابن المنذر (٤ / ١٣٩)، المحلَّى لابن حزم (٤ / ٢٠٢)

(٣) مع مراعاة القيدين السابقين: (سماع النداء، وانتفاء العذر الشرعي)، فليُراعى هذان في كل ما سيأتي من عبارات الاستدلال بهذه النصوص للمسألة، فلربما أغفلت ذكرهما؛ خشية التكرار والإطالة.

(٤) يُراعى في هذا المقام الفرق بين هذه المسألة وبين مسألة حكم صلاة الجماعة نفسها؛ فإنِّي لست أريد من سوق هذه النصوص الاستدلال بها لبيان وجوب صلاة الجماعة نفسها، وسيأتي بيان ذلك قريبًا في شرح مفردات عنوان البحث.

(٥) ولمَّا رأيتُ أن في كتاب الله العزيز آيتين يُستدَلُّ بهما للمسألة، ووقفتُ ـ أيضًا ـ على آثارٍ تُروى عن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في المسألة رأيت أن أستفتح أدلة البحث بهاتين الآيتين وعبارات أهل العلم حولها، وأن ختمه بما وقفتُ عليه من تلك الآثار؛ رغبةً في استيعاب أدلة المسألة في موضعٍ واحد، والله من وراء القصد.

وإنما غاية ما وقفتُ عليه هو فصلٌ مختصرٌ جدًّا عقده العلاَّمةُ ابنُ القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه «الصلاة وحكم تاركها»[1]، حكى فيه الخلاف بين فقهاء المذاهب الأربعة في المسألة، والروايات عن الإمام أحمد فيها، مع الإشارة إلى دليلٍ أو دليلين لهذه الروايات بعبارة موجزة.

مع ما وقفتُ عليه من عباراتٍ وفتاوى متفرقة لأهل العلم في المسألة في بعض مصنَّفاتهم.

إضافةً إلى ما استفدته من بعض المؤلَّفات التي أُفرِدت في حكم صلاة الجماعة نفسها أو في أحكام المساجد من الإحالة إلى ما قد فاتني من نقولٍ يسيرةٍ عن أهل العلم في المسألة في مصنفاتهم، فاستدركتها في البحث.

وقد انتظم البحثُ في مقدمةٍ، وتمهيدٍ، ومبحثين، وخاتمةٍ، وثبتٍ للمصادر، وفهارس علمية.

أما المقدِّمة، فاستفتحتها ببيان ضرورة التحاكم إلى نصوص الكتاب والسنة عند التنازع، ثمَّ ذكرتُ بعد ذلك سبب اختيار الموضوع وأهميته، والدراسات السابقة، وخطة البحث، ومنهج العمل فيه.

وأما التمهيد، ففيه ثلاثة مطالب: **الأول**: لبيان فضل صلاة الجماعة في المسجد وعظم شأنها في الإسلام، **والثاني**: لتوضيح ما يحتاج إلى بيان وتوضيح من مفردات عنوان البحث، **والثالث**: لحكاية الخلاف بين أهل العلم في مسألة البحث بعبارةٍ مختصرة.

وأما المبحثان، فالأول، أفردته لما يُستدَلُّ به للمسألة من نصوص الكتاب العزيز، مع بيان أوجه دلالتها، وهما آيتان، كما تقدَّمت الإشارة إلى ذلك قريبًا، **والثاني**، أسوق فيه الأحاديث والآثار عن الصحابة في المسألة، مع بيان أوجه دلالتها.

وأما الخاتمة، فأذكر فيها خلاصة البحث، وأبرز نتائجه.

وأما الفهارس العلمية، فهي ستة فهارس: الأول: فهرس الآيات، والثاني: فهرس الأحاديث، والثالث: فهرس الآثار، والرابع: فهرس الرواة والأعلام، والخامس: فهرس الألفاظ الغريبة، والسادس: فهرس الموضوعات.

---

(١) انظره في (ص١١٩).

وأما منهج العمل الذي سرتُ عليه، فأُجمِلُه في النقاط الآتية:

- أجتهدُ في سوق ما وقفتُ عليه من الأحاديث التي يمكن الاستدلال بها للمسألة، مبيِّنًا أوجه دلالتها من خلال عبارات وأقوال أهل العلم حولها، واستنباطاتهم في تبويباتهم لها.
- ما كان خارج الصحيحين من هذه الأحاديث أبيِّنُ درجته بعبارةٍ مختصرةٍ، وربما أقتصرُ في ذلك على أحكام أهل العلم عليها؛ طلبًا للاختصار؛ ذلك أنَّ جمع طرقها والإمعان في دراستها يُفضي إلى إطالة البحث إطالةً فاحشة تخرجه عن مقصوده.
- وما كان منها ضعيفًا، وضعفه محتملٌ فإني أجتهد في البحث عما يقوِّيه، مبيِّنًا وجه دلالته ودرجته بعبارة تفي بالمقصود، وما كان سوى ذلك فإني أورده لبيان ضعفه.
- أجتهد في جمع ألفاظ هذه الأحاديث من مصادرها بما يفي المقصود من البحث.
- إن وقفتُ على أحاديث تُروى عن عددٍ من الصحابة باللفظ نفسه أو بنحوه، بعضها في الصحيحين والبعض الآخر خارجهما فإني أقتصر على ما في الصحيحين أو أحدهما، وأُشير إلى الباقي في الحاشية؛ طلبًا للاختصار؛ إذ المقصود هو بيان وجه الدلالة من لفظ الحديث، إلاَّ إن اقتضت الحاجة إلى الاستدلال بحرفٍ أو أحرف من لفظٍ خارجهما فإني أعزوه إلى مصادره بما يفي المقصود من البحث.
- رغبةً في استيعاب أدلة المسألة على وجه العموم رأيتُ أن أستفتحَ هذه الأدلة بما يُمكن أن يُستدلَّ به من نصوص الكتاب العزيز في مبحثٍ مُستقلٍّ، مبيِّنًا أوجه دلالتها من خلال عبارات المفسرين وأقوال أهل العلم حولها، وأن أختمها بالآثار المروية عن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في المسألة.
- أراعي في كتابة الآيات القرآنية الرسمَ العثماني، ومن ثَمَّ أعزو الآية في الحاشية إلى مواضعها بذكر اسم السورة ورقم الآية.
- أعزو الأحاديث والآثار إلى مصادرها المسندة وفق الخطوات الآتية:
- إن كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بعزوه إليهما، إلا إن دعت الحاجة إلى الاستدلال بحرفٍ أو أحرف من لفظه في مصدرٍ أو مصادر خارجهما فإني أعزوه إلى مصادره بما يفي المقصود من البحث.

- أُقدِّمُ في عزو الأحاديث الكُتُبَ الستَّةَ وفق ترتيبها المشهور، وما زاد عليها أُرتِّبُه على وفيات مؤلفيها.
- أُرتِّبُ في الحاشية بيانات العزو على النحو الآتي: اسم المصدر، ثم رقم الجزء والصفحة، ثم رقم الحديث إن وُجِد.
- أشرح غريب المتن من كتب غريب الحديث والأثر، وربما من غيرها إن استلزم المقام ذلك، مع الإشارة إلى المصدر في الحاشية.
- أوثِّقُ النقول الواردة في البحث من مصادرها الأصيلة قدر الإمكان، مقتصرًا في ذلك على مصدرٍ أو مصدرين.
- أُبيِّنُ ما يلزم بيانه من مفردات عنوان البحث من المصنَّفات المعنية بذلك، ككتب الغريب، أو كتب المصطلحات الفقهية، أو كتب اللغة، أو غيرها من المصادر.
- أبيِّنُ ما يلزم بيان حاله من الرواة جرحًا وتعديلاً، مع الإحالة إلى مصدرٍ أو مصدرين.
- أُترجِمُ لمن يغلب على ظني من الأعلام أنه ليس معروفًا عند أول ذكْرٍ لهم بعبارة مختصرة، مع الإحالة إلى مصدرٍ أو مصدرين.
- أُعرِّفُ بما يلزم التعريف به من الأماكن والبقاع.
- ألتزمُ بعلامات الترقيم، وضبط ما يحتاج إلى ضبط.
- أُذيِّلُ البحث بالفهارس العلميَّة على النحو المبيَّن في خطة البحث آنفًا.

هذا؛ وأسأل الله تعالى أن ينفع به، وأن يجعله خالصًا لوجهه الكريم، وأن يجد فيه طالب الحقِّ بُغيته، إنه سبحانه الوليُّ على ذلك والقادرُ عليه.

وصلى الله وسلَّم على عبده ورسوله نبينا محمدٍ، وعلى آله وصحبه أجمعين.

التمهيد

المطلب الأوَّل: فضل صلاة الجماعة في المسجد، وعظم شأنها في الإسلام:

لا شك أنَّ صلاة الجماعةِ مشروعةٌ بإجماعِ المسلمين، ولم يُخالفْ فيها إلاَّ الرَّافضةُ الذين قالوا: إنَّه لا جماعةَ إلا خَلْفَ إمامٍ مَعصومٍ؛ ولهذا لا يُصلُّون جُمُعةً ولا جماعةً.

قال فيهم شيخُ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إنهم هجروا المساجدَ، وعَمَرُوا المشاهدَ»[1].

أي: القبورَ، فهم يتردَّدُون إليها للتوسُّل بها ودعائها.

وأداءُ الجماعة في المساجد مِن أعظم شعائر الله وأعلام دينه الظاهرة؛ ذلك أنَّه جلَّ وعلا قد شرع أن تُرفع هذه البيوت ويُذكر فيها اسمه، كما في قوله سبحانه: ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴾[2]

فهي من أفضلِ العبادات، وأجَلِّ الطَّاعات؛ لما فيها من عظيم البركة، وجزيل الثواب، ومضاعفة الأجور، ورفع الدرجات، وحطِّ السيئات، ولما فيها من مصالح ومنافع وحِكَمٍ عظيمة في الدنيا والآخرة، من أبرزها:

- إظهار شعيرة من شعائر الإسلام، ذلك أنَّ الناس لو أدوها فرادى أو جماعاتٍ في البيوت ونحوها لخفيت هذه الشعيرة العظيمة، فاجتماع المسلمين لأدائها في موضع واحدٍ في اليوم خمس مرات يُظهر هذه الشعيرة، ويُعلي من شأنها في القلوب.
- إظهار عزِّ المسلمين، ووحدة صفِّهم وكلمتهم؛ ذلك أنَّ الأعداء إذا رأوا المسلمين يجتمعون في موضع واحدٍ لأداء فريضة واحدةٍ على هيئةٍ وصفةٍ واحدةٍ وفي وقتٍ واحدٍ تيقنوا حينئذ عزهم ووحدة صفهم.

---

(١) مجموع فتاواه (٢٨ / ٤٨٢).

(٢) سورة النور، آية (٣٦)، (٣٧)

- التوادُّ والتراحم بين الناس؛ ذلك أنَّ ملاقاة الناس بعضهم بعضًا في اليوم خمس مرات يوجب هذه المودة والتراحم فيما بينهم.
- التعارف فيما بينهم، وتعليم الجاهل، وتذكير الناسي، وتنبيه الغافل.
- ترويض الأمة على الاجتماع وعدم التفرق؛ ذلك أنَّ صلاة الناس في جماعة في المسجد خلف إمام واحد واقتدائهم به في اليوم خمس مراتٍ مدعاةٌ لاجتماع قلوبهم، ووحدة كلمتهم، وعدم تفرقهم.
- شعور المسلمين بالمساواة فيما بينهم؛ ذلك أنها تجمع الفقير والغني، والرئيس والمرؤوس، والعالم والجاهل في موضعٍ واحدٍ وصفٍّ واحد؛ لأداء شعيرة واحدة.

المطلب الثاني: توضيح مفردات عنوان البحث:

أردت من عقد هذا المطلب توضيح ما له صلةٌ من مفردات عنوان البحث بتصوُّرِ مسألة البحث، وهما لفظان: الأول: (**جماعة المسجد**)، والثاني: (**الصلوات الخمس**)؛ إذ المقصود من ذلك هو تصوير مسألة البحث؛ لئلا تشتبه على القارئ بمسألة أخرى شبيهة بها.

وما عداها من مفردات العنوان فظاهرٌ جدًّا.

اللفظ الأوَّل: (جماعة المسجد):

لفظ (**جماعة المسجد**) مُركَّبٌ إضافيٌّ من مضافٍ، وهو: (**جماعة**)، ومضافٍ إليه، وهو: (**المسجد**)، فيخرج بهذه الإضافة ما سوى جماعة المسجد، كالجماعة التي تُقام في البيت، أو في السوق، أو نحوها.

والجماعة في اللغة: كالجَمْعِ، والجَمْعُ مصدرُ (جمع، يجمع)، وهو اسمٌ لجماعة الناس[1]، وأقلُّ الجَمْع ثلاثةٌ فأكثر[2].

وفي المعنى الاصطلاحي: يُطلق لفظ الجماعة على معانٍ عدَّةٍ، والمراد به هنا: اسمٌ لعدد المكلَّفين الذين تنعقد بهم صلاة الجماعة شرعًا، وهم اثنان فأكثر؛ لحديث مالكِ بنِ الحُويرث رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

(١) انظر: لسان العرب (٣ / ١٩٦، مادة: جمع).

(٢) انظر: شرح ابن عقيل على الألفية (٤ / ١١٤)، إرشاد السالك (٢ / ١١٢٠)

في الصحيحين، أنَّ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ فَأَذِّنَا وَأَقِيمَا، ثُمَّ لِيَؤُمَّكُمَا أَكْبَرُكُمَا**»(١)، فقد ترجم عليه الإمامُ البخاريُّ: (اثنان فما فوقهما جماعةٌ).(٢)

وأمَّا المَسجِدُ - بكسر المعجمة، فعلى وزن: مَفعِل، وجمعه مسَاجِدُ.

وهو في اللُّغة: اسمٌ لمكان السجود(٣)، وقال الزَّجاج: «كلُّ موضعٍ يُتعبَّدُ فيه فهو مسجد»(٤).

وفي الاصطلاح الشرعي: هو: بيتُ الصلاة(٥).

وقيل: هو كلُّ موضعٍ من الأرض، قاله بدرُ الدين الزركشيُّ(٦)، وتبعه عليه الجُرَاعي(٧).

لكن يرد على هذا التعريف أنه عامٌّ، وهو تعريف المسجد لغةً، كما تقدَّم، وكأنَّ مستندهما هو عموم قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وجُعلت لي الأرضُ مسجدًا وطهورًا**»(٨).

---

(١) صحيح البخاري (١ / ٢٣٤ رقم ٦٢٧) وصحيح مسلم (١ / ٤٦٥ رقم ٦٧٤).

(٢) ويُستَدلُّ - أيضًا - بأحاديث أُخر.

قال الشيخ ابن عثيمين في شرحه على صحيح البخاري (٣ / ٧٧): «يُستَدلُّ بفعل النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين أقرَّ ابن عباسٍ وحذيفة وابن مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - كلُّ واحدٍ منهم في ليلةٍ - على أن يقوموا معه ليكونوا جماعةً» اهـ.

أمَّا حديث أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند ابن ماجه: «**اثنان فما فوقهما جماعة**»، فإسناده ضعيفٌ؛ من رواية الربيع بن بدر عن أبيه، وهما ضعيفان.

انظر: مصباح الزجاجة (١ / ١١٩)، إرواء الغليل (٢ / ٢٤٨)

قال الحافظُ ابنُ رجبٍ في فتح الباري (٤ / ٥٢): «لا نعلم خلافًا أنَّ الجماعة تنعقد باثنين إذا كانا من أهل التكليف».

ومراده بذلك الجماعة في الصلاة، أما في الأصل، فلا يُطلَقُ لفظ الجماعة إلا على ثلاثة فأكثر، كما تقدَّم في التعريف اللغوي.

قال الشيخ ابن عثيمين في المصدر السابق: «الجماعة في باب الصلاة تُطلق على اثنين فأكثر، وكذلك الجماعة في باب الفرائض، تُطلق على اثنين فأكثر، أمَّا في غير هذين الموضعين، فالأصل أنَّ الجماعة ثلاثةٌ فأكثر».

(٣) انظر: لسان العرب (٧ / ١٢٥، مادة: سجد).

(٤) انظر: المصدر السابق.

(٥) انظر: المصباح المنير (ص٢٢٠، مادة: سجد)، تحفة الراكع والساجد (ص٤٩).

(٦) في إعلام الساجد بأحكام المساجد (ص٢٧).

(٧) في تحفة الراكع والساجد بأحكام المساجد (ص٤٩).

وهو: القاضي، تقي الدين، أبو بكر بن زيد ين أبي بكرٍ الجُراعيُّ، الصالحيُّ، الحنبليُّ، توفي سنة ٨٨٣ هـ. انظر: المنهج الأحمد (٥/ ٢٨٢)، السحب الوابلة (١ / ٣٠٤٩)

(٨) أخرجه البخاريُّ في صحيحه (في التيمم، باب التيمم (١ / ١٢٦ برقم ٣٣٥) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما في حديثٍ طويل.

غير أنهما قد خصَّصا هذا العموم بالعُرف، قالا: «ثم إنَّ العُرف خصَّص المسجد بالمكان المهيأ للصلوات الخمس فحسب؛ لإخراج المُصلَّى الذي يُجتَمع فيه للأعياد ونحوها؛ إذ لا يأخذ حكمه، وكذا الرُّبُطُ والمدارس؛ لأنها هُيئت لغير ذلك».[١]

وكأنهما أرادا بذلك العُرف الشرعي، فإن العلماء قد أجمعوا على أنَّ البُقعة لا تُسمَّى مسجدًا حتى يَقِفَها مالكُها وقفًا صحيحًا مؤبَّدًا، لا اشتراط فيه ولا خيار.[٢]

قال البغويُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرحه على حديث الأمر ببناء المساجد في الدُّور: «وفي الحديث دليلٌ على أنَّ المكان لا يصير مسجدًا بالتسمية حتى يُسبِّله صاحبُه، ولو صار مسجدًا لزال عنه ملك المالك»[٣].

ومنه يظهر لي عدم صحَّة الاستدلال بعموم قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وجُعلت لي الأرضُ مسجدًا**..». للتعريف الاصطلاحي للمسجد؛ ذلك أنَّ الحديثَ إنما ورد لبيان أنَّ هذه الأُمَّة خُصَّت عن الأمم بأنهم يُصلُّون حيث أدركتهم الصلاة من الأرض، بخلاف الأمم السابقة فإنما أُبيحت لهم الصلوات في أماكن مخصوصة فحسب، كالبِيَعِ والصوامع ونحوها.

قال الحافظ ابن حجر في الفتح[٤]: «قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وجُعلت لي الأرض مسجدًا**..». إنما هو من مجاز التشبيه، والمعنى: أنه لما أباح الله لهذه الأُمة الصَّلاة في جميع الأرض أصبحت كالمسجد في ذلك في حقِّهم؛ ذلك أنَّ مَن كان قبلنا من الأُمم السالفة إنما أبيحت لهم الصلوات في أماكن مخصوصة، كالبِيَعِ والصوامع، يؤيده: رواية عمرو بنِ شُعيب بلفظ: « **وكان من قبلي إنما كانوا يصلُّون في كنائسهم**»[٥]، وما أخرجه البزَّارُ من حديث ابن عباسٍ نحو هذا الحديث، وفيه: «**ولم يكن من الأنبياء أحدٌ يُصلِّي حتى يبلغ محرابه**»[٦]».

وقال الشيخ ابن عثيمين: «في قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**جُعلت لي الأرضُ مسجدًا**..». بيانُ أنَّ الأرض كلها مسجد، وهو من خصائص هذه الأمة، بخلاف غيرها فإنها لا تُصلِّي إلاَّ في الكنائس والصوامع

(١) انظر: المصدرين السابقين.

(٢) انظر: المغني لابن قدامة (٨ / ١٩٠).

(٣) شرح السنَّة (٢ / ٤٠٠).

(٤) في فتح الباري (١ / ٤٣٧).

(٥) حرف من لفظ حديثٍ طويلٍ في مسند أحمد (١١ / ٦٣٩ برقم ٧٠٦٨).

(٦) حرف من لفظ حديثٍ طويلٍ في مسند البزار (٢ / ١٦٦ برقم ٤٧٧٦).

والبِيَع، لكن هذه الأمة جُعِلَتْ لها الأرض كلها مسجدًا، فليس المقصود أنَّ الجماعة تصحُّ في كلِّ مكان، بل: بيان أنَّ الصلاة تصحُّ في كلِّ مكان، وهذا لا نزاع فيه» ا هـ كلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1].

اللفظ الثاني: (الصلوات الخمس):

الصلوات: جَمْعُ صلاة.

وهي في اللُّغة: الدُّعاء والاستغفار.[2]

وفي الاصطلاح الشرعي: هي عبارة عن أركانٍ مخصوصةٍ، وأذكارٍ معلومةٍ، بشرائط محصورةٍ، في أوقاتٍ مُقدَّرة.[3]

وقيل: هي أقوالٌ وأفعالٌ معلومةٌ، تفتتح بالتكبير، وتُختم بالتسليم.[4]

والصلوات الخمس هي: الصلوات المفروضة التي فرضها الله تعالى على عباده في اليوم والليلة في قوله سبحانه: ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودٗا ﴾[5].

وهي: صلاة الظهر، وصلاة العصر، وصلاة المغرب، وصلاة العشاء، وصلاة الصبح.

فهذه هي الصلوات التي وقع الخلاف بين أهل العلم في مسألة شهود الجماعة لها في المسجد.

وأما ما سواها من الصلوات التي تُشرع لها الجماعة، كصلاة الجمعة، وكصلاة الاستسقاء، وصلاة الكسوف، وصلاة التراويح، فليست مُرادةً في البحث.

أمَّا صلاة الجمعة؛ فلكونها خارج الخلاف في أصل المسألة[6]، وأما بقية الصلوات فليست داخلة في هذا الخلاف بينهم.

---

(١) من الشرح الممتع (٤ / ٢١٠).

(٢) انظر: لسان العرب (٨ / ٢٧٥، مادة: صلا).

(٣) انظر: التعريفات للجرجاني (ص١٧٤).

(٤) انظر: الشرح الكبير للدردير (١ / ٢٣١)، مغني المحتاج (٢ / ٧٨)، كشاف القناع (١ / ٢٢١)

(٥) سورة الإسراء، آية (٧٨)

(٦) أعني: الخلاف في مسألة حكم صلاة الجماعة نفسها.

وخلاصة القول في هذا المطلب: أنَّ مسألة البحث هي: (**سوق الأحاديث الدَّالة على وجوب شهود جماعة المسجد للصلوات الخمس في حقِّ الرَّجُلِ المكلَّفِ الذي يسمع النِّداء، وليس معذورًا بعذرٍ شرعيٍّ**)، خلافًا لمن قال من أهل العلم بأنَّ شهود هذه الجماعة في المسجد في حقِّه سنَّة، فله أن يُقيم هذه الجماعة في البيت ونحوه مع ابنٍ أو زوجةٍ أو خادمٍ أو نحوهم، كما سيأتي من عباراتهم في المطلب القادم.

فيخرج بذلك: حكم صلاة الجماعة نفسها؛ إذ ليس المراد من سوق هذه الأدلة هو الاستدلال بها لبيان وجوب صلاة الجماعة نفسها؛ ذلك أنَّ هذه المسألة قد نوقشت من قبل أهل العلم قديمًا وحديثًا في مصنفاتٍ وبحوثٍ عدة.

ويخرج - أيضًا: ما عدا الصلوات الخمس مما يُشرع لها الجماعة، كما تقدم بيانه آنفًا.

المطلب الثالث: حكاية الخلاف بين أهل العلم في مسألة البحث:

تقدم آنفًا في المطلب السالف أنَّ مسألة البحث هي سوق الأحاديث الدَّالة على وجوب شهود جماعة المسجد للصلوات الخمس في حقِّ الرَّجُلِ المكلَّف الذي يسمع النداء، وليس معذورًا بعذرٍ شرعيٍّ، خلافًا لمن قال من أهل العلم بأنَّ شهود هذه الجماعة في المسجد سنَّة، فله أن يُقيمها في البيت ونحوه.

فخرج بذلك حكم صلاة الجماعة نفسها، وكذا خرج ما عدا الصلوات الخمس مما يُشرع لها الجماعة، فإنها ليست هي موضع البحث.

ولا يخفى أنَّ أهل العلم من الأئمة الأربعة وغيرهم قد وقع بينهم الخلافُ في مسألة صلاة الجماعة نفسها.

فمنهم من قال بأنها شرطٌ لصحَّة الصلاة، لا تصحُّ إلاَّ بها، ومنهم من قال بوجوبها على الأعيان، ومنهم من قال بوجوبها على الكفاية، ومنهم من قال بأنها سنَّةٌ مؤكَّدة[1].

(١) انظر للخلاف في المسألة: بدائع الصنائع للكاساني (١ / ١٥٥)، الذخيرة للقرافي (٢ / ٢٦٥)، الحاوي الكبير للماوردي (٢ / ٣٠٢)، المغني لابن قدامة (٣ / ٤٠٦)، المحلَّى لابن حزم (٤ / ١٨٨)

ولستُ هنا بصدد حكاية هذا الخلاف؛ ذلك أنَّ المقام بحكايته يطول، ولاسيما أنَّ المسألة قد نوقشت من قبل أهل العلم قديمًا وحديثًا في مصنفاتٍ وبحوثٍ عدَّة.

وإنما أردت الإشارة إلى أنَّ الكلام في مسألة البحث مبنيٌّ على قول من قال منهم بوجوبها على الأعيان، أو على الكفاية، أو بأنها شرطٌ لصحَّة الصلاة[1]، فإنهم قد اختلفوا فيما بينهم، هل تتعيَّنُ جماعة المسجد، أم له أن يُقيمها في بيته ونحوه، على أقوال.

حكى الخلاف بينهم العلاَّمة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الفصل الذي عقده للمسألة في كتابه الصلاة[2]، وأسوق لك نصَّ عبارته؛ كونها تفي بالمقصود.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الكتاب المذكور: «**وأما المسألة الثامنة، فهي: هل له فعلها في بيته، أم يتعيَّنُ المسجد؟** فهذه المسالة فيها قولان للعلماء، وهما روايتان عن الإمام أحمد[3]، أحدهما: له فعلها في بيته، وبذلك قالت الحنفية[4]، والمالكية[5]، وهو أحد الوجهين عن الشافعية[6]، والثاني: ليس له فعلها إلاَّ من عذرٍ، وفي المسألة قولٌ ثالثٌ: إنَّ فعلها في المسجد فرض كفاية، وهو الوجه الثاني لأصحاب الشافعي[7]» ا هـ المقصود من عبارته رحمه الله[8].

(١) ووجوبها على الأعيان هو الرَّاجح من أقوال أهل العلم في المسألة؛ إذ هو الذي تقتضيه نصوص الكتاب والسنة، كما سيظهر لك من أدلة مسألة البحث.

(٢) تقدَّمت الإشارة إلى ذلك في المقدِّمة.

(٣) انظر: المغني لابن قدامة (١ / ٣٣٠)، المحرر لمجد الدين وحاشيته النكت السنية لابن مفلح (١ / ١٥٧)، الفروع لابن مفلح (١/ ٢٩٦).

(٤) انظر: بدائع الصنائع للكاساني (١ / ١٥٥).

(٥) انظر: الذخيرة للقرافي (٢ / ٢٦٥)، حاشية الدسوقي على الشرح الكبير (١ / ٥٠٩).

(٦) انظر: مختصر المزني وشرحه الحاوي الكبير (٢ / ٣٠٢)، مغني المحتاج (١ / ٢٣٠).

(٧) انظر: البيان شرح المهذب (٢ / ٣٦١).

(٨) انظر: الصلاة وحكم تاركها (ص ١١٩).

المبحث الأوَّل

الأدلة من الكتاب على وجوب شهود جماعة المسجد للصلوات الخمس

الدليل الأول:

قول الله تعالى: ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴾(١).

والاستدلال بالآية من وجهين:

الأول: أنَّ المراد بالبيوت في الآية هي المساجد(٢)، والمراد بالتسبيح في قوله: ﴿يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴾ هو الصلاة المفروضة، فيما نص عليه جمهور المفسرين(٣)، والضمير في قوله: ﴿ فِيهَا ﴾راجعٌ إلى المساجد المعبَّرُ عنها بالبيوت(٤)، والمراد بالغدو: صلاة الصبح، وبالآصال: صلاة العصر، فيما نصَّ عليه ابنُ عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وغيره من أهل التفسير.(٥)

فدلَّت الآية على أنَّ هؤلاء الرِّجال إنما يُؤدُّون صلاتهم المفروضة في المساجد، واقتضى ذلك أنَّ تكون المساجد محلاً لإقامة الجماعة لهذه الصلوات؛ إذ المشروع أن تؤدَّى هذه الصلوات جماعةً، كما هو معلوم.

يؤكِّد هذا المعنى وَصْفُهُ سبحانه هؤلاء الرجال على سبيل مدحهم والثناء عليهم بقوله: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴾(٦)،

---

(١) سورة النور، آية (٣٦)، (٣٧)

(٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (٨ / ٢٦٠٤)، جامع البيان لابن جرير (٩ / ٣٢٩)

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٢ / ٢٦٤).

(٤) انظر: أضواء البيان للشنقيطي (٦ / ٢٥٣).

(٥) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (٨ / ٢٦٠٦)، جامع البيان (٩ / ٣٣١)
وإنما خصَّ سبحانه هاتين الصلاتين؛ كونهما أوَّل ما افترض على عباده من الصلاة، فأَحَبَّ أن يذكرهما، ويُذكِّر بهما عباده، قاله ابنُ عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، كما في المصدرين السابقين.
وقيل: إنما خصَّهما كونهما أفضل الصلوات الخمس. انظر: تفسير سورة النور لابن عثيمين (ص ٢٥٥).

(٦) تقدَّم آنفًا عزوها.

وما رتَّبه لهم من الثواب بقوله: ﴿لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾[1].

فلو كانت صلاة الجماعة في المساجد غير مُرَادَةٍ للشارع لما كان لهذا الوصف الذي وَصَفَ به هؤلاء الرجال معنىً؛ إذ غيرهم الذين يقيمون الجماعة في البيوت ونحوها قد وقع منهم هذا التسبيح بالغدو والآصال.

فلما وصف هؤلاء الرجال بهذا الوصف، وأطلقَ في حقهم هذا الثناء، ورتَّب لهم هذا الجزاء دلَّ على أنَّ شهود الجماعة لهذه الصلوات في المساجد أمرٌ مقصودٌ للشارع الحكيم.

قال العلامة ابن سَعدي ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولهذا شُرِعَت الصلوات الخمس، والجمعة في المساجد وجوبًا عند أكثر العلماء»[2].

وقال شيخنا العلاَّمة صالح الفوزان: «في الآية تنويهٌ بالمساجد وعُمَّارِها؛ إذ وعدهم بجزيل الثواب، وفي ضمن ذلك ذمٌّ من تخلَّف عن الحضور للصلاة فيها»[3].

الوجه الثاني: أنَّ الله تعالى أمر برفعِ بيوته، وذِكْرِ اسمه فيها، ومن أعظم ذلك إقام الصلوات الخمس فيها، وما ذاك إلاَّ لحِكَمٍ ومقاصد عظيمة أرادها، فأداء هذه الصلوات المفروضة في البيوت جماعةً أو فرادى تعطيلٌ لحكمته سبحانه، وإخلاءٌ للمساجد من هذا المقصود الذي أراده الشارع.

قال شيخنا العلاَّمة صالح الفوزان: «مكانُ صلاة الجماعة هو المساجد؛ لإظهار شعار الإسلام، وما شُرعت عِمَارةُ المساجد إلاَّ لذلك، وفي إقامة الجماعة في غيرها تعطيلٌ لها»[4].

الدليل الثاني:

قول الله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾[5].

والشاهدُ قوله سبحانه: ﴿وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾، فهو أمرٌ منه جلَّ وعلا بأداء الصلاة المفروضة مع

---

(١) سورة النور، آية (٣٨)

(٢) تيسير الكريم الرحمن (٢ / ١٦٢).

(٣) الملخص الفقهي (١ / ١٣٥).

(٤) المصدر السابق.

(٥) سورة البقرة، آية (٤٣)

جماعة المصلِّين؛ إذ المعيَّة تُفيد ذلك، والأمر يقتضي الوجوب، وليس ثمَّ مكان لهذه الجماعة سوى المسجد، فيما دلَّت عليه الآية السابقة، وما سيأتي ـ أيضًا ـ من دلالة نصوص السنَّة المتضافرة؛ إذ السُّنة تُفسِّرُ القرآن وتبيِّنه، فدلَّ ذلك على وجوب شهود جماعة المسجد للصلوات الخمس.

قال العلاَّمةُ ابنُ القيِّم: «وجه الاستدلال بالآية: أنه سبحانه أمرهم بالركوع ـ وهو: الصلاة ـ مع الراكعين، ولا يحصل هذا إلا بفعلها مع جماعة المصلين، فالمعيَّة تُفِيدُ ذلك، والأَمْرُ المُقَيَّدُ بصفةٍ أو حالٍ لا يكون المأمورُ ممتثلاً إلا بالإتيان به على تلك الصفة والحال»[(١)].

وقال القرطبيُّ في تفسيره: «قوله: «مع» يقتضي المعيَّة والجمعيَّة»[(٢)].

وقال الكاساني: «أَمَرَ الله تعالى بالركوع مع الراكعين وذلك يكون في حال المشاركة في الركوع فكان أَمْرًا بإقامة الصَّلاة بالجماعة، ومُطْلَقُ الأَمْرِ لوُجُوبِ العَمَلِ»[(٣)].

وقال الشوكاني: «قوله: ﴿وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ فيه الإرشاد إلى شهود الجماعة، والخروج إلى المسجد»[(٤)].

(١) الصلاة وحكم تاركها (ص ٩٩) بتصرف يسير.

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١ / ٣٤٨).

(٣) بدائع الصنائع (١ / ١٥٥).

(٤) فتح القدير (١ / ١٠٠).

المبحث الثَّاني
الأحاديثُ والآثار الدَّالةُ على وجوب
شهود جماعة المسجد للصلوات الخمس

الدليل الأوَّل:

حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند مسلم، ولفظه: قال: «**أتى النبيَّ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **رجلٌ أعمى**[1]، **فقال: يا رسول الله! إنه ليس لي قائدٌ يقودني إلى المسجد، فَسَأَلَ رَسُولَ الله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **أن يُرَخِّصَ له**[2]، **فَرخَّصَ له، فلما وَلَّى دَعَاهُ، قال: «هَلْ تَسْمَعُ النِّدَاءَ بِالصَّلاَةِ؟» قال: نعم، قال: «فَأَجِبْ»**[3].

ولفظه عند أبي داود وابن ماجه من حديث ابن أُمِّ مكتوم: «**لاَ أَجِدُ لَكَ رُخْصَةً**»[4].

وفي لفظٍ عند أبي داود ـ أيضًا: «إنَّ المدينة كثيرة الهوامِّ والسِّبَاعِ، فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَتَسْمَعُ حَيَّ على الصَّلاة، حَيَّ على الفلاح؟ فَحَيَّ هَلاَ**[5]»»[6].

وفي لفظٍ عند أحمد: «إنَّ بيني وبين المسجد نخلاً وشجرًا، ولا أَقدِرُ على قائدٍ كُلَّ ساعةٍ، أَيَسَعُنِي أَنْ أُصَلِّيَ في بيتي؟ قال: «**أَتَسْمَعُ الإِقَامَةَ؟**»، قال: نعم، قال: «**فَأْتِهَا**»[7].

---

(١) هو: ابنُ أمِّ مكتوم.

(٢) أي: أن يُصلِّيَ المفروضة في بيته.

(٣) الصحيح (١ / ٤٥٢ برقم ٦٥٣).

(٤) سنن أبي داود (١ / ٢٠٦ رقم ٥٥٢)، وسنن ابن ماجه (١ / ٢٦٠ برقم ٧٩٢) من طريق أبي رزين، عن ابنِ أُمِّ مكتومٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصحَّحه الشيخ الألباني في صحيح أبي داود (٣ / ٧١).

(٥) «حيَّ هَلَا» كلمتان جُعلتا كلمة واحدة، والمعنى: هَلُمَّ إلى الصَّلاة وأَقبِلْ مُسرِعًا.
انظر: النهاية (١ / ١١٠٦، مادة: حيا).

(٦) المصدر السابق، حديث رقم (٥٥٣) من طريق عبد الرحمن بنِ أبي ليلى، عن ابنِ أُمِّ مكتوم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصحَّحه الشيخ الألباني في المصدر السابق.

(٧) المسند (٢٤ / ٢٤٥ رقم ١٥٤٩١) من طريق عبد الله بن شدَّاد بن الهاد، عن ابنِ أُمِّ مكتومٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ورجالُ إسناده ثقات.
وفي الباب: حديثُ جابر بن عبد الله نحو حديث ابنِ أُمِّ مكتوم، وفيه: «**فَأْتِهَا وَلَوْ حَبْوًا**»،
أخرجه أبو يعلى في مسنده (٣ / ٣٣٧ رقم ١٨٠٣) وابنُ حبان في صحيحه، بترتيب ابن بلبان (٥ / ٤١٢ رقم ٢٠٦٣)، غير أنَّ فيه عيسى بن جارية، وهو منكرُ الحديث، كما في الضعفاء للعقيلي (٧ / ٣٤)، وقد تفرَّد به من حديث جابر.
وفي الباب أيضًا: حديث أبي أمامة نحوه أيضًا عند الطبرانيِّ في الكبير (٨ / ٢٦٦ برقم ٧٨٨٦)، ولا يصحُّ؛ تفرَّد به عليُّ بنُ يزيد =

والاستدلال به لوجوب شهود جماعة المسجد للصلوات الخمس من أوجُه:

الأوَّل: أنَّ السائل طلب من النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يُرخِّص له في ترك جماعة المسجد؛ فاقتضى ذلك وجوب شهود هذه الجماعة؛ إذ الرُّخصة لا تكون إلاَّ عن أمرٍ واجب.

قال ابنُ حبَّان: «في سؤال ابنِ أُمِّ مكتوم النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يُرخِّص له في ترك إتيان الجماعات، أعظم الدليل على أن هذا أمرٌ حتمٌ، لا ندب؛ إذ لو كان إتيان الجماعات على من يسمع النداء لها غير فرض لأخبره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالرُّخصة فيه؛ لأن هذا جوابٌ خرج على سؤالٍ بعينه، ومحال أن لا يوجد لغير الفريضة رُخصة»[(١)].

وكذا قال شيخنا العلامة صالح بن فوزان ـ حفظه الله: «إنَّ ابن أُمِّ مكتومٍ طلب من النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يُرخِّصَ له، والرُّخصة لا تكون إلاَّ من شيءٍ واجبٍ"[(٢)].

الوجه الثاني: أنَّ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمر السائل بشهود جماعة المسجد بقوله: «**أَجِبْ**»، وبقوله: « **فَحَيَّ هَلاَ**»، وبقوله: « **فَأْتِهَا**»، وفي اللفظ الآخر: «**وَلَوْ حَبْوًا**»، والأمر يفيد الوجوب، ما لم يصرفه صارفٌ كما هو معلومٌ من قواعد الشريعة، فدلَّ ذلك على وجوب شهود جماعة المسجد.

قال ابنُ حبَّان: «في قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فَأْتِهَا**..». أعظم الدليل على أنَّ هذا أمرٌ حتمٌ، لا ندب»[(٣)].

وقال ابن القيم: «لم يجعله مُجِيبًا له بصلاته في بيته إذا سمع النداء؛ فدلَّ على أنَّ الإجابة المأمور بها هي إتيانُ المسجد للجماعة... إلى أن قال: و«**حَيَّ هَلاَ**»: اسم فعل أَمْرٍ معناه: أَقْبِلْ، وَأَجِبْ.

قال: وهذا هو الذي فَهِمَهُ أعلمُ الأُمَّةِ وأفقهُهم، وهم الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ...، إلى أن قال: فهذا وغيره يدلُّ على أنَّ الإجابة عند الصحابة هي حضور الجماعة»[(٤)].

= الألهاني عن القاسم أبي عبد الرحمن، عن أبي أمامة، وعليُّ بن يزيد والقاسم ضعيفان، وقد أعلَّه بهما الهيثمي في مجمع الزوائد (٢ ٤٣)

(١) الصحيح (٥ / ٤١٢).

(٢) شرحه على بلوغ المرام (٢ / ٤١٤).

(٣) الصحيح (٥ / ٤١٢).

(٤) الصلاة وحكم تاركها (ص ٩٩).

الوجه الثالث: لو كانت جماعة البيت ونحوه قائمة مقام جماعة المسجد لكان أولى بها هذا الصحابيُّ الجليلُ الذي اجتمعت في حقِّه هذه الأعذار، فلما لم يعذره الشارع، وألزمه بشهود جماعة المسجد عُلِمَ أنَّ وجوبها على غيره من باب أولى.

قال ابنُ المنذر بعد أن ترجم للحديث: (باب ذِكْرِ إيجاب حضور الجماعة على العميان وإن بَعُدَتْ منازلهم)، قال: «فإذا كان الأعمى لا رُخْصَةَ له، فالبصيرُ أولى بأن لا تكون له رُخْصَةٌ»[1].

وقال الخطَّابي: «وفي هذا دليل على أن حضور الجماعة واجب، ولو كان ذلك ندبًا لكان أولى من يسعه التخلف عنها أهل الضرر والضعف، ومن كان في مثل حال ابن أُمِّ مكتوم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ"[2].

وكذا قال العلامة ابن باز ـ رَحِمَهُ اللَّهُ: «إذا كان الأعمى البعيدُ الدار الذي ليس له قائدٌ يُلائمه يُقَالُ له: «**لاَ أَجِدُ لَكَ رُخْصَةً**»، ويُقَالُ له: «**أَجِبْ**»، فكيف بحال الأصحَّاء المُبصِرين الذين يسمعون النداء»[3].

وقال في موضع آخر: «وفي الباب أحاديث أخرى كلها تدلُّ على وجوب صلاة الجماعة في المساجد، وأنه لا يجوز أداؤها في البيوت ونحوها، مع قُرْبِ المساجد، وسماع النداء»[4].

وكذا قال شيخنا العلاَّمة صالح الفوزان: «الرأيُ الصحيحُ: أنَّها تجبُ في المسجد؛ لقوله: «**لاَ صَلاَةَ لجَارِ المسجِدِ إلاَّ في المَسجِدِ**»، وحديث الأعمى الذي قال له الرسولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « **هَلْ تَسمَعُ النِّدَاء؟**» **قال: نعم، قال: «فَأَجِبْ؛ فَإِنِّي لاَ أَجِدُ لَكَ رُخصَةً»**، فلو كانت تجوز إقامتها في البيوت لرخَّص لهذا الرَّجُلِ أن يُصلِّيَ مع مَنْ عنده جماعةً في بيته، ويحصل له أداءُ الجماعة»[5].

الدليل الثاني:

حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند الشيخين، أنَّ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إِنَّ أَثْقَلَ صَلاَةٍ عَلَى المُنَافِقِينَ صَلاَةُ العِشَاءِ وَصَلاَةُ الفَجْرِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِيهِمَا لأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا**[6]**، وَلَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ آمُرَ**

---

(١) الأوسط (٤ / ١٤٦، ١٤٨).

(٢) معالم السنن (١ / ١٣٨).

(٣) فتاواه في برنامج نور على الدرب (٢ / ٩٨٢).

(٤) المصدر السابق (ص ٣٦٠).

(٥) الإمداد شرح الزاد (١ / ٥٠٨).

(٦) تقدَّم في الدليل السابق بيان المراد بالحبو.

بِالصَّلاَةِ فَتُقَامَ، ثُمَّ آمُرَ رَجُلاً فَيُصَلِّيَ بِالنَّاسِ، ثُمَّ أَنْطَلِقَ مَعِي بِرِجَالٍ مَعَهُمْ حُزَمٌ مِنْ حَطَبٍ إِلى قَوْمٍ لاَ يَشْهَدُونَ الصَّلاَةَ؛ فَأُحَرِّقَ عَلَيْهِمْ بُيُوتَهُمْ بِالنَّارِ»، لفظُ مسلم، ولفظ البخاري: «وَالذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ آمُرَ بِحَطَبٍ فَيُحْطَبَ، ثُمَّ آمُرَ بِالصَّلاةِ فَيُؤَذَّنَ لَهَا، ثُمَّ آمُرَ رَجُلاً فَيَؤُمَّ النَّاسَ، ثُمَّ أُخَالِفَ[١] إِلى رِجَالٍ؛ فَأُحَرِّقَ عَلَيْهِمْ بُيُوتَهُمْ»[٢].

وفي لفظٍ للبخاري: «ثُمَّ أُخَالِفَ إِلى مَنَازِلِ قَوْمٍ لا يَشْهَدُونَ الصَّلاةَ؛ فَأُحَرِّقَ عَلَيْهِمْ »[٣].

وفي لفظٍ له: «ثُمَّ آخُذَ شُعَلاً مِنْ نَارٍ فَأُحَرِّقَ عَلَى مَنْ لا يَخْرُجُ إِلى الصَّلاةِ بَعْدُ»[٤].

وفي لفظٍ لأبي داود: «ثُمَّ آتي قَوْمًا يُصَلُّونَ في بُيُوتِهِمْ لَيْسَتْ بِهِمْ عِلَّةٌ[٥]؛ فَأُحَرِّقُهَا عَلَيْهِمْ »[٦].

وفي لفظٍ لأبي نُعيم: «فَأُحَرِّقَ عَلَى قَوْمٍ بُيُوْتَهُمْ؛ يَسْمَعُوْنَ النِّدَاءَ ثُمَّ لاَ يَأْتُوْنَ الصَّلاَةَ»[٧].

وفي لفظٍ لأحمد: «لَوْلا مَا في البُيُوتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالذُّرِّيَّةِ لأَقَمْتُ الصَّلاةَ ـ صَلاةَ العِشَاءِ، وَأَمَرْتُ فِتْيَانِي يُحَرِّقُونَ مَا في البُيُوتِ بِالنَّارِ»[٨].

وأخرج أبو داود والنسائيُّ نحوه مختصرًا من حديث أُبيِّ بنِ كعبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ولفظه: «صَلَّى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا صَلاةَ الصُّبْحِ، فَقَالَ: أَشَهِدَ فُلاَنٌ الصَّلاَةَ؟ قَالُوا: لاَ. قَالَ: فَفُلاَنٌ؟ قَالُوا: لاَ. قَالَ: إِنَّ هَاتَيْنِ الصَّلاَتَيْنِ مِنْ أَثْقَلِ الصَّلاَةِ عَلَى المُنَافِقِينَ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِيهِمَا لأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا[٩]»،

---

(١) قيل: المراد: آتِيهم من خِلْفِهم، وقيل: أُخَالِفُ ما أظْهَرْت من إقامة الصلاة وأرْجِع إليهم فآخُذهم على غَفْلة، وقيل: أتَخلَّفُ عن الصلاة بِمُعَاقَبَتِهم.
انظر: النهاية (٢ / ١٤٣، مادة: خلف).

(٢) صحيح البخاري (١ / ٢٣١ رقم ٦١٨)، وصحيح مسلم (١ / ٤٥١ رقم ٦٥١).

(٣) الصحيح (٢ / ٨٥٢ رقم ٢٢٨٨).

(٤) الصحيح (١ / ٢٣٤ رقم ٦٢٦).

(٥) «العِلَّةُ» ـ بكسر العين: المرض.
انظر: لسان العرب (١٠ / ٢٦١، مادة: علل).

(٦) السنن (١ / ٢٠٥ رقم ٥٤٩).

(٧) المستخرج على صحيح مسلم (٢ / ٢٤٨ رقم ١٤٥٧).

(٨) المسند (١٤ / ٣٩٨ رقم ٨٧٩٦).

(٩) «الحبْو»: أن يمشيَ على يَدَيْه ورُكْبَتَيْه أو اسْته.
انظر: النهاية (١ / ٨٨٠، مادة: حبا).

لفظُه عند النسائي، ولفظه عند أبي داود: «**وَلَوْ حَبْوًا عَلَى الرُّكَبِ**...» الحديث[1].

والاستدلال بالحديثين للمسألة من وجهين:

الأوَّل: أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد ذمَّ المنافقين؛ لأجل تخلُّفهم عن شهود جماعة المسجد في هاتين الصلاتين ـ الفجر، والعشاء؛ وهو ظاهرٌ من قوله: «**لاَ يَشْهَدُونَ الصَّلاَةَ**»، وفي لفظ: «**يَسْمَعُوْنَ النِّدَاءَ، ثُمَّ لاَ يَأْتُوْنَ الصَّلاَةَ**»، وفي لفظٍ: «**وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِيهِمَا لأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا**»، وفي لفظٍ من حديث أُبيِّ بن كعب: **فَقَالَ**: «**أَشَهِدَ فُلاَنٌ الصَّلاَةَ؟ قَالُوا: لاَ، قَالَ: فَفُلاَنٌ؟ قَالُوا: لاَ. قَالَ: إِنَّ هَاتَيْنِ الصَّلاَتَيْنِ مِنْ أَثْقَلِ الصَّلاَةِ عَلَى الْمُنَافِقِينَ**...» الحديث.

قال ابن دقيق العيد ـ رَحِمَهُ اللَّهُ: «قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: «**لأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا**»، **وقوله**: «**وَلَقَدْ هَمَمْتُ**...» إلى قوله:»... **لاَ يَشْهَدُونَ الصَّلاَةَ**» كلُّ ذلك مُشْعِرٌ بأنَّ المقصود حضورهم إلى جماعة المسجد»[2].

وكذا قال الحافظ ابن حجر: «المراد: لأتوا المحلَّ الذي تُصَلَّيَانِ فيه جماعةً، وهو المسجد» ا هـ.[3]

فلما أطلق صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذا الذمَّ في حقِّهم عُلِمَ وجوب شهود جماعة المسجد للصلوات الخمس في حقِّ من يسمع النِّداء، إلا من عذرٍ؛ إذ لو كانت الجماعة في البيت ونحوه قائمةً مقامها في المسجد لاستعلم عن حال هؤلاء هل أدوها جماعةً في البيوت أم لا؛ إذ جائزٌ منهم إقامة الجماعة في البيوت.

---

(١) سنن أبي داود (١ / ٢٠٧ رقم ٥٥٤) والمجتبى للنسائي (١ / ١٠٤ رقم ٨٤٣) من طريق أبي إسحاق السبيعي، عن عبد الله بن أبي بصير، عن أُبيِّ بن كعب.

وقد اختُلِفَ على أبي إسحاق في إسناده، فرُوي مرَّة عنه على هذا الوجه، ومرَّة عنه، عن عبد الله بنِ أبي بصير، عن أبيه أبي بصيرٍ، عن أُبيِّ بن كعب، ومرَّة عنه، عن أبي بصير، عن أُبيِّ بن كعب ليس فيه عبد الله بن أبي بصير، ومرَّة عنه، عن العيزار بن حُريث، عن أبي بصير، عن أُبيِّ بن كعب.

وقد سئل أبو حاتم عن هذا الاختلاف، فقال: «كان أبو إسحاق واسع الحديث، يحتمل أن يكون سمِع من أبي بصِيرٍ، وسمع من ابن أبي بصِيرٍ، عن أبِي بصِيرٍ، وسمع من العيزار، عن أبي بصير».

انظر: علل ابن أبي حاتم (مسألة ٢٧٧).

وفي الباب ـ أيضًا ـ أحاديثُ أُخر، منها: حديث عائشة عند ابنِ ماجه (١ / ٢٦١ برقم ٧٩٦)، وحديث أنس عند أحمد (٢٠ / ١٣ برقم ١٢٥٣٣)، وحديث ابن عمر عند ابن شاهين في فضائل الأعمال (١ / ٤٥ برقم ٤٠) بلفظ: «**لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي صَلاَةِ العِشَاءِ وَصَلاَةِ الفَجْرِ لأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا**»، لفظُ حديث عائشة، والباقي نحوه، ولا تخلوا من مقال.

(٢) إحكام الأحكام (١ / ١٦٣).

(٣) فتح الباري (٢ / ١٨٤).

الوجه الثاني: أنَّه صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ هَمَّ بتحريق بيوتهم؛ لأجل تخلُّفهم عن شهود جماعة المسجد لهاتين الصلاتين، قال: «**ثُمَّ أَنْطَلِقَ مَعِي بِرِجَالٍ مَعَهُمْ حُزَمٌ مِنْ حَطَبٍ إِلى قَوْمٍ لاَ يَشْهَدُونَ الصَّلاَةَ؛ فَأُحَرِّقَ عَلَيْهِمْ بُيُوتَهُمْ بِالنَّارِ**»، وفي لفظ: «**ثُمَّ أُخَالِفَ إِلى مَنَازِلِ قَوْمٍ لا يَشْهَدُونَ الصَّلاةَ؛ فَأُحَرِّقَ عَلَيْهِمْ**»، وفي لفظ: «**فَأُحَرِّقَ عَلَىَ قَوْمٍ بُيُوْتَهُمْ؛ يَسْمَعُوْنَ النِّدَاءَ ثُمَّ لاَ يَأْتُوْنَ الصَّلاَةَ**»، وفي لفظ: «**فَأُحَرِّقَ عَلَى مَنْ لا يَخْرُجُ إِلى الصَّلاةِ بَعْدُ**»، ولفظه عند أبي داود: «**يُصَلُّونَ فِي بُيُوتِهِمْ لَيْسَتْ بِهِمْ عِلَّةٌ**»، فاقتضى هذا الهمُّ منه أن يكون تخلُّفهم عن أمرٍ واجبٍ؛ إذ لو كان شهود جماعة المسجد مستحبًّا لما همَّ بهذا الهمِّ، ووقع في قلبه هذا العزم، فلما لم يستعلم عن حالهم هل أدوهما جماعةً في منازلهم أم لا دلَّ ذلك على وجوب شهود الجماعة للصلوات المفروضة في المساجد.

قال الكاساني رَحِمَهُٱللَّهُ: «وَمِثْلُ هذا الوعيد لاَ يَلْحَقُ إلا بترك الواجب»[(١)].

وقال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُٱللَّهُ: «بَيَّنَ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أنه هَمَّ بتحريق البيوت على من لم يشهد الصلاة، وبَيَّنَ أنه إنما منعه من ذلك مَنْ فيها من النساء والذرية، فإنهم لا يجب عليهم شهود الصلاة»[(٢)].

قال العلامة ابن باز رَحِمَهُٱللَّهُ: «وهذا يدلُّ على أنَّ تخلُّفهم هو الممنوع، وأنه لولا ما في البيوت من النساء والأطفال لحرَّق عليهم بيوتهم بسبب تخلُّفهم»[(٣)].

وهذا هو الذي فهمه الإمامُ البخاريُّ رَحِمَهُٱللَّهُ من الحديث، فقد ترجم عليه: (باب وجوب صلاة الجماعة)، ويريد وجوبها في المسجد؛ إذ ساق في الترجمة أَثَرَ الحسن البصري: «**إِنْ مَنَعَتْهُ أُمُّهُ عَنِ العِشَاءِ فِي الجَمَاعَةِ شَفَقَةً فَلاَ يُطِعْهَا**»[(٤)].

قال الحافظُ ابنُ حجر ـ رَحِمَهُٱللَّهُ: «يُشعِرُ بكونه يُرِيدُ أنه وجوب عَيْنٍ؛ لما عُرِفَ من عادته أنه يستعمل الآثار في التراجم لتوضيحها، وتكميلها، وتعيين أحد الاحتمالات في حديث الباب»[(٥)].

---

(١) بدائع الصنائع (١ / ١٥٥).

(٢) الفتاوى الكبرى (٢ / ٢٧٢).

(٣) فتاواه في برنامج نور على الدرب (٢ / ٩٨٥).

(٤) أخرجه المروزي في الصيام، كما في تغليق التعليق (٢ / ٢٧٥)، ولفظه: أنه سُئِلَ عنِ الرَّجُلِ تنهاهُ أُمُّهُ أَن يُصَلِّي العشَاء في جمَاعَة؟ قَالَ: «**لَيْسَ ذَلِك لَهَا؛ هَذِه فَرِيضَة**».

(٥) فتح الباري (٢ / ١٦٤).

وقال ابنُ تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الذي ينبغي له أن لا يترك حضور الجماعة في المسجد إلا لعذر،كما دلت على ذلك السُّنن والآثار»[١].

وقال في موضعٍ آخر: «ولو لم يُمْكِنْهُ إلا بِمَشْيِهِ في مُلْكِ غير، وإن كان بطريقه مُنْكَرٌ، كغناءٍ لم يَدَعِ المسجد، ويُنْكِرْهُ»[٢].

وقال العلامة ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «تَأَمَّلوا قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لاَ يَشْهَدُوْنَ الصَّلاَةَ**»: أي لا يحضرونها في المساجد، ولم يقل: لا يصلون جماعةً، ومعلومٌ أنه لو أراد فِعْلَهَا جماعةً في أيِّ مكانٍ ـ ولو في البيت ـ لأَوْضَحَ ذلك، فهو عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أفصحُ الناس، وأنصحُهم، وأكملُهم بلاغةً، وأحرصُهم على كل ما ينفع الأُمَّةِ، ويُسَهِّلُ عليها، فلو كان تخلُّف الناس عن المساجد اكتفاءً بإقامة الصلاة في البيوت جماعةً جائزًا لَبَيَّنَهُ وَأَوْضَحَهُ، بل: الذي ثبت عنه هو التحذيرُ من ذلك، والوعيدُ عليه»[٣] .

وقال في موضعٍ آخر: «هذه الأحاديث وما جاء في معناها تدلُّ على وجوب الصلاة في الجماعة في المساجد في حقِّ الرجال، ولو كانت الصلاة في الجماعة في المساجد غير واجبة لم يستحقَّ تاركها العقوبة؛ ولأنَّ الصلاة في المساجد من أعظم شعائر الإسلام الظاهرة»[٤].

وقال العلاَّمة ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تعليقه على هذا الحديث: «هؤلاء القوم قد يكونون يصلون جماعةً في أماكنهم، لكنَّ الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أراد أن يصلوا مع الجماعة الذين نصبهم الشرع، وهم الجماعة الذين يصلون في المساجد"[٥].

وقال في موضعٍ آخر: «وهذا دليلٌ على أنَّ صلاة الجماعة لا بدَّ أن تكون في المساجد، فلا يجوز للإنسان أن يتخلَّف عنها، حتى لو صلَّى جماعةً»[٦].

---

(١) مجموع فتاواه (٢٣ / ٢٥٥).

(٢) انظر: الفروع لابن مفلح (١ / ٥١٦).

(٣) مجموع فتاواه، جمع د. الطيار (٤ / ٣٦٠).

(٤) المصدر السابق (ص ٣٥٣).

(٥) مجموع فتاواه (١٥ / ١٩).

(٦) يعني: في بيته.
انظر: شرحه على مشكاة المصابيح (٢ / ٢٤٥).

وقال ـ أيضًا «فَعُلِمَ بهذا أنه لا بدَّ من شهود جماعة المسلمين، وهذا هو القول الصحيح: أنه يجب أن تكون في المسجد، وأنه لو أُقِيمَتْ في غير المسجد فإنه لا يحصل بإقامتها سقوط الإثم، بل هم آثمون»[١].

وقال: «ولو قُلنا: إنه لا بأس به ـ أي: أن يُصلُّوا جماعةً في بيوتهم، فكلُّ إنسانٍ يُصلِّي هو وابنه، أو هو وامرأته، ويقول: المقصود الجماعة، وقد حصلت ـ لتعطَّلت المساجد، فهذا قولٌ ضعيفٌ مرجوحٌ، فلا يجوز أن يُصلِّي إلاَّ في المسجد، إلاَّ لعذر»[٢].

الدليل الثالث:

حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند الشيخين، أنَّ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**صَلاةُ الرَّجُلِ فِي الجَمَاعَةِ تُضَعَّفُ[٣] عَلَى صَلاتِهِ فِي بَيْتِهِ، وَفِي سُوقِهِ خَمْسًا وَعِشْرِينَ ضِعْفًا؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ إِذَا تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الوُضُوءَ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى المَسْجِدِ لا يُخْرِجُهُ إِلاَّ الصَّلاةُ، لَمْ يَخْطُ خَطْوَةً إِلاَّ رُفِعَتْ لَهُ بِهَا دَرَجَةٌ، وَحُطَّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ، فَإِذَا صَلَّى لَمْ تَزَلْ المَلائِكَةُ تُصَلِّي عَلَيْهِ مَا دَامَ فِي مُصَلاَّهُ: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَيْهِ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ، وَلا يَزَالُ أَحَدُكُمْ فِي صَلاةٍ مَا انْتَظَرَ الصَّلاةَ**»، وفي لفظٍ لهما: «**تَفْضُلُ صَلاةُ الجَمِيعِ صَلاةَ أَحَدِكُمْ وَحْدَهُ بِخَمْسٍ وَعِشْرِينَ جُزْءًا**»[٤].

وفي لفظٍ عند مسلم: «**مَنْ تَطَهَّرَ فِي بَيْتِهِ، ثُمَّ مَشَى إِلَى بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ؛ لِيَقْضِيَ فَرِيضَةً مِنْ فَرَائِضِ اللهِ كَانَتْ خَطْوَتَاهُ إِحْدَاهُمَا تَحُطُّ خَطِيئَةً وَالأُخْرَى تَرْفَعُ دَرَجَةً**»[٥].

والاستدلال به للمسألة من وجهين:

الأول: أنَّ قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ثُمَّ خَرَجَ إِلَى المَسْجِدِ**»، وفي لفظ: «**ثُمَّ أَتَى المَسْجِدَ**»، وفي لفظٍ: «**ثُمَّ مَشَى إِلَى بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ؛ لِيَقْضِيَ فَرِيضَةً مِنْ فَرَائِضِ اللهِ**» ظاهرٌ في أنَّ مراد الشارع بالجماعة المذكورة هي ما تُقام في المسجد.

---

(١) الشرح الممتع (٤ / ٢٠٩).

(٢) شرحه على مشكاة المصابيح (٢ / ٢٤٦).

(٣) أي: تزيد، يُقال: ضعَّف الشيء يضعِّف، إذا زاد.
انظر: النهاية (٣ / ٨٩، مادة: ضعف).

(٤) صحيح البخاري (١ / ٢٣٢ رقم ٦٢٠، ٦٢١) وصحيح مسلم (١ / ٤٥٨ رقم ٦٤٩).

(٥) المصدر السابق، رقم (٦٦٦).

يؤكِّده: قوله: صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «...؛ **وَذَلِكَ أَنَّهُ إِذَا تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الوُضُوءَ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى المَسْجِدِ لا يُخْرِجُهُ إِلاَّ الصَّلاةُ، لَمْ يَخْطُ خَطْوَةً إِلاَّ رُفِعَتْ لَهُ بِهَا دَرَجَةٌ، وَحُطَّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ**»؛ فهو تعليلٌ ظاهرٌ في أنَّ المراد بهذه الجماعة هي جماعة المسجد.

إذ لو كانت جماعةُ البيت ـ مثلاً ـ قائمةً مقام هذه الجماعة، مساويةً لها في هذا الثواب لأصبحت هذه العلَّة لفظًا مجردًا من المعنى، وحاشا أن يكون هو مراد الشارع الحكيم.

فعُلِمَ حينئذٍ أنَّ مقصود الشارع الحكيم هو شهود جماعة المسجد؛ كونه رتَّب هذا الثواب والفضل على إقامتها فيه.

قال شيخ الإسلام ابن دقيق العيد: «أَصْلُ المشروعية إنما كان في جماعة المسجد، وهذا وصفٌ معتبرٌ لا يتأتَّى إلغاؤه».

وقال: «فاللفظ يقتضي أنَّ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حكم بمضاعفة صلاة الرَّجُل في الجماعة على صلاته في بيته وسوقه بهذا القدر المعيَّن، وعلَّل ذلك باجتماع أمورٍ منها: الوضوء في البيت، والإحسان فيه، والمشي إلى الصلاة لرفع الدرجات، وصلاة الملائكة عليه ما دام في مُصلاَّه، وإذا علَّل هذا الحكم باجتماع هذه الأمور فلا بُدَّ أن تكون هذه الأمورُ موجودةً في محلِّ الحكم، وإذا كانت موجودةً فكلُّ ما أمكن أن يكون معتبرًا منها فالأصلُ ألاَّ يترتَّب الحكمُ بدونه، فمن صلَّى في بيته في جماعة لم يحصل في صلاته بعضُ هذا المجموع، وهو: المشي الذي به ترفع له الدرجات وتحط عنه الخطيئات؛ فمقتضى القياس ألاَّ يحصل هذا القدرُ من المضاعفة له؛ لأنَّ هذا الوصف ـ أعني: المشي إلى المسجد، مع كونه رافعًا للدرجات حاطًّا للخطيئات ـ لا يمكن إلغاؤه، وهذا مقتضى القياس في هذا اللفظ»[1].

وكذا قال ابنُ العطَّار الشافعيُّ: «ظاهر اللفظ يقتضي تَرَتُّبُ التضعيف لمن صلاَّها في المسجد؛ لأنَّ مَا رُتِّبَ على مجموعٍ لا يحصل ببعضه إلا بدليلٍ على إلغاء ذلك البعض وعدم اعتباره، فيصير وجوده كعدمه، ويبقى ما عداه مُعتبَرًا، فاللفظ يقتضي الحُكْمَ بالمضاعفة في صلاته في الجماعة بهذا الوصف»[2].

(١) إحكام الأحكام (١ / ١٥٩).

(٢) العُدَّة في شرح العمدة (١ / ٣٤٥).

وكذا قال الحافظُ ابنُ حجر: «الظاهرُ أنَّ التضعيف المذكور مختصٌّ بالجماعة في المسجد...، قال: «والذين قالوا بوجوب الجماعة على الكفاية ذهب كثيرٌ منهم إلى أنَّ الحرج لا يسقط بإقامة الجماعة في البيوت، وكذا روي عن أحمد في فرض العين، ووجَّهوه بأنَّ أصل المشروعية إنما كان في جماعة المساجد، وهو وصفٌ معتبرٌ لا ينبغي إلغاؤه؛ فيختص به المسجدُ، ويُلحق به ما في معناه مما يحصل به إظهار الشعار» اهـ كلامه[١].

قلت: وهذا هو الذي فهمه الصحابةُ الأبرارُ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، فقد صحَّ عن حُذَيْفَةَ بنِ اليَمَانِ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ «**أَنَّهُ كَانَ إِذَا فَاتَتْهُ الصَّلاَةُ فِي مَسْجِدِ قَوْمِهِ يُعَلِّقُ نَعْلَيْهِ وَيَتَّبِعُ المَسَاجِدَ؛ حَتَّى يُصَلِّيَهَا فِي جَمَاعَةٍ**»[٢].

وثبت عن أنس بن مالكٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أَنَّهُ دَخَلَ مَسْجِد بني رِفَاعَة في صَلاةِ الصُّبحِ، فَقَالَ: « **أصليتم؟ قالوا: نعم، فَأمر رجلاً فَأذَّن وَأقَام، ثمَّ صَلَّى بِأَصْحَابِهِ**»[٣].

وقد ترجم الإمامُ البخاريُّ رَحِمَهُٱللَّهُ للحديث في صحيحه: (باب فضل صلاة الجماعة) وأورد في الترجمة هذا الأثر عن أنس، وكذا أورد أثرًا عن الأسود بن يزيد النخعي: «**أنه كان إذا فاتته الجماعة ذهب إلى مسجدٍ آخر**»[٤].

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُٱللَّهُ: «قَصَدَ الإشارة بأثر الأسود وأثر أنسٍ إلى أنَّ الفضل الوارد في أحاديث الباب مقصورٌ على من جَمَّعَ في المسجد دون من جَمَّعَ في بيته مثلاً؛ لأنَّ التجميع لو لم يكن مُختصًّا بالمسجد لجمَّع الأسودُ في مكانه، ولم ينتقل إلى مسجدٍ آخر لطلب الجماعة، ولما جاء أنسٌ إلى مسجد بني رِفاعة»[٥].

الوجه الثاني: أنَّه صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قابل في الحديث صلاة الجماعة بصلاة المنفرد في بيته وفي سوقه، قال: « **صَلاةُ الرَّجُلِ فِي الجَمَاعَةِ تُضَعَّفُ عَلَى صَلاتِهِ فِي بَيْتِهِ، وَفِي سُوقِهِ خَمْسًا وَعِشْرِينَ ضِعْفًا**...» فعُلِمَ بفحوى الخطاب أنَّ محلَّ هذه الجماعة في نظر الشارع هو المسجد.

---

(١) فتح الباري (١ / ١٣٦).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنَّفه (١ / ٢٢١ رقم ٢٣١٢).

(٣) أخرجه سعيد بن منصور في سننه، كما في تغليق التعليق (٢ / ٢٧٦)، وعبد الرزاق في مصنَّفه (١ / ٥١٣ رقم ١٩٦٧)، وابن أبي شيبة في مصنَّفه (١ / ٢٢١ رقم ٢٣١٢).

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنَّفه (٢ / ٢٠٥ برقم ٦٠٤٤).

(٥) فتح الباري (٢ / ١٧١).

يؤكِّده: قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « **وَذَلِكَ أَنَّهُ إِذَا تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الوُضُوءَ، ثُمَّ خَرَجَ إِلى المَسْجِدِ لا يُخْرِجُهُ إِلاَّ الصَّلاةُ...**» الحديث.

قال ابن دقيق العيد في شرحه على الحديث: «ظاهرُ السياق أنَّ المراد تفضيل صلاة الجماعة في المسجد على صلاته في بيته وسوقه منفردًا، وكأنه خرج مخرج الغالب في أنَّ من لم يحضر الجماعة في المسجد صلَّى منفردًا»(١).

وكذا قال الكشميري: «فيه مقابلةٌ بين صلاة الجماعة والفَذِّ، لا بين جماعة المسجد وجماعة البيت، فإن الجماعةَ في نظر الشارع في المسجد دون البيوت، وحينئذٍ فالصلاةُ في البيت لا تكون إلا منفردًا، وكذلك صلاته في سوقه، فإن المساجدَ في زمن السلف لم تكن في الأسواق، ولم تكن صلواتهم فيها إلا منفردين»(٢).

الدليل الرَّابع:

حديث زيد بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند الشيخين في قصة اتخاذِ النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حُجرةً في المسجد من حصير وصلاته فيها ليالي من رمضان، وفيه: أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**فَصَلُّوا أَيُّهَا النَّاسُ في بُيُوتِكُمْ؛ فإنَّ أَفْضَلَ الصَّلاةِ صَلاةُ المَرْءِ في بَيْتِهِ، إِلاَّ المَكتُوبَةَ**»، لفظُ البخاري، ولفظُ مسلم: «**فَعَلَيكُمْ بِالصَّلاةِ في بُيُوتِكُمْ؛ فَإِنَّ خَيْرَ صَلاةِ المَرْءِ في بَيْتِهِ إِلاَّ الصَّلاةَ المَكْتُوبَةَ**»(٣).

وفي لفظٍ للدارمي: «**إِلاَّ الجَمَاعَةَ**»(٤).

ووجه الاستدلال به للمسألة: أنَّ قوله: صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « **إِلاَّ الصَّلاةَ المَكْتُوبَةَ**»، وفي اللفظ الآخر: «**إِلاَّ الجَمَاعَةَ**» استثناءٌ من التفضيل دلَّ بدلالة الإشارة على أنَّ محلَّ إقامة الجماعة للصلاة المكتوبة هو المسجد، وأنَّ البيت ليس محلاً لها؛ إذ لو كان فعلُ هذه الجماعة في البيت جائزًا لما كان لهذا الاستثناء معنىً، فلما استثناها عَلِمْنَا من فحوى الخطاب أنَّ الأصل في حقِّ هذه الجماعة أن تُقَامَ في محلِّها، وهو المسجد.

---

(١) إحكام الأحكام (١ / ١٦١).

(٢) فيض الباري (٢ / ٤١٧).

(٣) صحيح البخاري (١ / ٢٥٦ رقم ٦٩٨) وصحيح مسلم (١ / ٥٣٩ رقم ٧٨١).

(٤) السنن (١ / ٣٦٦ رقم ١٣٦٦)، وإسناده صحيح.

يؤكِّده حديث جابرٍ الآتي: «**إِذَا قَضَى أَحَدُكُمُ الصَّلاَةَ فِي مَسْجِدِهِ فَلْيَجْعَلْ لِبَيْتِهِ نَصِيبًا مِنْ صَلاَتِهِ...**».

الدليل الخامس: حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عند مُسلم، أنَّ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إِذَا قَضَى أَحَدُكُمُ الصَّلاَةَ فِي مَسْجِدِهِ فَلْيَجْعَلْ لِبَيْتِهِ نَصِيبًا مِنْ صَلاَتِهِ؛ فَإِنَّ اللهَ جَاعِلٌ فِي بَيْتِهِ مِنْ صَلاَتِهِ خَيْرًا**»(١).

ووجه الاستدلال به للمسألة: أنَّ قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِذَا قَضَى أَحَدُكُمُ الصَّلاَةَ فِي مَسْجِدِهِ**» ظاهرٌ في أنَّ المسجد هو موضع إقامة الجماعة الصلاة المفروضة؛ إذ المراد بالصلاة هنا هي الصلاة المفروضة التي تجب لها الجماعة؛ فدلَّ على وجوب إقامة الجماعة للصلوات الخمس في المساجد.

قال المناوي: «قوله: «**إِذَا قَضَى أَحَدُكُمُ الصَّلاَةَ فِي مَسْجِدِهِ**» يعني: أدَّى الفرض في محلِّ الجماعة، وقوله: «**فَلْيَجْعَلْ لِبَيْتِهِ نَصِيبًا مِنْ صَلاَتِهِ**» أي: فليجعل الفرض في المسجد والنَّفل في بيته لتعود بركته على البيت وأهله»(٢).

الدليل السَّادس:

نصوص السنَّة الدالة على جواز الجمع بين الصلاتين للمطر.

منها: حديث ابنِ عبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عند الشيخين: «**أَنَّ النبيَّ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **صَلَّى بِالمَدِينَةِ سَبْعًا وَثَمَانِيًا: الظُّهْرَ وَالعَصْرَ، وَالمَغْرِبَ وَالعِشَاءَ**»(٣).

وأخرجه مالكٍ في الموطأ(٤) ـ ومن طريقه مسلمٌ في الصحيح(٥) ـ بلفظ: «**صَلَّى رَسُولُ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **الظُّهْرَ وَالعَصْرَ جَمِيعًا، وَالمَغْرِبَ وَالْعِشَاءَ جَمِيعًا، فِي غَيْرِ خَوْفٍ وَلاَ سَفَرٍ**».

وفي لفظٍ عند مسلم: «**صَلَّى رَسُولُ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **الظُّهْرَ وَالعَصْرَ جَمِيعًا بِالمَدِينَةِ، فِي غَيْرِ خَوْفٍ وَلاَ سَفَرٍ**»(٦).

---

(١) الصحيح (١ / ٥٣٩ رقم ٧٧٨).

(٢) فيض القدير (١ / ٥٣٥) بتصرف يسير.

(٣) صحيح البخاري (١ / ٢٠١ رقم ٥١٨) وصحيح مسلم (١ / ٤٩٠ رقم ٧٠٥).

(٤) الموطأ، رواية الليثي (١ / ٢٠٧ رقم ٣٨٥).

(٥) صحيح مسلم (١ / ٤٨٩ رقم ٧٠٥).

(٦) المصدر السابق.

قال مالكٌ[1]: «أرى ذلك كان في مطرٍ».

وثبت ـ أيضًا ـ عن عددٍ من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ الجمع بين الصلاتين لأجل المطر، من ذلك: ما ثبت عن ابنِ عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بسندٍ صحيح: «**أنه كَانَ إِذَا جَمَعَ الأُمَرَاءُ بَيْنَ المَغْرِبِ وَالعِشَاءِ فِي المَطَرِ جَمَعَ مَعَهُمْ**»[2].

ووجه الاستدلال بهذه النصوص للمسألة: أنه لمَّا جاز تقديم إحدى الصلاتين عن وقتها، وهو شرطٌ لصحتها، لا تُقبَلُ إلا فيه؛ عُلِمَ أنَّ أداء الجماعة في المسجد للصلوات المفروضة واجبٌ على الأعيان.

قال مجدُ الدين ابنُ تيميَّة رَحِمَهُ اللَّهُ: «لو كان الواجبُ فِعلَ الجماعة فحسب دون الفعل في المسجد لما جاز الجمعُ لذلك؛ لأنَّ أكثر الناس قادرون على الجماعة في البيوت، فإنَّ الإنسان غالبًا لا يخلو أن تكون عنده زوجةٌ، أو ولدٌ، أو غلامٌ، أو صديقٌ، أو نحوهم فيُمكِنُه الصلاة جماعةً، ولا يجوز تركُ الشَّرط ـ وهو الوقت ـ من أجل السُّنة، فلما جاز الجمعُ عُلِمَ أنَّ الجماعة في المساجد فرض»[3].

وكذا قال ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وليس جوازُ الجمع لأجل المطر إلا محافظةً على الجماعة»[4].

الدليل السَّابع:

مواظبة النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على الجماعة في مسجده في جميع الفروض الخمس، كما دلَّت على ذلك نصوص السنَّة المتضافرة؛ إذ لو كانت جائزةً في البيت لفعلها صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في بيته، ولو مرَّةً واحدةً؛ لبيان جوازها، فلما لم يُنقل عنه شيءٌ من ذلك دلَّ على وجوب شهودها في محلِّها، وهو المسجد.

---

(١) عقب أن خرَّجه في الموطأ، وتقدَّم عزوه آنفًا.

(٢) أخرجه مالكٌ في الموطأ ـ من رواية يحيى الليثي (١ / ٢٠٨ برقم ٣٨٦) ومن رواية أبي مصعب الزهري (١ / ١٤٥ برقم ٣٦٩) ومن رواية ابن مسلمة القعنبي (ص١٨٩ برقم ٢٠٤) ومن رواية الحدثاني (ص١١١ برقم ١١٧) ـ عن نافعٍ، عن ابنِ عمر بهذا اللفظ.
وبنحو لفظ مالكٍ أخرجه ابنُ أبي شيبة في المصنَّف (٢ / ٤٤ برقم ٦٢٦٦) من طريق عبيد الله بن عمر، وبرقم (٦٢٧٠) من طريق محمد بن إسحاق، كلاهما ـ عبيد الله، وابنُ إسحاق ـ عن نافعٍ به نحوه.
وقد خالف سفيانُ بنُ بشر؛ فرواه عن مالكٍ، عن نافعٍ به مرفوعًا إلى النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بلفظ: «**أنَّ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَمَعَ بين المَغْرِبِ والعِشَاءِ فِي لَيْلَةٍ مَطِيرَةٍ**»، روايته عند ضياء الدين المقدسي في المنتقى من مسموعاته بمرو، كما في الأصل الخطي (ق٣٧ ب).
ورفعه وهمٌ، فيما نصَّ عليه الحافظُ ابنُ رجبٍ في فتح الباري (٣ / ٩٠)، والمحفوظُ عن مالكٍ روايةُ الحُفَّاظ أصحاب الموطأ عنه.
أما سفيان هذا، فهو ابنُ بشرٍ الأسديُّ، مجهولٌ، ترجمه الطحاويُّ في مغاني الأخيار، ولم يحكِ فيه جرحًا ولا تعديلا، وقد حدَّث به عنه محمدُ بنُ رزيق، وهو مجهولٌ ـ أيضًا، ترجمه الدارقطنيُّ في المؤتلف والمختلف، ولم يحكِ فيه جرحًا ولا تعديلا.

(٣) انظر: الصلاة وحكم تاركها لابن القيم (ص١٢١).

(٤) المصدر السابق.

يؤكِّدُ هذا صنيعه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في مرض موته الذي توفي فيه.

ففي الصحيحين من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «**لَمَّا مَرِضَ النبيُّ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **مَرَضَهُ الَّذِي مَاتَ فِيهِ فَحَضَرَتْ الصَّلاةُ، قَالَ: مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ**...الحديث، وفيه: **فَخَرَجَ أَبُو بَكْرٍ فَصَلَّى، فَوَجَدَ النَّبِيُّ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **مِنْ نَفْسِهِ خِفَّةً**[(١)]**، فَخَرَجَ يُهَادَى بَيْنَ رَجُلَيْنِ كَأَنِّي أَنْظُرُ رِجْلَيْهِ تَخُطَّانِ مِنَ الوَجَعِ، فَأَرَادَ أَبُو بَكْرٍ أَنْ يَتَأَخَّرَ، فَأَوْمَأَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **أَنْ مَكَانَكَ، ثُمَّ أُتِيَ بِهِ حَتَّى جَلَسَ إِلَى جَنْبِهِ...**» الحديث[(٢)].

قال الحافظ ابن حجر: «قولها: «**يُهَادَى**» أي: يَعْتَمِدُ على الرَّجُلَيْنِ مُتَمَايِلاً في مَشْيِهِ من شدَّة الضعف، وقولها: «**تَخُطَّان**» أي: لم يكن يقدر على تمكينهما من الأرض» ا هـ المقصود من كلامه[(٣)].

فهو دليلٌ ظاهرٌ على تأكُّدِ جماعة المسجد وعظم شأنها في الإسلام؛ ذلك أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حرص على شهود هذه الجماعة، حتى في حال المرض التي يُعذر المرءُ فيه.

فلو كانت الجماعة في البيت قائمةً مقامها لاكتفى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بأدائها في بيته مع هذين الرَّجُلَين، ولما تجشَّم المجيء وهو بهذه الحالة من المرض إلى المسجد، وقد قام مقامه أبو بكرٍ في إمامة الناس، ولما شقَّ على هذين الرَّجُلين، وهما عمُّه العباس وعلي بن أبي طالب بحمله إلى المسجد.

قال ابنُ أبي صُفرة[(٤)]: «في الحديث من الفقه: أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رغَّب أُمَّته في شهود الجماعات؛ لما لهم فيها من عظيم الأجر؛ ولئلاَّ يَعذر أحدٌ منهم نفسه في التخلف عنها ما أمكنه وقدر عليها؛ إذ لم يعذر نفسه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ولم يُرخِّص لها في حال عجزه عن الاستقلال على قدميه مع علمه أن الله قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وبذلك عمل السلف الصالحون»[(٥)].

---

(١) «الخِفَّةُ» ـ بكسر الخاء: ضدُّ الثِّقل، والمراد: وجد من بدنه نشاطًا.
انظر: لسان العرب (٥ / ١١٢، مادة: خفف).

(٢) صحيح البخاري (١ / ٢٣٦ رقم ٦٣٣) وصحيح مسلم (١ / ٣١١ رقم ٤١٨).

(٣) فتح الباري (٢ / ٢٠٠).

(٤) هو القاضي أبو القاسم المُهلَّبُ بنُ أبي صُفرة المالكيُّ، اختصر صحيح البخاري، وسمَّاه المختصر النصيح، ثم شرحه بعد ذلك شرحًا قيِّمًا، توفي سنة ٤٣٦ هـ، وقيل غير ذلك.
انظر: ترتيب المدارك (٤ / ٧٥١)،(السير ١٧ / ٥٧٩)

(٥) انظر: شرح ابن بطال على صحيح البخاري (٢ / ٢٨٩).

وكذا قال ابنُ بطَّال: «المراد بهذا الحديث الحضُّ على شهود الجماعة، والمحافظة عليها»[١].

وكذا قال الحافظ ابنُ حجر: «فيه تأكيدُ أَمْرِ الجماعة، وإن كان المرض يُرَخِّصُ في تركها»[٢].

الدليل الثَّامن:

ما ثبت عن عبد الله بنِ مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند مسلم وغيره أنه قال: «**مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَلْقَى اللهَ غَدًا مُسْلِمًا فَلْيُحَافِظْ عَلَى هَؤُلاَءِ الصَّلَوَاتِ حَيْثُ يُنَادَى بِهِنَّ؛ فَإِنَّ اللهَ شَرَعَ لِنَبِيِّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُنَنَ الْهُدَى، وَإِنَّهُنَّ مِنْ سُنَنِ الْهُدَى، وَلَوْ أَنَّكُمْ صَلَّيْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ كَمَا يُصَلِّي هَذَا الْمُتَخَلِّفُ فِي بَيْتِهِ لَتَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ، وَلَوْ تَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ لَضَلَلْتُمْ، وَمَا مِنْ رَجُلٍ يَتَطَهَّرُ فَيُحْسِنُ الطُّهُورَ، ثُمَّ يَعْمِدُ إِلَى مَسْجِدٍ مِنْ هَذِهِ الْمَسَاجِدِ، إِلاَّ كَتَبَ اللهُ لَهُ بِكُلِّ خَطْوَةٍ يَخْطُوهَا حَسَنَةً، وَيَرْفَعُهُ بِهَا دَرَجَةً، وَيَحُطُّ عَنْهُ بِهَا سَيِّئَةً، وَلَقَدْ رَأَيْتُنَا وَمَا يَتَخَلَّفُ عَنْهَا إِلاَّ مُنَافِقٌ مَعْلُومُ النِّفَاقِ، وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ يُؤْتَى بِهِ يُهَادَى بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ حَتَّى يُقَامَ فِي الصَّفِّ**»[٣].

وفي ولفظ عند النسائي: «**فَلْيُحَافِظْ عَلَى هَؤُلاَءِ الصَّلَوَاتِ الخَمْسِ حَيْثُ يُنَادَى بِهِنَّ**»[٤].

وفي لفظٍ عنده أيضًا: «**وَإِنِّي لاَ أَحْسَبُ مِنْكُمْ أَحَدًا إِلاَّ لَهُ مَسْجِدٌ يُصَلِّي فِيهِ فِي بَيْتِهِ، فَلَوْ صَلَّيْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ وَتَرَكْتُمْ مَسَاجِدَكُمْ لَتَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ وَلَوْ تَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ لَضَلَلْتُمْ**»[٥].

وفي لفظٍ آخر عند مسلم قال: «**لَقَدْ رَأَيْتُنَا وَمَا يَتَخَلَّفُ عَنِ الصَّلاَةِ إِلاَّ مُنَافِقٌ قَدْ عُلِمَ نِفَاقُهُ، أَوْ مَرِيضٌ، إِنْ كَانَ الْمَرِيضُ لَيَمْشِي بَيْنَ رَجُلَيْنِ حَتَّى يَأْتِيَ الصَّلاَةَ - وَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَّمَنَا سُنَنَ الْهُدَى، وَإِنَّ مِنْ سُنَنِ الْهُدَى الصَّلاَةَ فِي الْمَسْجِدِ الَّذِي يُؤَذَّنُ فِيهِ**»[٦].

والاستدلال به للمسألة من أوجه:

الأوَّل: أنَّ فيه أمرًا بالمحافظة على الجماعة لهذه الصلوات الخمس حيث يُنادى لها في المسجد؛ فإنَّه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «**مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَلْقَى اللهَ غَدًا مُسْلِمًا فَلْيُحَافِظْ عَلَى هَؤُلاَءِ الصَّلَوَاتِ** ـ وفي لفظٍ: «**عَلَى**

---

(١) المصدر السابق.

(٢) فتح الباري (٢ / ٢٠٠).

(٣) صحيح مسلم (١ / ٤٣٥ رقم ٦٥٤).

(٤) المجتبى (٢ / ١٠٨ رقم ٨٤٩).

(٥) المصدر السابق.

(٦) الصحيح حديث رقم (٦٥٤).

هَؤُلاَءِ الصَّلَوَاتِ الخَمْسِ» - حَيْثُ يُنَادَى بِهِنَّ؛ فَإِنَّ اللهَ شَرَعَ لِنَبِيِّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **سُنَنَ الهُدَى، وَإِنَّهُنَّ مِنْ سُنَنِ الهُدَى»،**

وهو أمرٌ له حكم الرفع؛ فإنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ علَّل بعلَّةٍ تقتضي ذلك؛ قال: «**فَإِنَّ اللهَ شَرَعَ لِنَبِيِّكُمْ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **سُنَنَ الهُدَى، وَإِنَّهُنَّ مِنْ سُنَنِ الهُدَى**»، وفي لفظ: «**إِنَّ رَسُولَ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **عَلَّمَنَا سُنَنَ الهُدَى، وَإِنَّ مِنْ سُنَنِ الهُدَى الصَّلاَةَ فِي المَسْجِدِ الَّذِي يُؤَذَّنُ فِيهِ**».

ومعلومٌ أن قول الصحابي: (من السنَّة كذا) مما له حكم الرفع.(١)

والأصلُ في الأمر الوجوب ما لم يصرفه صارف، كما هو معلومٌ من قواعد الشريعة، ولا صارف له، بل: ما تقدَّم من النصوص يؤيِّده ويؤكده، فاقتضى ذلك وجوب شهود الجماعة لهذه الصلوات في المسجد.

قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «**حَيثُ**»: ظَرْفُ مكانٍ، أي: فليُحافظ عليها في المكان الذي يُنَادَى لها فيه»(٢).

الوجه الثاني: أنَّ في قوله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**وَإِنَّ مِنْ سُنَنِ الهُدَى الصَّلاَةَ فِي المَسْجِدِ الَّذِي يُؤَذَّنُ فِيهِ** » مع قوله: «**وَلَوْ أَنَّكُمْ صَلَّيْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ كَمَا يُصَلِّي هَذَا المُتَخَلِّفُ فِي بَيْتِهِ لَتَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ**» وفي لفظ: «**فَلَوْ صَلَّيْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ وَتَرَكْتُمْ مَسَاجِدَكُمْ لَتَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ**» وصفًا للمتخلِّف عن جماعة المسجد لهذه الصلوات بأنه تاركٌ لسنَّة النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ومراده بها: سنَّته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وطريقته التي تحرُم مخالفتها، لا مطلق السنَّة التي يثاب فاعلها ولا يعاقب تاركها؛ بدليل أنه قال عقب ذلك: «**وَلَوْ تَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ لَضَلَلْتُمْ**».

فاقتضى ذلك وجوب امتثال سنته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بشهود هذه الجماعة في المسجد، وتحريم التخلُّف عنها إلاَّ لعذرٍ شرعي.

الوجه الثالث: أنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وصف المتخلِّف عن هذه الجماعة بوصفين اقتضيا أن يكون تخلُّفه عن أمرٍ واجبٍ حتمٍ، قال: «**وَلَوْ أَنَّكُمْ صَلَّيْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ كَمَا يُصَلِّي هَذَا المُتَخَلِّفُ فِي بَيْتِهِ لَتَرَكْتُمْ سُنَّةَ**

(١) انظر للمسألة: ألفية الحديث مع شرحها فتح المغيث (١ / ١٩٤)

(٢) مجموع فتاواه (١٥ / ٢٠).

نَبِيِّكُمْ، وَلَوْ تَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ لَضَلَلْتُمْ»، وقال: «**وَلَقَدْ رَأَيْتُنَا وَمَا يَتَخَلَّفُ عَنْهَا إِلاَّ مُنَافِقٌ مَعْلُومُ النِّفَاقِ**».

فدلَّ ذلك على وجوب شهود هذه الجماعة في المساجد؛ إذ لو كان أداؤها في البيت ونحوه قائمًا مقام أدائها في المسجد لما أطلق هذا الوصفين في حقِّ هذا المتخلِّف عنها في المسجد قبل أن يستعلم عن حاله، هل أدَّاها جماعةً في بيته أم لا.

قال العلاَّمةُ ابن القيِّم ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**وجه الدلالة**: أنه جعل التخلُّف عن الجماعة من علامات المنافقين المعلوم نفاقهم، وعلاماتُ النفاق لا تكون بترك مستحبٍّ، ولا بفعل مكروهٍ، ومن استقرأ علامات النفاق في السُّنة وجدها إمَّا بترك فريضةٍ، أو فعل مُحَرَّمٍ، وقد أكَّد هذا المعنى بقوله: «**مَنْ سَرَّهُ أن يلقى الله غدًا مسلمًا فليحافظ على هذه الصلوات حيث يُنادى بهنَّ**»، وسَمَّى تاركها المصلِّي في بيته مُتخلِّفًا تاركًا للسُّنة التي هي طريقةُ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التي كان عليها، وشريعتهُ التي شرعها لأُمَّته، وليس المراد بها: السُّنة التي من شاء فعلها، ومن شاء تركها، فإنَّ تَرْكَهَا لا يكون ضلالاً، ولا من علامات النفاق "[1].

الوجه الرابع: أنَّ في قوله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «**وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ يُؤْتَى بِهِ يُهَادَى بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ حَتَّى يُقَامَ فِي الصَّفِّ**»، وفي لفظ: «**إِنْ كَانَ الْمَرِيضُ لَيَمْشِي بَيْنَ رَجُلَيْنِ حَتَّى يَأْتِيَ الصَّلاَةَ**» دليلاً على حرص الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ على شهود جماعة المسجد لهذه الصلوات، حتى في حال المرض التي يُعذر أحدهم فيها، وما ذاك إلاَّ أنَّهم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ قد فهموا من نصوص الشريعة وجوب شهود هذه الجماعة في المسجد.

قال الحافظ ابن حجر في بيان معنى «**يُهَادَى**»: «أي يَعْتَمِدُ على الرَّجُلَيْنِ مُتَمايِلاً في مَشْيِهِ من شدَّة الضَّعف»[2].

وهم لا شكَّ أعلمُ الناس بنصوص الشريعة، بل هم حملتها المؤتمنون عليها، وقد فهموها وعملوا بها وفق ما أراده الشارع الحكيم قولاً وعملاً.

فلو كانت الجماعة لهذه الصلوات في البيت ونحوه قائمةً مقامها في المسجد لاكتفى أحدهم بأدائها في بيته جماعةً مع هذين الرَّجُلَينِ الذي يُهادى بينهما، ولما تجشَّم المجيء إلى المسجد وهو بهذه المثابة من المرض التي يُعذر فيها.

---

(١) الصلاة وحكم تاركها (ص ١٠٥).

(٢) فتح الباري (٢ / ٢٠٠).

الدليل التَّاسع:

ما أخرجه مسلمٌ من طريق أبي الشعثاء المحاربي[١]، قال: «**كُنَّا قُعُودًا فِي المَسْجِدِ مَعَ أَبِي هُرَيْرَةَ، فَأَذَّنَ المُؤَذِّنُ، فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ المَسْجِدِ يَمْشِي، فَأَتْبَعَهُ أَبُو هُرَيْرَةَ بَصَرَهُ حَتَّى خَرَجَ مِنَ المَسْجِدِ، فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: أَمَّا هَذَا فَقَدْ عَصَى أَبَا القَاسِمِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ »[٢].

وهو أثرٌ له حكم الرَّفع؛ لقوله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **أَمَّا هَذَا فَقَدْ عَصَى أَبَا القَاسِمِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»[٣].

قال القرطبي: «قول أبي هريرة في الخارج من المسجد: «**أمَّا هذا فقد عصى أبا القاسم** » محمولٌ على أنه حديثٌ مرفوعٌ إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ بدليلِ نسبته إليه في معرض الاحتجاج به» ا هـ[٤].

ووجه الاستدلال به للمسألة: أنَّ أبا هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وصف هذا الرَّجُل بعصيان النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ كونه خرج من المسجد بعد سماع الأذان.

قال القرطبي: «كأنَّ أبا هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سمع ما يقتضي تحريم الخروج من المسجد بعد الأذان، فأطلق لفظ المعصية عليه»[٥].

قلت: وما ذاك إلاَّ كون هذا الرَّجُل ترك جماعة المسجد؛ إذ لو كان مُخيَّرًا بين شهود هذه الجماعة في المسجد أو أداء الجماعة لهذه الصلاة في البيت ونحوه لم يحرُم عليه حينئذ الخروج من المسجد

---

(١) هو: سُليم بن أسود المُحاربيُّ، الكوفي.
التقريب (ص١٨٩).

(٢) صحيح مسلم (١ / ٤٥٣ رقم ٦٥٥).
وأخرجه الطيالسيُّ (٤ / ٣١٣ برقم ٢٧١١) وأحمد (١٦ / ٥٤٥ برقم ١٠٩٣٣) من طريق شريكٍ ـ هو: النخعيُّ، عن أشعث بن أبي الشعثاء، عن أبيه أبي الشعثاء به بمثله، وزاد في آخره حرف التصريح برفعه إلى النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: «**أَمَرَنَا رَسُولُ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **إِذَا سَمِعْنَا النِّدَاءَ أَلاَّ نَخْرُجَ مِنَ المَسْجِدِ حَتَّى نُصَلِّيَ**»، لكنَّ شريكًا سيء الحفظ، وقد تفرَّد بهذا الحرف، علاوةً اضطرابه فيه؛ فإنه رواه مرَّةً عن المسعودي، عن النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مرسلاً، عند أحمد برقم (١٠٩٣٤).
وأخرج الفضل بن دكين في الصلاة (ص١٩١ برقم ٢٦٦) وأبو داود في المراسيل (ص١٨) برقم ٢٥) مُرسل سعيد بن المسيب: «**مَنْ سَمِعَ المنَادِي فَخَرَجَ فَهُو مُنَافِقٌ، إلاَّ رَجُلٌ خَرَجَ فِي حَاجَةٍ ثم رَجَعَ**».
أمَّا حديث عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند ابن ماجه: «**مَنْ أدرَكَهُ الأَذَانُ فِي المسجِدِ، ثم خَرَجَ لحاجَةٍ وهُو لا يُرِيدُ الرَّجعَةَ فَهُو مُنَافِقٌ**» فواهٍ؛ يرويه عبد الجبَّار بن عمر الأيلي، وهو ضعيفٌ، عن إسحاق بن أبي فروة، وهو متروك.

(٣) انظر: نزهة النظر (ص٢٣٧)، تدريب الراوي (١ / ١٩١).

(٤) المفهم (٢ / ٢٢٥).

(٥) المصدر السابق.

بعد سماع النداء، ولم يصحَّ من أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن يصفه بهذا الوصف قبل أن يستعلم عن حاله هل سيصليها جماعةً في بيته أم لا.

فدلَّ ذلك على وجوب شهود جماعة المسجد للصلوت الخمس.

قال العلاَّمةُ ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: "ومن تَأَمَّلَ السُّنة حقَّ التأمُّل تبيَّنَ له أن فِعْلَهَا في المساجد فرضٌ على الأعيان، إلا لعارضٍ يجوز معه ترك الجمعة والجماعة، فَتَرْكُ حضور المسجد لغير عذرٍ كترك أصل الجماعة لغير عذر ... إلى أن قال: فالذي نَدِيْنُ الله به أنه لا يجوز لأحدٍ التخلُّف عن الجماعة في المسجد إلاَّ من عذر"(١).

الدليل العاشر:

الآثار الثابتة عن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ القاضية بوجوب إجابة النِّداء في حقِّ مَن سمعه لشهود الجماعة في المسجد، إلاَّ من عُذر.(٢)

فقد ثبت ذلك عن عليِّ بنِ أبي طالبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: «**مَنْ سَمِعَ النِّدَاءَ مِنْ جِيرَانِ المَسْجِدِ ـ وَهُوَ صَحِيحٌ مِنْ غَيْرِ عُذْرٍ ـ فَلَمْ يُجِبْ فَلاَ صَلاَةَ لَهُ**»، وفي لفظٍ: « **مَنْ كَانَ جَارَ المَسْجِدِ فَسَمِعَ المُنَادِي يُنَادِي فَلَمْ يُجِبْهُ مِنْ غَيْرِ عُذْرٍ فَلاَ صَلاَةَ لَهُ**»، وفي لفظٍ: « **لاَ صَلاَةَ لِجَارِ المَسْجِدِ إِلاَّ فِي المَسْجِدِ، فَقِيلَ لَهُ: وَمَنْ جَارُ المَسْجِدِ؟ قَالَ: من سمع النِّداء** »(٣).

وثبت ـ أيضًا ـ عن ابنِ مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: «**مَنْ سَمِعَ المُنَادِي، ثُمَّ لَمْ يُجِبْ مِنْ غَيْرِ عُذْرٍ فَلاَ صَلاَةَ لَهُ**»(٤).

وثبت ـ أيضًا ـ عن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: «**مَنْ سَمِعَ المُنَادِي، ثُمَّ لَمْ يُجِبْهُ مِنْ غَيْرِ عُذْرٍ فَلاَ صَلاَةَ لَهُ**»(٥).

---

(١) الصلاة وحكم تاركها (ص ١٢٢).

(٢) تقدَّمت الإشارة في مقدِّمة البحث إلى أنَّ الضابط في سماع النداء، هو: سماع أذان المؤذِّن بالإذن مجرَّدًا من مكبر الصوت.

(٣) أخرجه عبد الرزاق (١ / ٤٩٨ برقم ١٩١٥، ١٩١٦)، وابنُ أبي شيبة (١ / ٣٤٥ برقم ٣٤٨٨)، والدارقطنيُّ (١ / ٤٢٠ برقم ٣)، والبيهقي (٣ / ٥٧).

(٤) أخرجه ابنُ أبي شيبة في مصنَّفه (١ / ٣٤٥ برقم ٣٤٨٦).

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنَّفه (/ ٣٤٥ برقم ٣٤٨٢).

وثبت - أيضًا - عن ابن عبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه قال: «**مَنْ سَمِعَ النِّدَاءَ فَلَمْ يُجِبْ فَلاَ صَلاَةَ لَهُ إِلاَّ مِنْ عُذْرٍ**»(١).

وثبت - أيضًا - عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنها قالت: «**مَنْ سَمِعَ النِّدَاءَ فَلَمْ يُجِبْ فَلَمْ يُرَدْ خَيْرًا وَلَمْ يُرَدْ بِهِ**»(٢).

فهي آثارٌ صريحةٌ في وجوب إجابة النِّداء لشهود الجماعة في المسجد للصلوات الخمس؛ إذ لو كان الرَّجُلُ مُخيَّرًا بين شهود هذه الجماعة في المسجد أو إقامتها في البيت لما كان لهذه الألفاظ معنىً، ولما كان لاشتراط العُذر في عدم إتيان الجماعة - أيضًا - معنىً.

قال ابن المنذر رَحِمَهُ اللَّهُ: «الأخبار المذكورة في باب الرخصة في التخلُّف عن الجماعة لأصحاب العُذْرِ تدلُّ على فرض الجماعة على من لا عُذْرَ له؛ إذ لو كان حال العُذْرِ، وغير حال العُذْرِ سواء، لم يكن للترخيص في التخلُّف عنها في أبواب العُذْرِ معنىً»(٣).

وقال العلاَّمةُ ابنُ القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «هذا وغيره يدلُّ على أنَّ الإجابة عند الصحابة هي حضور الجماعة، وأنَّ المتخلِّف عنها غير مُجِيْبٍ، فيكون عاصيًا»(٤).

وقال العلامة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ: «الجماعة واجبةٌ على الأعيان، ولا يُعذَرُ عن فِعْلِهَا جماعةً في المسجد إلا من عذره الشرع»(٥).

وقال في موضعٍ آخر: «وأداؤها جماعةً في المساجد واجبٌ من واجبات الدين»(٦).

الدليل الحادي عشر:

ما ثبت عن بعض الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ من تطلُّبِ جماعة مسجدٍ آخر إذا فاتتهم الجماعة في مساجد أقوامهم، أو إعادة الجماعة في المسجد نفسه.

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في مصنَّفه (١ / ٤٧٩ برقم ١٩١٤) وابنُ أبي شيبة في مصنَّفه (١ / ٣٤٥ برقم ٣٤٨٣).

(٢) أخرجه عبد الرزاق في المصنَّف (١ / ٤٩٨ برقم ١٩١٧) وابنُ أبي شيبة في مصنَّفه (١ / ٣٤٥ برقم ٣٤٨٥).
ويُروى بعضُ هذه الآثار مرفوعًا إلى النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا يصح رفعها، وإنما هي موقوفة على رواتها، فيما نصَّ عليه أئمة النقد. انظر: الكبرى للبيهقي ٣ / ٥٧، فتح الباري لابن رجب (٤ / ٨)

(٣) الأوسط (٤ / ١٤٩).

(٤) الصلاة وحكم تاركها (ص ٩٩).

(٥) مجموع فتاواه (٢ / ٢٦٤).

(٦) المصدر السابق (ص ٢٧٥).

فقد صحَّ عن حُذَيْفَةَ بنِ اليَمَانِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «**أَنَّهُ كَانَ إِذَا فَاتَتْهُ الصَّلاَةُ فِي مَسْجِدِ قَوْمِهِ يُعَلِّقُ نَعْلَيْهِ وَيَتَّبِعُ المَسَاجِدَ؛ حَتَّى يُصَلِّيَهَا فِي جَمَاعَةٍ**»(١).

وثبت عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ دَخَلَ مَسْجِد بني رفاعة في صَلاةِ الصُّبحِ، فَقَالَ: « **أصليتم؟ قالوا: نعم، فَأمر رجلاً فَأذَّن وَأقَام، ثمَّ صَلَّى بِأَصْحَابِهِ**»(٢).

وثبت ذلك ـ أيضًا ـ عن بعض التابعين، فقد صحَّ عن الأسود بن يزيد النخعي ـ رَحِمَهُ اللَّهُ: «**أَنَّهُ كَانَ إِذَا فَاتَتْهُ الصَّلاَةُ فِي مَسْجِدِ قَوْمِهِ ذَهَبَ إِلى مَسْجِدٍ غَيْرِهِ**»(٣)، وثبت ـ أيضًا ـ عن سعيد بن جبير نحو فعله(٤).

فهذه الآثارُ وغيرها دليلٌ على أنَّ السلف الصالح من لدن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ قد فهموا من نصوص الشريعة أنَّ مقصود الشارع الحكيم من الأمر بإجابة النِّداء للصلوات الخمس هو شهود جماعة المسجد؛ إذ المسجد هو محلُّ إقامة الجماعة لهذه الصلوات.

وهم أفقهُ الناس، وأعلمُهم بمراد الشارع؛ فاقتضى ذلك وجوب شهود هذه الجماعة لهذه الصلوات في محلِّها.

وهذا هو الذي فهمه الإمامُ البخاريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ، كما تقدَّم من صنيعه، فإنه حين ترجم في صحيحه: (باب وجوب صلاة الجماعة) ساق في الترجمة أَثَرَ الحسن البصري: « **إِنْ مَنَعَتْهُ أُمُّهُ عَنِ العِشَاءِ فِي الجَمَاعَةِ شَفَقَةً فَلاَ يُطِعْهَا**»(٥).

قال الحافظ ابن حجر: «يُشعِرُ بكونه يُريدُ أنه وجوب عَيْنٍ؛ لما عُرِفَ من عادته أنه يستعمل الآثار في التراجم لتوضيحها، وتكميلها، وتعيين أحد الاحتمالات في حديث الباب»(٦).

وحين ترجم فيه ـ أيضًا: (باب فضل صلاة الجماعة) أورد في الترجمة هذا الأثر عن أنس، وأثر الأسود النخعي، وأراد بذلك الإشارة إلى أنَّ الفضل الوارد في أحاديث الباب مقصورٌ على من جَمَّعَ في

(١) تقدَّم عزوه في الدليل الثالث.

(٢) تقدَّم أيضًا.

(٣) تقدَّم أيضًا.

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنَّفه (٢ / ٢٠٥ برقم ٦٠٤٥).

(٥) تقدَّم عزوه في الدليل الثاني.

(٦) فتح الباري (٢ / ١٦٤).

المسجد دون من جَمَّعَ في بيته مثلاً؛ لأنَّ التجميع لو لم يكن مُختصًّا بالمسجد لجمَّع الأسودُ في مكانه، ولم ينتقل إلى مسجدٍ آخر لطلب الجماعة، ولما جاء أنسٌ إلى مسجد بني رِفاعة»[1].

وقال العلاَّمةُ ابنُ القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن حديث أبي هريرة السالف في قصة الأعمى: «فهذا وغيره يدلُّ على أنَّ الإجابة عند الصحابة هي حضور الجماعة»[2].

أخي القارئ الكريم، هذه النصوص من الكتاب والسنة والآثار عن الصحابة وغيرهم هي جملة ما يمكن أن يُستَدلَّ به للمسألة، ولعلَّ فيها الكفاية ـ إن شاء الله ـ لطالب الحق، وصلَّى الله وسلَّم على عبده ورسوله نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) انظر: المصدر السابق (٢ / ١٧١).

(٢) الصلاة وحكم تاركها (ص ٩٩).

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمه تتمُّ الصالحات، وبتيسيره تسهلُ الصعوبات؛ ذلك أنه سبحانه يسَّر لي إتمام هذا البحث، ووفَّقني لإعداده، وأرجوه سبحانه أن أكون وُفِّقت فيه لما يُرضيه، وأن يجعله خالصًا لوجهه الكريم.

وفي خاتمة البحث يحسن بي أن أُقيِّدَ أبرز نتائجه التي توصَّلتُ إليها، وهي:

- عظم شأن الصلاة في الإسلام؛ إذ هي الرُّكن الثاني من أركان الإسلام.
- فضل صلاة الجماعة، وعظم منزلتها في الإسلام.
- أنها إنما شُرعت لمقاصد وحِكَمٍ عظيمة.
- أنَّ نصوص الكتاب والسنَّة قاضية بوجوب شهود الجماعة للصلوات المفروضة في المساجد؛ ذلك أنَّ المساجد بيوت الله التي أمر أن تُرفع ويُذكر فيها اسمه.
- أنَّه لا يجوز التخلُّف عن هذه الجماعة في المساجد مع سماع النداء لها إلاَّ لعذرٍ شرعيٍّ، كالخوف والمرض.
- أنَّ التخلُّف عنها من غير عذرٍ شرعيٍّ علامة من علامات النفاق.
- حرص النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصحابته الأبرار على أدائها في المساجد حتى في حالة المرض التي يُعذر أحدهم فيها؛ لعظم منزلة الصلاة في قلوبهم.
- أن المسجد في لغة العرب هو كلُّ موضع للصلاة، أما في الاصطلاح الشرعي فهو ما قيَّده العرف بالمكان المهيأ للصلاة.
- أنَّ الضابط في سماع النداء للصلاة هو ما كان بصوت المؤذن المجرَّد من مُكبِّر الصوت، وهو في مكانٍ مرتفعٍ، ولا يوجد موانع أو حواجز تحجب صوته.

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر والمراجع المطبوعة:

القرآن الكريم.

١. **إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام**، لتقي الدين محمد بن علي بن دقيق العيد، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، ط. الأولى، عام ١٣٩٩ هـ.

٢. **إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل**، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، عناية محمد زهير الشاويش، نشر المكتب الإسلامي، بيروت، ط. الثانية، ١٤٠٥ هـ.

٣. **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، للشيخ محمد الأمين الشنقيطي، عناية الشيخ بكر أبو زيد، نشر دار عالم الفوائد، مكة، ط. الأولى ١٤٢٦ هـ.

٤. **إعلام الساجد بأحكام المساجد**، للزركشي، تحقيق مصطفى المراغي، نشر المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية في القاهرة، ط عام ١٤٣١ هـ.

٥. **إعلام الموقعين عن رب العالمين**، لابن القيم، تحقيق أحمد زغبي، نشر دار الأرقم، بيروت، ط. الأولى ١٤١٨ هـ.

٦. **الإمداد شرح زاد المستقنع**، للشيخ صالح بن فوزان الفوزان، نشر الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء، الرياض، ط. الثانية ١٤٣٣ هـ.

٧. **الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف**، لعلاء الدين المرداوي، تحقيق محمد حامد فقي، ط. الأولى ١٣٧٥ هـ.

٨. **الأوسط في السنن والإجماع والاختلاف**، لأبي بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري، تحقيق خالد إبراهيم السيد، نشر دار الفلاح، ط١، ١٤٣٠ هـ.

٩. **البحر الزخّار المعروف بمسند البزار**، لأبي بكر أحمد بن عمرو البزّار، تحقيق د. محفوظ الرحمن زين الله، نشر مكتبة العلوم والحكم بالمدينة النبوية، ط. عام ١٤٢٤ هـ.

١٠. **بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع**، لأبي بكر بن مسعود الكاساني، عناية ونشر دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ١٤١٧ هـ.

١١. **البيان شرح المهذَّب**، لأبي الحسين يحيى بن أبي الخير العمراني، تحقيق قاسم محمد النوري، نشر دار المنهاج بجدة، ط٢، ١٤٢٨ هـ.

١٢. **تاريخ مدينة السلام**، لأبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، تحقيق د. بشار عوَّاد معروف، نشر دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٢٢ هـ.

١٣. **تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي**، للسيوطي، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف، نشر مكتبة الرياض الحديثة، ط. الأولى، ١٤٢٣ هـ.

١٤. **تحفة الراكع والساجد بأحكام المساجد**، لتقي الدين الجُراعي الصالحي، تحقيق فيصل العلي، نشر دار النوادر في لبنان، ط. الأولى ١٤٣١ هـ.

١٥. **ترتيب المدارك وتقريب المسالك**، للقاضي عياض، تحقيق د. عمر علي، نشر مكتبة الثقافة الدينية، مصر، ط. الأولى ١٤٣٠ هـ.

١٦. **التعريفات**، للجرجاني، تحقيق د. عبد الرحمن عميرة، نشر عالم الكتب، بيروت، ط. الأولى، ١٤١٦ هـ.

١٧. **تعظيم قدر الصلاة**، لأبي عبد الله محمد بن نصر المروزي، تحقيق أبي مالك كمال بن السيد سالم، نشر مكتبة العلم بالقاهرة.

١٨. **تغليق التعليق على صحيح البخاري**، لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق سعيد بن عبد الرحمن القزقي، نشر المكتب الإسلامي، ط٢، ١٤٢٠ هـ.

١٩. **تفسير سورة النور**، للشيخ ابن عثيمين، عناية ونشر مؤسسة الشيخ ابن عثيمين، عنيزة، ط. الأولى١٤٣٦ هـ.

٢٠. **تفسير ابن جرير الطبري = جامع البيان في تأويل القرآن**.

٢١. **تفسير ابن سعدي = تيسير الكريم الرحمن**.

٢٢. **تفسير الشوكاني = فتح القدير.**

٢٣. **تفسير القرآن العظيم مسندًا عن رسول الله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **والصحابة والتابعين**، لأبي محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي، تحقيق أسعد محمد الطيِّب، نشر مكتبة مصطفى نزار الباز، مكة المكرمة، ط١، ١٤١٧ هـ.

٢٤. **تفسير القرآن العظيم**، لأبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي، تحقيق ونشر دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٧ هـ .

٢٥. **تفسير القرطبي = الجامع في أحكام القرآن.**

٢٦. **تقريب التهذيب**، لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق عادل مُرشد، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤١٦ هـ .

٢٧. **التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير**، لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، عناية عبد الله هاشم اليماني، نشر دار المعرفة، بيروت.

٢٨. **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، للشيخ ابن سعدي، تحقيق محمد النجار، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، ط. عام ١٤١٥ هـ.

٢٩. **الجامع لأحكام القرآن**، للقرطبي، تحقيق ونشر دار ابن حزم للنشر، بيروت، ط. الأولى، عام ١٤٢٥ هـ.

٣٠. **جامع البيان في تأويل القرآن**، لأبي جعفر ابن جرير الطبري، نشر مكتبة الباز، مكة، ط. الأولى عام ١٤١٢ هـ.

٣١. **جامع الترمذي = الجامع المختصر من السنن عن رسول الله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لأبي عيسى الترمذي .

٣٢. **الجامع الصحيح المختصر المسند من حديث رسول الله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **وسننه وأيامه**، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، عناية ونشر المكتبة السلفية بالقاهرة، ط١، ١٤٠٠ هـ .

٣٣. **الجامع المختصر من السنن عن رسول الله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **ومعرفة الصحيح والمعلول وما كان عليه العمل**، لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق الشيخ أحمد شاكر، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٣٤. **حاشية الدسوقي على الشرح الكبير**، تحقيق محمد عليش، نشر دار الفكر، بيروت، لبنان، ط. عام ١٤٠٢ هـ.

٣٥. **الحاوي الكبير شرح مختصر المُزَني**، لأبي الحسن علي بن محمد الماوردي، تحقيق علي محمد معوَّض وعادل أحمد عبد الموجود، تصوير دار الكتب العلمية، بيروت، ط. عام ١٤١٩هـ.

٣٦. **حلية الأولياء**، لأبي نعيم، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط. عام ١٤٠٥ هـ.

٣٧. **الذخيرة**، لشهاب الدين أحمد بن إدريس القرافي، تحقيق د. محمد حجّي، نشر دار الغرب الإسلامي، تونس، ط١، ١٩٩٤ م .

٣٨. **سنن أبي داود السجستاني**، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، نشر دار الفكر، بيروت، لبنان، ط. الأولى.

٣٩. **سنن النسائي الصغرى = المجتبى من السنن للنسائي** .

٤٠. **السنن، لأبي عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه**، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، نشر دار الحديث بالقاهرة، ط١، ١٤١٩ هـ .

٤١. **السنن، لأبي الحسن علي بن عمر الدارقطني**، وبحاشيته التعليق المغني على الدارقطني لأبي الطيِّب محمد آبادي، نشر عالم الكتب، بيروت، ط٣، ١٤١٣ هـ .

٤٢. **السنن الكبرى، لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي**، تحقيق حسن عبد المنعم شلبي، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤٣٢ هـ.

٤٣. **السنن الكبرى، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي**، وفي حاشيتها الجوهر النقي لابن التركماني، نشر دار الفكر، بيروت، مصورة عن الطبعة الهندية.

٤٤. **سير أعلام النبلاء**، للذهبي، تحقيق مجموعة من الباحثين بإشراف شعيب الأرنؤوط، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى.

٤٥. **شرح ألفية ابن مالك**، لابن عقيل، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، نشر دار الفكر، دمشق، ط. عام ١٤١٩ هـ.

٤٦. **شرح السنة للبغوي**، تحقيق شعيب الأرنؤوط وزهير الشاويش، نشر المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية.

٤٧. **شرح صحيح البخاري**، لأبي الحسن علي بن خلف ابن بطَّال المالكي، تحقيق ياسر بن إبراهيم، نشر مكتبة الرشد، الرياض، ط١

٤٨. **شرح صحيح البخاري**، لابن حجر = **فتح الباري**.

٤٩. **شرح صحيح البخاري**، لابن رجب = **فتح الباري**.

٥٠. **شرح صحيح البخاري**، للشيخ محمد بن عثيمين، عناية قسم التحقيق والبحث العلمي في المكتبة الإسلامية بمصر، نشر المكتبة الإسلامية بمصر، ط. الأولى ١٤٢٨ هـ.

٥١. **شرح مشكاة المصابيح**، للشيخ محمد بن عثيمين، عناية ونشر مؤسسة الشيخ الخيرية، عنيزة، ط. الأولى ١٤٣٧ هـ.

٥٢. **الشرح الممتع على زاد المستقنع**، للشيخ محمد بن عثمين، عناية د. سليمان أبا الخيل، د. خالد المشيقح، نشر مؤسسة آسام، الرياض، ط١، ١٤١٥ هـ.

٥٣. **صحيح البخاري = الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله ﷺ وسنن وأيامه**.

٥٤. **الصحيح**، للإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، نشر دار الحديث، القاهرة، ط١، ١٤١٨ هـ.

٥٥. **الصحيح**، لأبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة، تحقيق د. محمد مصطفى الأعظمي، نشر المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣، ١٤٢٤ هـ.

٥٦. **الصحيح**، لمحمد بن حبَّان البستي، بترتيب علاء الدين ابن بلبان، تحقيق شعيب الأرناؤوط، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٤١٨ هـ.

٥٧. **الصلاة**، لأبي نعيم الفضل بن دكين، تحقيق صلاح بن عايض الشلاحي، نشر مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة النبوية، ط١، ١٤١٧ هـ.

٥٨. **الصلاة، وحكم تاركها** لشمس الدين ابن القيم، تحقيق مصطفى العدوي، نشر دار ابن رجب، القاهرة، ط. الأولى ١٤٢٣ هـ.

٥٩. **الضعفاء**، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق محمد إبراهيم زايد، نشر دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٤٠٦ هـ.

٦٠. **طرح التثريب في شرح التقريب**، لأبي الفضل العراقي، وابنه أبي زُرعة العراقي، عناية عبد القادر محمد علي، تصوير دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، عام ١٤٢١ هـ.

٦١. **العدَّة شرح العمدة**، لابن العطار الشافعي، تحقيق نظام يعقوبي، نشر دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط. الأولى، ١٤٢٧ هـ.

٦٢. **العزيز شرح الوجيز المعروف بالشرح الكبير**، لأبي القاسم عبد الكريم بن محمد الرافعي، تحقيق علي معوَّض وعادل عبد الموجود، تصوير دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ.

٦٣. **العلل**، لأبي محمد عبد الرحمن بن أبي حاتمٍ الرازي، تحقيق فريق من الباحثين بإشراف د. سعد الحميِّد ود. خالد الجريسي، ط١، ١٤٢٧ هـ.

٦٤. **العلل الواردة في الأحاديث**، لأبي الحسن علي بن عمر الدارقطني، الجزء الذي حقَّقه د. محفوظ الرحمن زين الله السلفي، نشر دار طيبة بالرياض، ط١،

٦٥. **العلل الواردة في الأحاديث**، لأبي الحسن علي بن عمر الدارقطني، الجزء الذي حقَّقه محمد بن صالح الدباسي، نشر دار التدمرية بالرياض، ط٢، ١٤٢٨ هـ .

٦٦. **غرائب مالك بن أنس**، لأبي الحسن محمد بن المظفر البزَّاز البغدادي، تحقيق طه علي أبو سريح، نشر دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١/ ١٩٩٨ م.

٦٧. **الفتاوى**، لشيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيميَّة، جمع وترتيب الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، طبعة عام ١٤١٨ هـ .

٦٨. **الفتاوى الكبرى**، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق محمد عبد القادر عطا، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٨ هـ.

٦٩. **فتاوى سماحة شيخ عبد العزيز بن عبد الله ابن باز**، جمع وترتيب د. عبد الله الطيار، نشر دار الوطن، الرياض، ط١، ١٤١٦ هـ.

٧٠. **فتاوى نور على الدرب**، للشيخ ابن باز، عناية د. محمد الشويعر، نشر الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء، الرياض، ط. الأولى ١٤٣٠ هـ.

٧١. **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، لأبي الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب البغدادي، تحقيق طارق بن عوض الله بن محمد، نشر دار ابن الجوزي بالرياض، ط٣، ١٤٢٥ هـ .

٧٢. **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، لأبي الفضل أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني، عناية محمد فؤاد عبد الباقي، نشر مكتبة دار السلام بالرياض، ط١، ١٤١٨ هـ .

٧٣. **فتح القدير للشوكاني**، تحقيق هشام بخاري وخضر عكاري، نشر المكتبة العصرية، بيروت، ط. الثانية ١٤١٩ هـ.

٧٤. **فتح المغيث بشرح ألفية الحديث**، للسخاوي، تحقيق د. عبد الكريم الخضير ود. محمد الفهيد، نشر دار المنهاج بالرياض، ط. الأولى ١٤٢٦ هـ.

٧٥. **الفروع**، لشمس الدين محمد بن مفلح المقدسي، عناية رائد صبري، نشر بيت الأفكار الدولية، الأردن، في مجلدٍ مضغوط، وهي مصوَّرةٌ عن الطبعة التي حققها د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، ونشرتها مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٢٤ هـ.

٧٦. **فضائل الأعمال**، لابن شاهين، تحقيق صالح الوعيل، نشر دار ابن الجوزي، ط. عام ١٤٢٠هـ.

٧٧. **الفقيه والمتفقه**، لأبي بكر الخطيب، تحقيق عادل عزازي، نشر دار ابن الجوزي، الرياض، ط. عام ١٤١٧ هـ.

٧٨. **فيض الباري بشرح صحيح البخاري**، للكشميري، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط. عام ١٤١٩ هـ.

٧٩. **فيض القدير شرح الجامع الصغير**، لمحمد عبد الرؤوف المناوي، عناية ونشر دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط٢، ١٣٩١ هـ.

٨٠. **الكامل في ضعفاء الرجال**، لأبي أحمد عبد الله بن عدي الجُرجاني، تحقيق د. زهير زكار، نشر دار الفكر، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٤ هـ.

٨١. **كشاف القناع عن متن الإقناع**، للبهوتي، تحقيق محمد عدنان، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط. الأولى ١٤٢٠ هـ.

٨٢. **الكواكب النيرات في معرفة من اختلط من الرواة الثقات**، لابن الكيال، تحقيق عبد القيوم عبد رب النبي، نشر المكتبة الإمدادية، مكة، ط. الثانية ١٤٢٠ هـ.

٨٣. **لسان العرب**، لأبي الفضل ابن منظور، نشر دار صادر في بيروت، لبنان، ط. السادسة، عام ٢٠٠٨ م.

٨٤. **المبسوط**، لشمس الدين محمد بن أحمد السرخسي، عناية جماعة من العلماء، نشر دار المعرفة، بيروت.

٨٥. **المجتبى من السنن**، لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، عناية وترقيم عبد الفتاح أبو غدَّة، نشر دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط٢، ١٤٠٩ هـ.

٨٦. **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، لنور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، تحقيق عبد الله بن محمد الدرويش، نشر دار الفكر، بيروت، لبنان، ط عام ١٤٢٤هـ.

٨٧. **المجموع شرح المهذب**، لأبي زكريا يحيى بن شرف النووي، عناية وتميم محمد نجيب المطيعي، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١

٨٨. **مجموع فتاوى ومقالات متنوعة**، لأبي عبد الله عبد العزيز بن عبد الله بن باز، جمع وإشراف د. محمد بن سعد الشويعر، نشر دار القاسم بالرياض، ط١، ١٤٢٠ هـ.

٨٩. **مجموع فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين**، جمع وترتيب فهد السليمان، نشر دار الثريا، الرياض، ط٢، ١٤١٤ هـ.

٩٠. **المحرر في الفقه**، لمجد الدين ابن تيمية وبحاشيته **النكت السنية**، لابن مفلح، عناية ونشر دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط عام ١٤١٩ هـ.

٩١. **المحلَّى**، لأبي محمد علي بن أحمد بن حزم الظاهري، تحقيق حسان عبد المنان، نشر بيت الأفكار الدولية، الأردن.

٩٢. **المختلطون**، لصلاح الدين العلائي، تحقيق د. رفعت فوزي عبد المطلب، نشر مكتبة الخانجي، مصر، ط١، ١٤١٧ هـ.

٩٣. **المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل**، لابن بدران الدمشقي، تحقيق د. عبد الله التركي، نشر دار الرسالة، بيروت، ط. الثانية ١٤٢٧ هـ.

٩٤. **المراسيل**، لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق د. عبد الله بن مساعد الزهراني، نشر دار الصميعي بالرياض.

٩٥. **مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح**، لأبي الحسن عبيد الله بن محمد المباركفوري، المطبوع بحاشية المشكاة، نشر الجامعة السلفية بالهند، ط٣، ١٤٠٤ هـ.

٩٦. **مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح**، للملا علي قاري، تحقيق جمال عيتاني، تصوير دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٢ هـ.

٩٧. **مستخرج أبي عوانة على صحيح مسلم = المسند الصحيح المخرَّج على صحيح مسلم**.

٩٨. **المسند**، لأبي داود الطيالسي، تحقيق د. محمد التركي، نشر دار هجر للطباعة، ط. الأولى، عام ١٤١٩ هـ.

٩٩. **المسند**، لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، تحقيق فريق من الباحثين بإشراف د عبد الله بن عبد المحسن التركي، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤٢٩ هـ.

١٠٠. **المسند**، لأبي يعلى أحمد بن علي الموصلي، تحقيق حسين سليم أسد، نشر مكتبة الرشد بالرياض، ط١، ١٤٣٠ هـ.

١٠١. **مسند البزَّار = البحر الزخَّار**.

١٠٢. **مسند ابن الجعد المعروف بالجعديات**، تحقيق عبد المهدي عبد القادر، نشر مكتبة الفلاح بالكويت، ط. الأولى ١٤٠٥ هـ.

١٠٣. **المسند الصحيح المخرَّج على صحيح مسلم**، لأبي عوانة يعقوب بن إسحاق الإسفراييني، تحقيق أيمن عارف الدمشقي، نشر دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٤١٩ هـ.

١٠٤. **المسند المستخرج على صحيح مسلم**، لأبي نعيم الأصبهاني، تحقيق محمد حسن الشافعي، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

١٠٥. **مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه**، لشهاب الدين أحمد بن أبي بكر البوصيري، تحقيق محمد الكشناوي، نشر الدار العربية للكتب، بيروت، ط. عام ١٤٠٣ هـ.

١٠٦. **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**، لأبي العباس الفيومي، تحقيق عادل مرشد، نشر دار المعرفة، بيروت، لبنان.

١٠٧. **المصنَّف**، لعبد الرزاق بن همَّام الصنعاني، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، نشر المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٤٠٣ هـ.

١٠٨. **المصنَّف، في الأحاديث والآثار** لأبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي ومحمد عوَّامة، نشر دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة، ط١، عام ١٤٣١هـ.

١٠٩. **معالم السنن**، لأبي سليمان حَمْدِ بن محمد الخطَّابي، عناية ونشر محمد راغب الطباخ في **مطبعته العلمية بحلب، ط١، عام ١٣٥١ هـ.**

١١٠. **المعجم الكبير**، لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي،

١١١. **المغني في فقه مذهب الإمام أحمد**، لموفق الدين أبي محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي، عناية جماعة من العلماء، نشر دار الكتاب العربي، بيروت.

١١٢. **مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج**، للشربيني، نشر دار الفكر، بيروت، لبنان، ط. الأولى، ١٤٠٥ هـ.

١١٣. **المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم**، لأبي العباس أحمد بن عمر القرطبي، تحقيق هاني الحاج، نشر المكتبة التوقيفية، القاهرة.

١١٤. **الملخص الفقهي**، للشيخ صالح الفوزان، عناية ونشر دار ابن الجوزي، الرياض، ط. العاشرة ١٤٢٠ هـ.

١١٥. **مناقب الإمام الشافعي**، للبيهقي، تحقيق أحمد صقر، نشر مكتبة دار التراث، مصر، ط. عام ١٣٩٩ هـ.

١١٦. **مواهب الجليل في شرح مختصر خليل**، لأبي عبد الله محمد بن محمد المغربي، المعروف بالحطَّاب الرعيني، عناية زكريا عميرات، نشر دار عالم الكتب، بيروت، ط٢، ١٤٢٨هـ.

١١٧. **الموطأ**، للإمام مالك بن أنس، رواية يحيى بن يحيى الليثي، تحقيق د. خليل مأمون شيحا، نشر دار المعرفة، بيروت، ط٢، ١٤٢٩ هـ .

١١٨. **الموطأ**، للإمام مالك بن أنس، رواية أبي مصعب الزُّهري، تحقيق بشار عواد ومحمود خليل، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٤١٨ هـ.

١١٩. **الموطأ**، للإمام مالك بن أنس، رواية ابن مسلمة القعنبي، تحقيق عبد المجيد تركي، نشر دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٩٩ م.

١٢٠. **الموطأ**، للإمام مالك بن أنس، رواية سويد الحدثاني، تحقيق عبد المجيد تركي، نشر دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٩٤ م

١٢١. **الموطأ**، للإمام مالك بن أنس، رواية محمد بن الحسن الشيباني، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف، نشر وزارة الأوقاف بجمهورية مصر العربية، ط٤، ١٤١٤ هـ .

١٢٢. **نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر**، لابن حجر العسقلاني، تحقيق عبد الله الرحيلي، نشر مطبعة سفير، الرياض، ط. الأولى ١٤٢٢ هـ.

١٢٣. **النهاية في غريب الحديث والأثر**، لأبي السعادات المُبارك بن محمد الجزري، الشهير بابن الأثير، عناية رائد بن صبري بن أبي علفة، نشر بين الأفكار الدولية، عمَّان .

ثانيًا: المصادر المخطوطة:

١. **المنتقى من مسموعات الحافظ**، ضياء الدين المقدسي بمرو، مصوَّرةٌ عن النسخة الخطية المحفوظة في المكتبة الظاهرية بدمشق برقم (٣٤٤).

ثالثًا: الرسائل العلمية:

١. **إرشاد السالك إلى حلِّ ألفية ابن مالك**، لبرهان الدين إبراهيم بن محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، تحقيق الباحث محمد بن عوض السهلي، رسالة علمية لنيل درجة الدكتوراه من كلية اللغة في الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، عام ١٤١٩ هـ.

مجلة تعظيم الوحيين

حديث
«لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة»
(دراية ورواية)

د/ وائل بن فوّاز دخيل

الأستاذ المشارك بقسم علوم الحديث بكلية الحديث الشريف
والدراسات الإسلامية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

abodakheel@gmail.com

مجلة تعظيم الوحيين

ملخص البحث

موضوع البحث:

دراسة حديث «**لن يفلح قوم وَلّوا أمرهم امرأة**» دراية ورواية.

هدف البحث:

١- المساهمة في الذب عن سنة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعن صحابته الكرام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ .

٢- تصحيح مفهوم خطأ عن حديث البحث.

٣- تأصيل مبدأ عدم معارضة العقل الصحيح للنقل الصحيح الصريح.

مشكلة البحث:

رد حديث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في ولاية المرأة مع صراحته، لأنه -كما يُزعم- يخالف العقل، ومطعون في صحابيه الجليل أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ المجمع على صحبته وفضله، وهي سابقة خطيرة تفتح باب الطعن في الصحابة، ومن ثَمَّ رد السنن.

نتائج البحث:

١) صحة حديث «**لن يفلح قوم وَلّوا أمرهم امرأة**» على مذهب جميع المحدثين.

٢) ثبوت عدالة الصحابي أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالإجماع، ورد الشبهات حول الطعن فيه.

٣) إجماع الأئمة المتقدمين على قبول متن الحديث، ولم يطعن فيه إلا بعض المعاصرين.

٤) أجمع العلماء على عدم جواز الولاية العامة للمرأة، والقول بالجواز خرم للإجماع.

الكلمات الدَّالة (المفتاحية):

يفلح- قوم- الولاية- المرأة.

مجلة تعظيم الوحيين

المقدمة

الحمد لله أنزل الكتاب ولم يجعل له عوجًا، والصلاة والسلام على الرحمة المهداة، والنعمة المسداة، نبينا وشفيعنا وسيدنا محمد، الذي ما ترك خيرًا إلا دلنا عليه، ولا شرًا إلا حذرنا منه، فصلوات ربي وسلامه عليه، وعلى آله الأطهار، وصحابته الأبرار، وعلى من سار على دربهم إلى يوم القرار.

وبعد..

فإن الدفاع عن السنة والذب عنها من علامات الإيمان، ومن محبة المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكمال اتباعه المأمورين به في قوله تعالى ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾﴾ [سورة الحشر: جزء من آية ٧] وفي قوله: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [سورة النساء].

ولقد ظهرت في هذه الأعصار طعنات في السنة بقصد أو بغير قصد، وسبب هذا عدم التمسك بمنهج السلف والأئمة السابقين، وإدخال العقل في كل شاردة وواردة؛ فردت السنن تارة بالتحريف، وتارة بالتأويل، وتارة بالنبذ وهلم جرا.

ومن الأحاديث التي تكلم فيها بعض المعاصرين لأنه يخالف - في نظرهم - المشاهد المظنون، وإن تُذرع ببعض الشبهات حديثُ أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في ولاية المرأة، ووصل الأمر إلى الطعن في الصحابي الجليل أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مما لم يقل به أحد من العلماء السابقين، والدافع وراء ذلك قدرة المرأة على مشاركة الرجل، وإمكاناتها المساوية له - في زعمهم -، والمصيبة الضغط العالمي والداخلي الذي يفضي مع بعض الشبه إلى القول بأقوال توافق الرأي الدولي المناهض للإسلام، وليس هذا عجيبًا مع مطالبات بمساواة المرأة للرجل في الميراث والشهادة، وفي زمن يُجَوّز فيه الزواج المثلي، فأسأل الله بمنه وكرمه أن يرد المسلمين إلى دينهم ردًا حميدًا. والله المستعان.

مشكلة البحث:

رد حديث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في ولاية المرأة مع صراحته، لأنه -كما يُزعم- يخالف العقل، ومطعون في صحابيه الجليل أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ المجمع على صحبته وفضله، وهي سابقة خطيرة تفتح باب الطعن في الصحابة، ومن ثم رد السنن .

حد البحث:

دراسة حديث أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من جهة الإسناد والمتن .

أهمية البحث، وأسباب اختياره:

١) قراءة مقال في جريدة محلية [(١)]- مع الأسف - اشتمل على الطعن في الحديث وفي صحابيه .

٢) تعد ظاهرة الطعن في الصحابة سابقة خطيرة في وسط أهل السنة والجماعة، ولهذا لا بد من التأكيد على فضلهم، وعلو شأنهم .

٣) هذا الحديث يعد من أحاديث العلل، ولا يخفى فضل هذا العلم على المختصين .

٤) مساهمة في الدفاع عن أحاديث صحيح البخاري المجمع على مكانته المرموقة في الأُمَّة .

٥) إثبات أن العقول تتفاوت من خلال الردود العقلية؛ وبالتالي: لا يمكن أن تكون هي الحَكَم، وإنما التسليم لله ولرسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

الدراسات السابقة:

لقد كتب الشيخ العلامة: عبدالمحسن العباد البدر رسالة أسماها: « الدفاع عن الصحابي أبي بكرة ومروياته والاستدلال لمنع ولاية النساء على الرجال» [(٢)]، وهي ردّ على أحد المشايخ المعاصرين[(٣)]، ركز فيها على فضل أبي بكرة، وما له من مرويات، ودافع عنه، وناقش المردود عليه عقليًا، غير أن رسالة

(١) جريدة المدينة، في يوم الثلاثاء (٨/ ١/ ٢٠١٣)م للكاتبة د. سهيلة زين العابدين حماد، ومع الأسف خلا من المنهجية العلمية!.

(٢) وقد أفدت من رسالة الشيخ نفع الله به .

(٣) وهو أ. د. محمد بن سليمان الأشقر رَحِمَهُ اللَّهُ له مقال ـ بعنوان: (نظرة في الأدلة الشرعية حول مشاركة المرأة في الوظائف الرئاسية والمجالس النيابية ونحوها) صحيفة الوطن الكويتية، في (٢٩/ ٥/ ٢٠٠٤)م، وبعد أن رد عليه جماعة على هذا المقال يطول ذكرهم أخرج مقالًا أسوء من منه بتاريخ السبت (٢٠/ ٦/ ٢٠٠٤) في الصحيفة ذاتها .

الشيخ – نفع الله بعلومه– لم تدرس إسناد الحديث وما تكلم فيه بعض المتقدمين[1]، واكتفى بوجوده في صحيح البخاري، وفي زمن توجه السهام إلى الصحيحين والطعن فيهما يحتاج معه إلى مزيد بيان، كما حرصت على إضافة ردود عقلية تزيد المؤمن يقينًا، وكلمات لعل الله أن يهدي بها قلوبًا غفلت عن المنهج القويم .

منهج البحث:

استخدمت المنهج الاستقرائي الاستنتاجي .

خطة البحث:

لقد قسمت البحث إلى مقدمة، وتمهيد، ومبحثين وفيهما مطالب، وخاتمة فيها أهم النتائج، وفهارس.

المقدمة وتشتمل على مشكلة البحث، وحده، وأهميته وأسباب اختياره، والدراسات السابقة.

التمهيد ويشتمل على مكانة الصحابة، وترجمة مختصرة للصحابي أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ومبدأ تقديم العقل على النقل.

المبحث الأول: حديث أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من جهة الإسناد، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تخريج الحديث

المطلب الثاني: ذكر علة الحديث والجواب عنها .

المطلب الثالث: شبهة المعاصرين [2] حول أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

المطلب الرابع: دعوى أن الأحاديث الأفراد لا يُعتد بها في الأحكام

المبحث الثاني: حديث أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من جهة المتن، وفيه مطلبان:

---

(١) وكذلك بقية المقالات، فقد يتسمك بعضهم بشبه حول الإسناد .

(٢) سأكتفي بالشبه الواردة في المقالين المشار إليهما سابقًا (لسهيلة والأشقر) –دون الأخير للأشقر فلم يصنع شيئًا–؛ فقد جمعا الشبه، وعليه فلست بحاجة إلى التنصيص فيما يأتي عليهما إلا إذا انفرد أحدهما بذكر شبهة فإني أنسبها له، والشبه عندهما واحدة تقريبًا، والكلام نفسه على شبه المتن . والله الهادي إلى سواء السبيل .

المطلب الأول: أقوال الأئمة السابقين في قبولهم للمتن .

المطلب الثاني: شبه المعاصرين حول المتن والرد عليها .

الخاتمة وفيها أهم النتائج.

التمهيد

مكانة الصحابة:

إن الله سبحانه لما أرسل رسوله محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اصطفى له أصحابًا ينصرونه، ويلازمونه، وينقلون عنه الدين ليبقى أبدًا إلى قيام الساعة .

وهذا الاصطفاء كرامة منه تعالى، ومنحة ربانية، زكاهم الله تعالى في كتابه فقال: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [سورة التوبة]، وقال سبحانه:

﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾﴾ [سورة الحديد] .

وهم وقاية للإسلام وحفظ له؛ يذبون عن حياضه الدخيل، وينفون عنه الانحراف والتضليل، أخرج مسلم في صحيحه [1]، عن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: صَلَّيْنَا الْمَغْرِبَ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ قُلْنَا: لَوْ جَلَسْنَا حَتَّى نُصَلِّيَ مَعَهُ الْعِشَاءَ قَالَ فَجَلَسْنَا، فَخَرَجَ عَلَيْنَا، فَقَالَ: «**مَا زِلْتُمْ هَاهُنَا؟**» قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ صَلَّيْنَا مَعَكَ الْمَغْرِبَ، ثُمَّ قُلْنَا: نَجْلِسُ حَتَّى نُصَلِّيَ مَعَكَ الْعِشَاءَ، قَالَ «**أَحْسَنْتُمْ أَوْ أَصَبْتُمْ**» قَالَ فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ، وَكَانَ كَثِيرًا مِمَّا يَرْفَعُ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ، فَقَالَ: «**النُّجُومُ أَمَنَةٌ لِلسَّمَاءِ، فَإِذَا ذَهَبَتِ النُّجُومُ أَتَى السَّمَاءَ مَا تُوعَدُ، وَأَنَا أَمَنَةٌ لِأَصْحَابِي، فَإِذَا ذَهَبْتُ أَتَى أَصْحَابِي مَا يُوعَدُونَ، وَأَصْحَابِي أَمَنَةٌ لِأُمَّتِي، فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِي أَتَى أُمَّتِي مَا يُوعَدُونَ**».

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ في قوله: «**وأصحابي أمنة لأمتي فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون**»: «معناه من ظهور البدع والحوادث في الدين، والفتن فيه، وطلوع قرن الشيطان، وظهور الروم وغيرهم عليهم، وانتهاك المدينة ومكة، وغير ذلك وهذه كلها من معجزاته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» [2].

(١) صحيح مسلم (٤/ ١٩٦١) رقم (٢٥٣١).

(٢) المنهاج شرح على مسلم (١٦/ ٨٣).

وهم خير القرون، بشهادة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذ قال: «**خَيْرُ أُمَّتِي قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ**» (١).

فهم عدول بتعديل الله لهم، حبهم إيمان، وبغضهم علامة النفاق، والطعن فيهم مزلة، وانحراف عن المنهج القويم .

قال الإمام الطحاوي: «ونحب أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا نفرط في حب أحد منهم،ولا نتبرأ من أحد منهم ونبغض من يبغضهم وبغير الخير يذكرهم، ولا نذكرهم إلا بخير، وحبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان» (٢).

وقال الحافظ الخطيب البغدادي رَحِمَهُ اللَّهُ في (الكفاية): «باب ما جاء في تعديل الله ورسوله للصحابة، وأنه لا يحتاج للسؤال عنهم؛ لأن عدالة الصحابة ثابتة معلومة بتعديل الله لهم وإخباره عن طهارتهم، واختياره لهم في نص القرآن، (٣) ..... وأنهم أفضل من جميع المعدلين والمزَكِّين الذين يجيؤن من بعدهم أبد الآبدين، هذا مذهب كافة العلماء ومن يعتد بقوله من الفقهاء ...» (٤).

قال الإمام النووي: «الصحابة كلهم عدول من لابس الفتن وغيرهم بإجماع من يعتد به» (٥).

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «والصحابة كلهم عدول عند أهل السنة والجماعة؛ لما أثنى الله عليهم في كتابه العزيز، وبما نطقت به السنة النبوية في المدح لهم في جميع أخلاقهم وأفعالهم، وما بذلوه من الأموال والأرواح بين يدي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ رغبة فيما عند الله من الثواب الجزيل، والجزاء الجميل» (٦).

قال الحافظ ابن حجر: «اتفق أهل السنة على أن الجميع عدول، ولم يخالف في ذلك إلا شذوذ من المبتدعة»(٧).

---

(١) أخرجه البخاري ٥/ ٢ رقم (٣٦٥٠)، ومسلم (٤/ ١٩٦٤) رقم (٢٥٣٥) عن عمران بن حصين، وأخرج نحوه البخاري (٨/ ١٣٤) رقم(٦٦٥٨)، ومسلم (٤/ ١٩٦٣) رقم (٢٥٣٣) عن ابن مسعود .

(٢) الطحاوية (ص ٨١) .

(٣) الكفاية (ص ٤٦) .

(٤) المصدر السابق (ص ٤٨) .

(٥) التقريب والتيسير (ص ٩٢) .

(٦) اختصار علوم الحديث مع شرحه الباعث الحثيث(ص ١٨١-١٨٢) .

(٧) الإصابة في تمييز الصحابة (١/ ١٣١) .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومن أصول أهل السنة والجماعة: سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما وصفهم الله به في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [سورة الحشر] ..... ويقبلون ما جاء به الكتاب والسنة والإجماع: من فضائلهم ومراتبهم .... ويقولون: إن هذه الآثار المروية في مساويهم منها: ما هو كذب، ومنها: ما قد زيد فيه ونقص وغير عن وجهه، والصحيح منه: هم فيه معذورون إما مجتهدون مصيبون وإما مجتهدون مخطئون وهم مع ذلك لا يعتقدون أن كل واحد من الصحابة معصوم عن كبائر الإثم وصغائره؛ بل تجوز عليهم الذنوب في الجملة ولهم من السوابق والفضائل ما يوجب مغفرة ما يصدر منهم إن صدر حتى إنه يغفر لهم من السيئات ما لا يغفر لمن بعدهم لأن لهم من الحسنات التي تمحو السيئات ما ليس لمن بعدهم...»[1].

(١) العقيدة الواسطية (ص ١١٥- ١٢٠).

ترجمة مختصرة للصحابي أبي بكرة [١]

هو نُفَيع بن الحارث، وقيل: مسروح بن الحارث، وقيل: نفيع مسروح، ابن كَلَدة بن عمرو بن عِلاج بن أبي سلمة بن عبد العزى بن عمرو بن عوف بن قسي وهو ثقيف، الثقفي، كان عبدًا لبعض أهل الطائف، فتدلى إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ببكرة، فكُني بأبي بكرة، وكان يقول: أنا مولى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو ممن غلبت عليه كنيته، سكن البصرة وأنجب أولادًا هم: عبدالرحمن، وعبدالعزيز، وعبيدالله، ومسلم، سكن البصرة، وتوفي بها سنة إحدى، وقيل: اثنتين وخمسين في خلافة معاوية، وصلى عليه أبو برزة الأسلمي.

وكل ما جاء من ثناء على الصحابة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فأبو بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ داخل فيه، وجاء عن جماعة من العلماء الثناء عليه على سبيل الخصوص، ومن ذلك:

قال الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ: «لم ينزل البصرة من الصحابة ممن سكنها أفضل من عمران بن حصين وأبي بكرة»[٢].

وقال ابن سيرين: «أفضل من نزل البصرة من الصحابة عمران، وأبو بكرة» [٣].

وقال سعيد بن المسيب: «كان مثل النصل من العبادة حتى مات»[٤].

وقال أبو سلمة التبوذكي: «لم يسكن البصرة قط بعد عمران بن حصين أفضل من أبي بكرة، وكان أقْوَلَ بالحق من عمران» [٥] .

وقال العجلي: «من أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بصري، وكان من خيار أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» [٦].

---

(١) له ترجمة في كتب كثيرة، منها: الطبقات لابن سعد (٧/ ١٥-١٦)، ومعجم الصحابة لابن قانع (٣/ ١٤٢-١٤٣)،معرفة الصحابة لأبي نعيم (٥/ ٢٦٨٠-٢٦٨١)، الاستيعاب (٤/ ١٥٣٠-١٥٣١)، (١٦١٤-١٦١٥)،وأسد الغابة (٥/ ١٤٩)،؛(٥/ ٣٣٤)، (٦/ ٣٥)، وتهذيب الكمال(٣٠/ ٥-٩)، وسير أعلام النبلاء (٣/ ٥-١٠)، والإصابة(٦/ ٤٦٧).

(٢) الاستيعاب (٤/ ١٥٣١)،(١٦١٥).

(٣) الإصابة في تمييز الصحابة(٤/ ٥٨٥)

(٤) الاستيعاب(٤/ ١٦١٥) .

(٥) إكمال تهذيب الكمال لمغلطاي(١٢/ ٧٦) .

(٦) معرفة الثقات ٢/ ٣١٩).

وقال ابن عبد البر: «وكان من فضلاء الصحابة» [١]. ومثله لابن حجر [٢].

وقال الحافظ أبو نعيم الأصبهاني: «كان رجلا صالحا ورعا آخى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بينه وبين أبي برزة» [٣].

وقال ابن الأثير: «أبو بكرة من فضلاء أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصالحيهم، .... كَثِير العبادة حَتَّى مات» [٤].

وقال النووي: «وكان أبو بكرة من الفضلاء الصالحين، ولم يزل على كثرة العبادة حتى توفي» [٥].

وقال الذهبي: «وكان من فقهاء الصحابة» [٦].

ولما قسم ابن القيم الصحابة في الفتوى إلى مكثرين ومتوسطين ومقلين؛ جعله في المتوسطين ومعه جماعة كأبي بكر الصديق وعثمان وأبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ جميعًا [٧].

وقال: «وقد أجمع المسلمون على قبول رواية أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ» [٨].

قال ابن كثير: «وأما أبو بكرة نفيع بن الحارث .... فصحابي جليل كبير القدر» [٩].

وقال: «فأما قبول رواية أبي بكرة فجمع عليه» [١٠].

والأقوال فيه كثيرة ولولا إيراد هذه الشبه الواهية عليه لما أطلت، فيكفيه تزكية الله للصحابة-وهم منهم-، وتزكية رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لصحابته [١١].

---

(١) الاستيعاب (٤/ ١٦١٥).

(٢) الإصابة (٦/ ٣٦٩).

(٣) معرفة الصحابة(٥/ ٢٦٨٠).

(٤) أسد الغابة (٦/ ٣٥).

(٥) تهذيب الأسماء واللغات (١/ ١٩٨).

(٦) سير أعلام النبلاء (٣/ ٦).

(٧) إعلام الموقعين (١/ ١٠).

(٨) المصدر السابق (١/ ٩٨).

(٩) البداية والنهاية (١١/ ٢٤٩).

(١٠) مسند الفاروق (٢/ ٥٥٩).

(١١) وقد رُوي في فضله حديث خاص أخرجه أحمد وغيره (٢٩/ ٧١) رقم (١٧٥٣٠) من طريق المغيرة بن مقسم، عن شِبَاك الضبي، عن الشعبي، عن رجل من ثقيف، قال: سَأَلْنَا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلَاثًا، فَلَمْ يُرَخِّصْ لَنَا، فَقُلْنَا: إِنَّ أَرْضَنَا أَرْضٌ بَارِدَةٌ، فَسَأَلْنَاهُ =

مبدأ تقديم العقل على النقل

ظاهرة تقديم العقل على النقل قديمة حديثة، قادها في القديم المبتدعة من الجهمية والمعتزلة وغيرهما، وفي العصر الحديث العصرانيون والليبراليون والعلمانيون ودعاة الحرية، ومن القضايا التي لعبت دورًا كبيرًا في العصر الحديث لهذه الظاهرة قضايا المرأة، ودعوى مساواتها بالرجل في جميع مناحي الحياة، حتى إن القطعيات المنصوصة في الكتاب العزيز كأخذ المرأة نصف ميراث الرجل في مسائل متعددة، وجعل شهادتها على النصف من شهادة الرجل صارت محط جدل في بعض أوساط المجتمع، ومن هذه المسائل عدم جواز ولاية المرأة على المجتمع .

والسبب الرئيس لهذه التأثرات ما يقوم الغرب به من مطالبات بمساواة المرأة بالرجل من خلال الضغوط على الدول الإسلامية سياسيًا واقتصاديًا، واتخذت المؤتمرات، والأبحاث المشبوهة وسيلة لدعم هذه الفكرة.

والمؤمن الحق يعلم أنه لا يمكن أن يتعارض النص الشرعي الصحيح مع العقل السليم؛ فإن النصوص وحي من الله تعالى، وهو أعلم بما خلق، وأحكم الحاكمين، فالعقل خلق الله، والشرع شرع الله، ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [سورة الملك]، وإن من القبيح في حق الإنسان وسَمْه بالتناقض، والتعارض فكيف بالله العظيم؟!.

لكن لما كانت عقول الناس متفاوتة الإدراك، متباينة الفُهوم، تجهل كثيرًا من الحِكَم الإلهية، ظن بعضهم أن هذه النصوص تتعارض مع عقولهم فأوجدوا لأنفسهم حججًا كالسراب لما لم يكمل تسليمهم للوحي، فأوقعت الشكوك في نفوس الناس، فصار من السهل في زماننا ادعاء معارضة النصوص الشرعية للعقل، أو معارضة القرآن الكريم للسنة المطهرة، وسبب هذا حقيقة قِلّت العلم والاطلاع، وعدم مراجعة أهل العلم في هذه المسائل بل صارّ كل من رأى رأيًا أذاعه ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ [سورة النساء: جزء من آية: ٨٣] .

= أَنْ يُرَخِّصَ لَنَا فِي الطُّهُورِ، فَلَمْ يُرَخِّصْ لَنَا، وَسَأَلْنَاهُ أَنْ يُرَخِّصَ لَنَا فِي الدُّبَّاءِ، فَلَمْ يُرَخِّصْ لَنَا فِيهِ سَاعَةً، وَسَأَلْنَاهُ أَنْ يَرُدَّ إِلَيْنَا أَبَا بَكْرَةَ، فَأَبَى، وَقَالَ: "هُوَ طَلِيقُ اللهِ وَطَلِيقُ رَسُولِهِ" وَكَانَ أَبُو بَكْرَةَ خَرَجَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ حَاصَرَ الطَّائِفَ فَأَسْلَمَ. وأرده صاحب الأحاديث الواردة في فضائل الصحابة (٩/ ٤٩٨-٥٠٠) رقم (١٧٦٣) .وحسنه لغيره . والله أعلم

وقد أمرنا الله تعالى بالتسليم المطلق لشرعه يقول سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾ [سورة الأحزاب] وقال: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [سورة النساء] .

وليُتأمل موقف النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما جاءه من يعارضه بعقله في مقابل النص! .

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَضَى فِي امْرَأَتَيْنِ مِنْ هُذَيْلٍ اقْتَتَلَتَا، فَرَمَتْ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى بِحَجَرٍ، فَأَصَابَ بَطْنَهَا وَهِيَ حَامِلٌ، فَقَتَلَتْ وَلَدَهَا الَّذِي فِي بَطْنِهَا، فَاخْتَصَمُوا إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَضَى: أَنَّ دِيَةَ مَا فِي بَطْنِهَا غُرَّةٌ عَبْدٌ أَوْ أَمَةٌ، فَقَالَ وَلِيُّ المَرْأَةِ الَّتِي غَرِمَتْ: كَيْفَ أَغْرَمُ، يَا رَسُولَ اللهِ، مَنْ لاَ شَرِبَ وَلاَ أَكَلَ، وَلاَ نَطَقَ وَلاَ اسْتَهَلَّ؟، فَمِثْلُ ذَلِكَ يُطَلُّ ! [1]، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّمَا هَذَا مِنْ إِخْوَانِ الكُهَّانِ» [2].

وفي رواية من حديث المغيرة بن شعبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَسَجْعٌ كَسَجْعِ الْأَعْرَابِ؟**» [3].

فإن الكُهَّان كانوا يروجون مزخرفاتهم بالأسجاع، ويزوقون أكاذيبهم بها في الأسماع [4]، فكره النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مقالته، لما فيها من رد الأحكام الشرعية بهذه الأسجاع المتكلفة المشابهة لأسجاع الكهان الذين يأكلون بها أموال الناس بالباطل[5].

قال نوح الجامع لأبي حنيفة رَحِمَهُ اللَّهُ: ما تقول فيما أحدثه الناس في الكلام في الأعراض والأجسام؟ فقال: «مقالات الفلاسفة، عليك بالأثر وطريق السلف، وإياك وكل محدثةٍ فإنها بدعة» [6] .

قال ابن الطباع يقول: جاء رجل إلى مالك بن أنس فسأله فقال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

---

(١) يُطَلّ أي: يهدر ويلغى . شرح النووي على مسلم(١١/ ١٧٨) .

(٢) أخرجه البخاري – واللفظ له (-٧/ ١٣٥) رقم (٥٧٥٨)، ومسلم (٣/ ١٣٠٩)رقم (١٦٨١)

(٣) أخرجه مسلم (٣/ ١٣١٠-١٣١١)رقم (١٦٨٢) .

(٤) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٦/ ٢٢٩٥)

(٥) تيسير العلام شرح عمدة الأحكام (ص ٦٤٩).

(٦) ذم الكلام للهروي (٥/ ٢٠٦ -٢٠٧).

كذا. فقال: «**أرأيت لو كان كذا؟**» قال مالك: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [سورة النور:جزء من آية ٦٣].

ثم قال الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « أو كلما جاء رجل أجدل من الآخر رُدَّ ما أنزل جبريل على محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "[١].

وقال الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فيسقط كل شيء خالف أمر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا يقوم معه رأي ولا قياس فإن الله عَزَّوَجَلَّ قطع العذر بقوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» [٢] .

قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فكان من الأصول المتفق عليها بين الصحابة والتابعين لهم بإحسان أنه لا يقبل من أحد قط أن يعُارض القرآن برأيه ولا ذوقه ولا معقوله ولا قياسه ولا وجده، فإنهم ثبت عنهم بالبراهين القطعيات، والآيات البينات أن الرسول جاء بالهدى ودين الحق، وأن القرآن يهدي للتي هي أقوم [٣].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «... لا يتصور أن يعارض العقل الصحيح الوحي أبدًا؛ ولكن الجاهل يظن أن تلك الشبهة عقلية، وهي جهلية خيالية من جنس شبه السوفسطائية، فالحاصل أنه إن عارض ما فهمه من النص بما هو الباطل كان جاهلًا بالوحي ومدلوله،وإن عارض مدلوله وحقيقته التي دل عليها فهو جاهل بالعقل، فلا يتصور أن يجتمع لهذا المعارض علم بالوحي والعقل أصلًا؛ بل إما أن يكون جاهلًا بهما وهو الأغلب على هؤلاء أو بأحدهما» [٤].

وإذا ظهر تعارض بين الدليلين النقلي والعقلي، فلابد من أحد ثلاثة احتمالات:

الأول: أن يكون أحد الدليلين قطعيًا والآخر ظنيًا، فيجب تقديم القطعي نقليًا كان أم عقليًا، وإن كان ظنيين فالواجب تقديم الراجح، عقليًا كان أم نقليًا.

الثاني: أن يكون أحد الدليلين فاسدا، فالواجب تقديم الدليل الصحيح على الفاسد سواء أكان نقليًا أم عقليًا.

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (١/ ١٦٣)

(٢) الأم (٢/ ٢٥٠).

(٣) مجموع الفتاوى (١٣/ ٢٨).

(٤) الصواعق المرسلة: (٤ / ١٢٠٧, ١٢٠٨).

الثالث: أن يكون أحد الدليلين صريحاً والآخر ليس بذاك، فهنا يجب تقديم الدلالة الصريحة على الدلالة الخفية، لكن قد يخفى من وجوه الدلالات عند بعض الناس ما قد يكون بينا وواضحاً عند البعض الآخر، فلا تعارض في نفس الأمر عندئذٍ.

أما أن يكون الدليلان قطعيين - سندا ومتنا- ثم يتعارضان، فهذا لا يكون أبداً، لا بين نقليين، ولا بين عقليين، ولا بين نقلي وعقلي [1].

(١) منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد (١/ ٣٦٦).

المبحث الأول:

حديث أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من جهة الإسناد، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تخريج الحديث

عن أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: لقد نفعني الله بكلمة سمعتها من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أيام الجمل بعد ما كدت أن ألحق بأصحاب الجمل؛ فأقاتل معهم، قال: لما بلغ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن أهل فارس قد ملكوا عليهم بنت كسرى قال: « **لَنْ يُفْلِحَ قَوْمٌ وَلَّوْا أَمْرَهُم امرَأَةً** » .

التخريج:

أخرجه البخاري، في كتاب المغازي، باب كتاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى كسرى (٦/ ٨) رقم (٤٠٧٣) -واللفظ له- وفي كتاب الفتن، باب الفتنة التي تموج كموج البحر (٩/ ٥٥) رقم (٦٥٧٠)، من طريق عوف بن أبي جميلة .

وأخرجه الترمذي في كتاب الفتن، باب ما جاء في النهي عن سب الرياح (٤/ ٥٢٧) رقم (٢١٨٨)، والنسائي في كتاب آداب القضاة، باب النهي عن استعمال النساء في الحكم (٨/ ٢٢٧) رقم (٥٢٩٣)، وأحمد (٣٤/ ٨٥) رقم(٢٠٤٣٨)، والبزار (٩/ ١٠٦) رقم (٣٦٤٧)، والحاكم (٣/ ١١٨-١١٩)، (٤/ ٢٩١)، من طريق حميد الطويل .

وأخرجه أحمد (٣٤/ ١٢٢)، (١٤٩) رقم (٢٠٤٧٨) و (٢٠٥١٧)، وابن حبان (١٠/ ٣٧٥) رقم (٤٥١٦) من طريق مبارك بن فضالة .

وأخرجه الثعالبي (٧/ ٢٠٢) من طريق إسماعيل بن مسلم .

وأخرجه البزار (٩/ ١٠٦) رقم (٣٦٤٨)، وابن عدي (٢/ ١٤٢)، من طريق جعفر بن سليمان،عن كثير بن أبي سهل، كلهم، عن الحسن، عن أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ به .

وطريق إسماعيل بن مسلم قال عنه ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إسماعيل بن مسلم هذا هو المكي ضعيف»[1].

لكنه متابع كما ترى من حفاظ فروايته لا إشكال فيها .

قال الترمذي -بعدما أخرج الحديث-: «هذا حديث حسن صحيح».

وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه»، وأقره الذهبي [2].

وقد قال البزار: «وهذا الكلام قد روي عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من غير وجه، ولا نعلم أحدا رواه إلا أبو بكرة من هذا الوجه».

وستأتي المتابعات للحسن البصري .

المطلب الثاني: ذكر علة الحديث والجواب عنها .

ذكر بعض الأئمة المتقدمين علة لرواية البخاري، وهناك علة أخرى قد يعترض بها، فهما إشكالان يَرِدَان على الحديث على طريقة المحدثين.

الإشكال الأول:

قال الدارقطني: «الحسن لم يسمع من أبي بكرة» [3].

وقال: «وأخرج البخاري أحاديث الحسن عن أبي بكرة، منها: الكسوف [4]، ومنها: «**زادك الله حرصًا ولا تعد**»[5]، ومنها: «**لا يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة**»، ومنها: «**ابني هذا سيد**» [6]، والحسن لا يروي إلا عن الأحنف عن أبي بكرة» [7].

---

(١) البداية والنهاية (٢/ ٣٣١).

(٢) تلخيص المستدرك مع المستدرك (٣/ ١١٩)،(٤/ ٢٩١).

(٣) سؤالات الحاكم للدارقطني (ص ٢٠٨).

(٤) صحيح البخاري (٢/ ٣٣)،(٣٩)رقم (١٠٤٠) و (١٠٦٢) .

(٥) صحيح البخاري (١/ ١٥٦) رقم (٧٨٣) .

(٦) صحيح البخاري (٣/ ١٨٦) رقم (٢٧٠٤) وفي مواطن أخر .

(٧) التتبع (ص٢٢٢-٢٢٣).

ومسألة سماع الحسن من أبي بكرة فيها قولان [١]:

القول الأول: إنه لم يسمع منه .

وهو قول يحيى بن معين[٢]، والدارقطني، وتبعه الباجي [٣] .

القول الثاني: إنه سمع منه .

وهو قول بهز بن أسد العمي البصري (تلميذ الحسن)[٤]، وعلي بن المديني[٥]، والبخاري[٦]، وأبو حاتم [٧]، والبزار[٨]، وهو قول الترمذي -فيما يظهر-؛ لأنه صحح له ثلاثة أحاديث من روايته عن أبي بكرة [٩].

والصحيح القول الثاني، ويدل لذلك أمور:

١- ما وقع في عدة أحاديث من تصريح الحسن بالسماع من أبي بكرة كما في رواية إسرائيل بن موسى البصري (عند البخاري) [١٠]، وزياد الأعلم البصري (عند أبي داود)[١١]، ومبارك بن فضالة

(١) ومن أحسن من وجدته تكلم على هذه المسألة الشيخ عبدالله السعد في كتابه فتح الواحد العلي في الدفاع عن صحابة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (ص ١٦٣)، **وقد أفدت منه**، وزدت فوائد، ويُنظر أيضًا كتاب منهج الإمام البخاري (ص ١٦٨)-(١٧١).

(٢) تاريخ الدوري ت(٤٥٩٧) .

(٣) التعديل والتجريح (١/ ٢٧٨).

(٤) المراسيل لابن أبي حاتم (ص٤٥)، قال: « حدثنا محمد بن سعيد بن بلج، قال: سمعت عبدالرحمن بن الحكم يقول سمعت جريرًا يسأل بهزًا عن الحسن: من لقي من أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟. فقال: سمع من ابن عمر حديثا، وسمع من عمران بن حصين شيئا، **وسمع من أبي بكرة شيئًا** ». فقوله : « شيئًا « يدل على أنها مجموعة أحاديث بخلاف قوله في سماعه من ابن عمر « حديثًا ».

(٥) بعد أن أخرج البخاري (٣/ ١٨٦) رقم (٢٧٠٤)حديث: إن ابن هذا سيد .. « قال: « قال لي علي بن عبدالله: إنما ثبت لنا سماع الحسن من أبي بكرة بهذا الحديث ».

(٦) التاريخ الكبير (٢/ ٥٦)

(٧) الجرح والتعديل (٨/ ٤٨٩) .

(٨) البحر الزخار (٩/ ١٠٩-١١١).

(٩) انظر سنن الترمذي ح(٢٢٦٢) و (٢٢٨٧) و (٣٧٧٣) .

(١٠) وقد بين البخاري أن سماعه ثبت له من طريق إسرائيل . التاريخ الكبير (٢/ ٥٦)، وكذا قال ابن المديني، والحديث في صحيح البخاري ح(٢٥٥٧) حديث « إن ابني هذا سيد « عن الحسن بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا .

(١١) سنن أبي داود (١/ ١٨٢)رقم (٦٨٣) **ليس صريحًا في التحديث** فقد وقع فيه: عن زياد الأعلم، حدثنا الحسن، أن أبا بكرة، حدث أنه دخل المسجد .. « ورأى الشيخ عبدالله السعد أنه تصريح .

البصري(عند أحمد)[1]، ثلاثتهم عن الحسن بالتصريح بالسماع.

٢- ثبت دخول الحسن على أبي بكرة من رواية هشام بن حسان عنه .

قال ابن أبي خيثمة: « حدثنا هوذة بن خليفة، قال: حدثنا هشام بن حسان، عن الحسن، قال: مر بي أنس بن مالك، وقد بعثه زياد إلى أبي بكرة يعاتبه، فانطلقت معه، فدخلنا على الشيخ وهو مريض، فأبلغه عنه، فقال: إنه يقول: ألم أستعمل عبيدالله على فارس؟ ألم أستعمل روادا على دار الرزق؟ ألم أستعمل عبدالرحمن على الديوان وبيت المال؟ فقال أبو بكرة: هل زاد على أن أدخلهم النار؟ فقال أنس: إني لا أعلمه إلا مجتهدًا. فقال الشيخ: أقعدوني إني لا أعلمه إلا مجتهدًا، وأهل حرورا قد اجتهدوا فأصابوا أم أخطأوا؟ قال أنس: فرجعنا مخصومين» [2].

وفي وراية هشام مزية لأنه ممن روى عن الحسن، عن الأحنف، عن أبي بكرة حديث « إِذَا تَوَاجَهَ الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا» [3]، فذكر هنا الواسطة لأن الحسن أخذه عن الأحنف، وفي الحديث الآخر ذكر دخول الحسن على أبي بكرة مما يؤكد تفطنه للحالين، وأن الحسن سمع من أبي بكرة .

٣- إن بهز بن أسد البصري -وهو من القائلين بالسماع- من تلاميذ أصحاب الحسن البصري الثقات المعروفين ، قال أحمد: « إليه المنتهى في التثبت » [4]، فهو مقدم على غيره .

٤- عُلم عن البخاري وقبله شيخه ابن المديني -رحمهما الله -شدتهما في مسألة ثبوت السماع، وقد أثبتا سماع الحسن، قال العلائي: « فالبخاري لا يكتفي بمجرد إمكان اللقاء .. وغاية ما اعتل به الدارقطني أن الحسن روى أحاديث عن الأحنف بن قيس، عن أبي بكرة، وذلك لا يمنع من سماعه منه

(١) حديث: « وإن ابني هذا سيد »، وكان إنكار ابن معين للسماع بسبب رواية ابن فضالة، ولكنه قد تابعه إسرائيل كما مر، فلم ينفرد به، وربما أنه لم يطلع على رواية إسرائيل، والله أعلم .

(٢) تهذيب الكمال في أسماء الرجال (٣٠/ ٧)

(٣) أخرجه أحمد (٣٤/ ٨٧) رقم (٢٠٤٣٩) قال: حدثنا مؤمل بن إسماعيل، حدثنا حماد بن زيد، حدثنا المعلى بن زياد، ويونس، وأيوب، وهشام، عن الحسن، عن الأحنف، عن أبي بكرة به مرفوعًا . وقد علقه البخاري (٩/ ٥١) رقم (٧٠٨٣) .
وقد توبع مؤمل بن سماعيل، فأخرجه الطبراني في الأوسط ٨/ ٢٦٠ رقم (٨٥٧٤)، وأبو نعيم في الحلية (٦/ ٢٦٢)من طريق خالد بن خداش، عن حماد به .
قال أبو نعيم: « صحيح من حديث حماد، وأيوب، متفق على صحته»

(٤) الجرح والتعديل (٢/ ٤٣١).

ما أخرجه البخاري» [١].

٥- لم يفت البخاري ما ذكره الدارقطني من أنه جاءت رواية واحدة في غير هذا الحديث فيها إدخال الأحنف بين الحسن وأبي بكرة، فقد قال في صحيحه: حدثنا عبدالله بن عبد الوهاب، حدثنا حماد، عن رجل، لم يسمه عن الحسن، قال: خرجت بسلاحي ليالي الفتنة، فاستقبلني أبو بكرة، فقال: أين تريد؟ قلت: أريد نصرة ابن عم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إذا تواجه المسلمان بسيفيهما فكلاهما من أهل النار» قيل: فهذا القاتل، فما بال المقتول؟ قال: «إنه أراد قتل صاحبه» قال حماد بن زيد: فذكرت هذا الحديث لأيوب، ويونس بن عبيد، وأنا أريد أن يحدثاني به، فقالا: إنما روى هذا الحديث: الحسن، عن الأحنف بن قيس، عن أبي بكرة، حدثنا سليمان، حدثنا حماد، بهذا. وقال مؤمل: حدثنا حماد بن زيد، حدثنا أيوب، ويونس، وهشام، ومعلى بن زياد، عن الحسن، عن الأحنف، عن أبي بكرة، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [٢].

فها أنت تراه يُعِلّ الرواية السابقة إذ الصواب فيها ذكر الأحنف، لكنه في المقابل يصحح حديث أبي بكرة هنا لأن سماع الحسن من أبي بكرة ثابت ولا مطعن .

٦- إن هذا القول هو قول جمع من الحفاظ البصريين -كما تقدم-، وهم من بلد الحسن، فهم أعلم به من غيرهم.

٧- إن الحسن قد احتج ببعض الأحاديث التي يرويها عن أبي بكرة وصرح بسماعه منه، كحديث: «إن ابني هذا سيد...» [٣]، يريد الحسن بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وعن أبيه .

وقد رد الحافظ في (هدي الساري) على الدارقطني ومن رأى رأيه برد جيد، بين فيه أن الصواب هو ما رآه ابن المديني والبخاري من صحة سماع الحسن من أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال: « والبخاري إنما اعتمد رواية أبي موسى عن الحسن أنه سمع أبا بكرة وقد أخرجه مطولا في كتاب الصلح وقال في آخره: قال لي علي بن عبد الله: (إنما ثبت عندنا سماع الحسن من أبي بكرة بهذا الحديث) .....

(١) جامع التحصيل(ص ١٦٣).

(٢) صحيح البخاري (٩/ ٥١) رقم (٧٠٨٣)

(٣) يُنظر صحيح البخاري (٣/ ١٨٦)، (٩/ ٥٦)رقم (٢٧٠٤)، (٧١٠٩). قال الحسن: ولقد سمعت أبا بكرة يقول: رأيت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على المنبر والحسن بن علي إلى جنبه، وهو يقبل على الناس مرة، وعليه أخرى ويقول: « إن ابني هذا سيد ... » .

ولا زلت متعجبًا من جزم الدارقطني بأن الحسن لم يسمع من أبي بكرة مع أن في هذا الحديث في البخاري، قال الحسن: سمعت أبا بكرة يقول، إلى أن رأيت في (رجال البخاري) لأبي الوليد الباجي في أول حرف الحاء للحسن بن علي بن أبي طالب ترجمة وقال فيها: أخرج البخاري قول الحسن سمعت أبا بكرة فتأول أبو الحسن الدارقطني وغيره على أنه الحسن بن علي؛ لأن الحسن عندهم لم يسمع من أبي بكرة وحمله البخاري وابن المديني على أنه الحسن البصري وبهذا صح عندهم سماعه منه ..... قلت: أوردت هذا متعجبا منه؛ لأني لم أره لغير الباجي وهو حمل مخالف للظاهر بلا مستند، ثم إن راوي هذا الحديث عند البخاري عن الحسن لم يدرك الحسن بن علي فيلزم الانقطاع فيه فما فر منه الباجي من الانقطاع بين الحسن البصري وأبي بكرة وقع فيه بين الحسن بن علي والراوي عنه ومن تأمل سياقه عند البخاري تحقق ضعف، هذا الحمل،والله أعلم» [٤].

وعليه يدفع قول الدارقطني -السابق-: «والحسن لا يروي إلا عن الأحنف عن أبي بكرة»، وسيأتي مزيد بطلان لهذا؛ لكن مما يحسن التنبه له هنا أن الدارقطني لا يضعف الحديث، وإنما غاية قوله أنه يقول: إن بين الحسن وأبي بكرة الأحنفَ بن قيس، وهو ثقة كما هو معلوم، فمقصده ترجيح هذا على رواية البخاري.

وربما يشكل عليه أن حديثنا هذا جاء من طريق الحسن، عن الأحنف بن قيس، عن أبي بكرة نحوه، مما يظن معه تقوية كلام الدارقطني السابق!.

فقد أخرجه نعيم بن حماد في الفتن (١/ ١٧٤): قال: حدثنا بقية بن الوليد، عن سليمان الأنصاري، عن الحسن عن الأحنف بن قيس قال: بايعت علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: فرآني أبو بكرة وأنا متقلد سيفًا، فقال: ما هذا يا ابن أخي؟، قلت: بايعت عليًا، قال: لا تفعل يا ابن أخي، فإن القوم يقتتلون على الدنيا، وإنما أخذوها بغير مشورة، قلت: فأم المؤمنين، قال: امرأة ضعيفة، سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**لا يفلح قوم يلي أمرهم امرأة**».

وبقية معروف بالتدليس وعن الضعفاء، ويسوي الأسانيد[٥]، وما صرح بالسماع، ولم أهتد إلى معرفة سليمان الأنصاري هذا إلا أن يكون ابن خارجة بن زيد بن ثابت الأنصاري، من السادسة، قال

(٤) هدي الساري(ص ٣٦٥ – ٣٦٦) . فائدة: يقال له: هُدى الساري، كذا وجد في إحدى مخطوطات الكتاب التي اطلعت عليه.

(٥) تعريف أهل التقديس (ص ١٠٢).

عنه الحافظ: «مقبول» [١]، وربما كان هذا من تدليس الشيوخ، والله أعلم .

على أن الحديث خطأ بلا شك، فقد أدخل حديثين في حديث!! .

فأما الحديث الأول والذي هو من رواية الأحنف:

فأخرجه البخاري [٢]- واللفظ له-، ومسلم [٣] من طريق حماد بن زيد، عن أيوب، ويونس، عن الحسن، عن الأحنف بن قيس قال: ذهبت لأنصر هذا الرجل فلقيني أبو بكرة، فقال: أين تريد؟.

قلت: أنصر هذا الرجل، قال: ارجع، فإني سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار**»، قلت: يا رسول الله هذا القاتل؛ فما بال المقتول؟. قال: «**إنه كان حريصا على قتل صاحبه**»..

والرجل هو علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

والحديث الثاني: هو حديثنا .

فعلم أن بقية أو غيره جعل الحديثين حديثًا واحدًا .

ومما ينبغي عدم إغفاله أن نعيم بن حماد رَحِمَهُ اللَّهُ صاحب (الفتن) متكلم في حفظه فقد قال عنه ابن حجر: «صدوق يخطئ كثيرًا» [٤].

وقد جهدت أن أجد حديثًا يرويه الحسن، عن الأحنف عن أبي بكرة غير الحديث السابق الذكر فلم أجد، وهذا يضعف الأخذ بكلام الدارقطني بأن الواسطة بين الحسن وأبي بكرة هو الأحنف بن قيس، بل إن البخاري لما روى الحديث السابق في ذكر قصة الأحنف أوردها من طريق رجل لم يسم، وفيها عن الحسن عن أبي بكرة، ونبّه على أن الصواب عن الأحنف عن أبي بكرة، مما يدل على تفطنه رَحِمَهُ اللَّهُ للمسألة، وأن ما حكم به من صحة سماع الحسن من أبي بكرة في حديثنا هو أمر محسوم صحته عنده . والله أعلم .

---

(١) التقريب(ص ٢٥٠).

(٢) صحيح البخاري (١/ ١٥)، (٩/ ٤) رقم (٣١)، (٦٨٧٥) .

(٣) صحيح مسلم (٤/ ٢٢١٤) رقم (٢٨٨٨)، وعنده متابعة المعلّى بن زياد لأيوب ويونس . .

(٤) التقريب (ص ٥٦٤).

الإشكال الثاني:

إن الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ مُدلِّس، ولم يصرح بالسماع في شيء من طرق هذا الحديث-فيما وقفت عليه- .

والألباني صرح بأنه الحسن مدلس ولم يصرح، مع أنه صحح الحديث بالمتابعة [١].

ويجاب عن هذا بأمرين:

الأمر الأول: إن البخاري وهو من يتشدد في مسألة السماع -كما عُرف من مذهبه- قد أخرج الحديث، فعلمنا أنه ثبت عنده سماع الحسن لهذا الحديث من أبي بكرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وهو من هو، وعدم وقوفنا في هذه الأزمنة المتأخرة على سماع له لا ينفي وجوده، وقد قال المزي: «وما فيه إلا تحسين الظن بهما» عندما سأله السبكي عن حديث المدلسين في الصحيحين [٢] .

الأمر الثاني: إن الحافظ ابن حجر عدّ الحسن البصري من المدلسين من أهل الطبقة الثانية[٣]، وهم من احتمل كثير من الأئمة تدليسهم في جنب كثرة ما رووا ، فقد قال ابن حجر في المرتبة الثانية من مراتب المدلسين في الصحيحين: « من أكثر الأئمة من إخراج حديثه إما لإمامته، أو لكونه قليل التدليس في جنب ما روى من الحديث الكثير، أو أنه كان لا يدلس إلا عن ثقة ». وعدّ منهم الحسن البصري [٤].

فالأئمة لم يتشددوا في تدليس الحسن إلا إذا وجدوا ما يستنكر من روايته وأيضًا فالحسن في البصرة مع أبي بكرة قرابة الخمس عشرة سنة، فيغلب على الظن حرصه عليه، والإتيان إليه، والله أعلم .

ومع هذا كله فقد توبع الحسن البصري، ومن تابعه هم:

١- عبدالرحمن بن جَوْشَن .

أخرجه الطيالسي ٢/ ٢٠٥ رقم (٩١٩)، وعنه ابن أبي شيبة ٧/ ٥٣٨، وأحمد(٣٤/ ٤٣١٢٠)، ١٢١ رقم (٢٠٤٠٢) و (٢٠٤٧٤) و(٢٠٤٧٧)، من طريق عُيينة بن عبدالرحمن بن جَوْشَن، عن أبيه، عن أبي بكرة نحوه بلفظ « أسندوا أمرهم إلى امرأة ».

---

(١) ينظر إرواء الغليل(٨/ ١٠٩)، رقم (٢٤٥٦)، ولم يشر في تخريجه إلى علة الدارقطني السابقة الذكر .

(٢) النكت على ابن الصلاح (٢/ ٦٣٦) .

(٣) تعريف أهل التقديس (ص ١٠٢)، والنكت على ابن الصلاح (٢/ ٦٤٠) .

(٤) ينظر النكت على ابن الصلاح (٢/ ٦٣٨)،

وهذا إسناد صحيح؛ فإن عبدالرحمن بن جَوْشَن ثقة [١].

وكذلك عُيينة على الصحيح [٢].

قال أحمد: « ليس به بأس صالح الحديث » [٣].

وقال ابن معين: « ليس به بأس » [٤]وقال مرة: « ثقة » [٥].

وقال علي بن المديني: « عيينة عندنا ثقة » [٦].

وقال ابن سعد: «كان ثقة إن شاء الله » [٧].

وقال أبو حاتم: « صدوق » وقال ابن أبي حاتم: « حدثنا أبي حدثنا علي بن محمد الطنافسى، حدثنا وكيع عن عيينة بن عبد الرحمن بن جوشن الغطفاني وكان ثقة » [٨].

وقال النسائي: « ثقة » [٩].

وقال العجلي: « ثقة » [١٠].

وذكره ابن حبان في (الثقات) [١١].

فالخلاصة أن الحديث صحيح لا مطعن فيه .

---

(١) التقريب (ص ٣٣٨).

(٢) أما الحافظ فقال: « صدوق ». التقريب (ص ٤٤١).

(٣) العلل ومعرفة الرجال (٣/ ٢٨٦).

(٤) تاريخ الدوري ت (٣٦١٨) .

(٥) الجرح والتعديل (٧/ ٣١).

(٦) سؤالات ابن أبي شيبة (ص ٦٢).

(٧) الطبقات (٧/ ٢٧٢).

(٨) الجرح والتعديل (٧/ ٣١).

(٩) تهذيب التهذيب (٨/ ٢١٥).

(١٠) معرفة الثقات -(٢/ ٢٠١) .

(١١) الثقات(٧/ ٣٠١).

٢- عبدالعزيز بن أبي بكرة .

أخرجه أحمد ح(٢٠٤٥٥) - واللفظ له-، والبزار (٩/ ٢٦) ح(٣١٢٠)، والطبراني في الأوسط ١/ ١٣٥ رقم(٤٢٥)،، وابن عدي (٢/ ٤٣)، والحاكم (٤/ ٢٩١) من طريق بكار بن عبدالعزيز بن أبي بكرة، قال: سمعت أبي يحدث عن أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه شهد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أتاه بشير يبشره بظفر جند له على عدوهم ورأسه في حجر عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فقام فخر ساجدًا، ثم أنشأ يسائل البشير، فأخبره فيما أخبره أنه ولي أمرهم امرأة، فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « **الآن هلكت الرجال إذا أطاعت النساء، هلكت الرجال إذا أطاعت النساء**» ثلاثًا .

قال الحاكم: « صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه »، وأقره الذهبي [١] .

كذا قالا -رحمهما الله-، وليس كذلك! .

فإن بكارًا أورده الذهبي في (الميزان) ناقلا كلام الأئمة في حقه، وتضعيفهم إياه [٢].

فقال ابن معين: « ليس حديثه بشيء « [٣].

واعتمد قوله العقيلي في إيراده في (الضعفاء)، وتكلم على حديث من روايته في الحجامة[٤].

وقال ابن عدي: « وأرجو أنه لا بأس به، وهو من جملة الضعفاء الذين يكتب حديثهم»[٥].

ونقل الحافظ ابن حجر فيه أقوالا أخرى [٦]وهي:

قال إسحاق بن منصور عن ابن معين: « صالح» [٧].

وقال البزار: « ليس به بأس» [٨]، وقال مرة: « ضعيف ».

---

(١) تلخيص المستدرك (٤/ ٢٩١).

(٢) ميزان الاعتدال (١/ ٣٤١).

(٣) تاريخ الدوري ت (٣٢٦٩) .

(٤) الضعفاء (١/ ٤٦٢ -٤٦٣).

(٥) الكامل(٢/ ٤٣).

(٦) ينظر التهذيب (١/ ٤١٩-٤٢٠).

(٧) الجرح والتعديل (٢/ ٤٠٨).

(٨) البحر الزخار (٩/ ١٣٣).

وقال يعقوب بن سفيان في باب من يرغب عن الرواية عنهم: «ضعيف» [١].

ورأى الحافظ بأنه: «صدوق يهم» [٢].

فضعفه محقق، بل إن حديثه هنا منكر لأمرين:

١- مخالفته للحسن البصري، وعبدالرحمن بن جوشن في متن الحديث وسياقه، وهما أوثق منه، بل لا يوازن بهما .

٢- تفرده بذكر عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في قصة الحديث وأنها كانت مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين قال الحديث، والمعروف أنها سبب في ذكر أبي بكرة للحديث.

ورُوي الحديث من وجه آخر عن عبدالعزيز بن أبي بكرة .

أخرجه البزار(٩/ ١٣٢-١٣٣) رقم (٣٦٨٥) من طريق أبي قتيبة، حدثنا أبو المنهال البكراوي، عن عبدالعزيز بن أبي بكرة، عن أبيه بنحو رواية الحسن عن أبي بكرة .

وقد استنكره البزار بقوله: « وأبو المنهال لا نعلم أسند عنه إلا أبو قتيبة، أسند عنه حديثين ... » وساق منهما هذا الحديث ثم قال: «وهذا الحديث قد رُوي عن أبي بكرة من وجوه، ولا نعلم رواه غير أبي بكرة، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإنما ذكرنا عن أبي المنهال؛ لأن أبا المنهال لم يحدث بغير هذين الحديثين، فلذلك ذكرناهما ليجتمعا في موضع واحد».

٣- عمر بن الهَجَنَّع .

أخرجه ابن أبي شيبة (١٣/ ٥٥ -) واللفظ له-، والعقيلي (٦/ ٨٢)، والبزار(٩/ ٢٢) رقم (٣١١٦) والبيهقي في الدلائل (٧/ ٢٦٠)، وابن الجوزي في الموضوعات (٢/ ٢٤٢) رقم (٧٩٩) من طريق عبدالجبار بن العباس الشِّبَامي، عن عطاء بن السائب، عن عمر بن الهَجَنَّع، عن أبي بكرة قال: قيل له: ما منعك أن تكون قاتلت على بَصيرتك يوم الجمل؟، قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: يخرج قوم هلكى لا يفلحون، قائدهم امرأة، قائدهم في الجنة ».

(١) المعرفة والتاريخ (٢/ ٧١) .

(٢) التقريب (ص ١٢٦).

قال العقيلي: «عمر بن الهجنع عن أبي بكرة لا يتابع عليه، ولا يعرف إلا به» (١).

ولهذا قال الذهبي: «لا يعرف» (٢).

وعبدالجبار بن عباس مختلف فيه (٣)، وقد قال ابن حجر: «صدوق يتشيع» (٤).

وشيعيته ثابتة، ولذا نبه العقيلي هنا على تشيعيه، فإن الحديث مما ينصر بدعته .

وعطاء بن السائب اختلط، ولا يدرى متى روى عنه عبدالجبار (٥).

والحديث منكر مخالف لرواية الثقات .

قال ابن كثير: «وهذا منكر جدًا، والمحفوظ ما رواه البخاري ..» (٦) وذكر حديثنا .

بل إن ابن الجوزي أخرجه في (الموضوعات) متهمًا فيه عبدالجبار، وتعقبه السيوطي في (اللآلئ) (٧) بتوثيق بعض الأئمة لعبدالجبار، وأن الأئمة تكلموا في الحديث من جهة عمر بن الهجنع.

والخلاف شكليٌ، فليست المسألة حرفية، مرتبطة بوجود كذاب في الإسناد، فإنه قد يقع في المتن نكارة شديدة يجزم الناقد معها بعدم ثبوت الحديث عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فكيف وقد وجد مع هذا جهالة راو، وتشيع آخر ربما حمله مذهبه على التدليس عمن لا يُوثق بروايته؟!.

وقع في (مجمع الزوائد) عن عبدالله بن الهَجَنَّع قال: «لَمَّا قَدِمَتْ عَائِشَةُ زَوْجُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتَيْنَا أَبَا بَكْرَةَ فَقُلْنَا: هَذِهِ عَائِشَةُ كَنْتَ تَقُولُ: عَائِشَةُ عَائِشَةُ، هِيَ ذِي عَائِشَةُ قَدْ جَاءَتْ، فَاخْرُجْ مَعَنَا. فَقَالَ: إِنِّي ذَكَرْتُ حَدِيثًا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَذَكَرَ بِلْقِيسَ صَاحِبَةَ سَبَأٍ فَقَالَ: «لَا يُقَدِّسُ اللهُ أُمَةً قَادَتْهُمُ امْرَأَةٌ».

قال الهيثمي معلقًا: «قلت: لأبي بكرة حديث في (الصحيح) غير هذا، رواه الطبراني؛ وفيه جماعة

(١) الضعفاء (٦/ ٨١).

(٢) ميزان الاعتدال (٣/ ٢٣٢) .

(٣) يُنظر تهذيب التهذيب (٦/ ١٠٢-١٠٣).

(٤) التقريب(ص ٣٣٢).

(٥) تُنظر الكواكب النيرات(ص ٣١٩) وما بعدها .

(٦) البداية والنهاية (٩/ ١٨٩).

(٧) ينظر اللآلئ المصنوعة (١/ ٣٧٣).

لم أعرفهم»[١].

ولم أقف عليه في المطبوع من الطبراني، ولعله تحريف عن عمر بن الهَجَنَّع [٢]، والله أعلم .

٤- عبدالرحمن بن أبي بكرة .

أخرجه ابن قانع (٣/ ١٤٣)، قال: حدثنا الحسين بن سهل بن عبدالعزيز، حدثنا أبو عاصم، حدثنا عتيبة بن عبدالرحمن بن أبي بكرة، عن أبيه، عن أبي بكرة قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا يفلح قوم تملك أو تلي أمرهم امرأة».

وعتيبة بن عبدالرحمن لم أقف له على ترجمة، ولم أجد من ذكر لعبدالرحمن ولدًا اسمه عتيبة، وقد قيل أن كان يقول: «أنا أنعم الناس، أنا أبو أربعين، وعم أربعين، وخال أربعين، وعمي زياد الأمير، وكنت أول مولود بالبصرة»[٣]. والله أعلم.

وبالنظر إلى المتابعات يتلخص أن المتابعة الأولى ثابتة، والباقية لا تثبت .

فحديثنا ثابت على مذهب جميع الأئمة والحمد لله [٤].

تتمة:

رُوي هذا الحديث من غير طريق أبي بكرة، ولم يثبت .

فقد أخرجه الطبراني في الأوسط (٥/ ١٢٣) من طريق عبدالرحمن بن عمرو بن جبلة، عن أبي عوانة، عن سماك بن حرب، عن جابر بن سمرة مرفوعًا .

قال الطبراني: «لا يروى هذا الحديث عن جابر بن سمرة إلا بهذا الإسناد؛ تفرد به عبدالرحمن بن عمرو بن جبلة».

---

(١) مجمع الزوائد (٥/ ٢٠٩-٢١٠ رقم (٩٠٦١) .

(٢) وكذا قال الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ . السلسلة الضعيفة (١٣/ ١٥٩-١٦٠) رقم: (٦٠٦٢).

(٣) سير أعلام النبلاء (٤/ ٣٢٠).

(٤) وقلت هذا حتى لا يُظن أن الأئمة عندما يعلون حديثًا لسبب في الإسناد أن لا يكون ثابتًا عندهم من طريق أخرى، وهذا أمر معلوم غني عن التمثيل، ومن نظر في كتب العلل تبين له ذلك بجلاء .

والأحناف رَحِمَهُمُ اللَّهُ وهم يرون جواز الولاية الخاصة للمرأة كالقضاء لم يطعنوا في هذا الحديث، وإنما حملوه على الولاية العامة - كما سيأتي-، وهذا فرق دقيق بين من يطعن في الأحاديث لأنها تخالف فهمه فيضعفها بلا حجة، وبين من يجعل يثبت الحديث وإن أخطأ فهمه .

وقال الهيثمي: «رواه الطبراني في (الأوسط) عن شيخه أبي عبيدة عبدالوارث بن إبراهيم، ولم أعرفه، وبقية رجاله ثقات» [١].

مع أنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال مرارًا عن عبدالرحمن هذا: « متروك» [٢] .

المطلب الثالث: شبهة المعاصرين حول أبي بكرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

نلحظ ثناء العلماء عليه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ كما تقدم،فهو صحابي جليل، لم يطعن في صحبته ولا فضله أحد من السلف أو الخلف، وهو داخل في عموم الصحابة الذين زكاهم الله في كتابه، وزكاهم على لسان رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهم عدول بإجماع الأمة، فإن عقيدة أهل السنة والجماعة سلامة صدورهم على أصحاب رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى الذين خاضوا في الفتنة، فكيف بمن لم يخض فيها؟!.

قال الإمام أبو بكر البيهقي: «كل من روى عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ممن صحبه أو لقيه فهو ثقة لم يتهمه أحد ممن يحسن علم الرواية فيما روى» [٣].

وقد أجمع علماء المسلمين سلفًا وخلفًا طيلة أربعة عشر قرنًا وزيادة على قبول مرويات أبي بكرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وأثبتها علماء الحديث في دواوين السّنّة، له عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مئة حديث واثنان وثلاثون حديثًا، اتفق البخاري ومسلم منها على ثمانية أحاديث، وانفرد البخاري بخمسة، ومسلم بحديث [٤]، وله في الكتب الستّة خمسة وخمسون حديثًا [٥]، فالقول بالطعن شذوذ لم يعرفه أهل العلم إلا في هذا العصر![٦].

---

(١) مجمع الزوائد (٠٩٥/ ٣٧٨).

(٢) المجمع (٧/ ٣٠٠، ٥٧٦)، (٨/ ١٦٠)، (١٨٢)، (١٠/ ٥٤٥).

(٣) تحقيق منيف الرتبة (ص ٩٠) .

(٤) تهذيب الأسماء واللغات (١/ ١٩٨) .

(٥) ينظر حديثه في تحفه الأشراف من ح (١١٦٥٤) إلى ح (١١٧٠٨)

(٦) فلا عبرة بكُتَّاب لم تتشرب قلوبهم علم الشريعة، ولا أثنوا الركب بين أيدي أهل العلم، وقصارى ما عندهم قراءات في كتب تحكمهم فيها شبهات أعداء أهل الإسلام لم يستطيعوا دفعها، أما الدكتور محمد الأشقر – غفر الله له– من أهل العلم، وله جهود مشكورة لكن قد زلت قلمه في هذه المسألة ، بل صرح هو نفسه بأنه لم يسبق إلى هذا القول عندما سأله الشيخ العلامة عبدالمحسن العباد عنه. ينظر الدفاع عن الصحابي أبي بكرة ومروياته (ص ٢٦).
ثم د/ الأشقر في مقاله الثاني في الجريدة نفسها بتاريخ ٢٠/ ٦/ ٢٠٠٤ يقول: سبقني إليه البخاري نفسه حين روى في كتاب الشهادات . من صحيحه الباب (٨) أن عمر رضي الله جلد أبا بكرة ومن معه الذين اتهموا المغيرة وردّ شهادتهم ما لم يتولوا أليس هذا اسقاطًا =

وتتلخص شبهة من طعن فيه بأن أبا بكرة محدود حدّ القذف في قصة المغيرة بن شعبة لما رُمي بالزنا، وقد قال الله عزّ وجل عمن حُدّ في القذف ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ۝٤ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٥﴾ [سورة النور] وقد قال له عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: « تُبْ أقبل شهادتك»، ولم يتب [1]، فلا يصح الأخذ بروايته حتى لو كان الحديث صحيحًا، وراويها لا تقبل شهادته، ورواية الحديث شهادة على الله ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

الرد على الشبهة:

١) إجماع الأئمة سلفًا وخلفًا على قبول روايته، وخُرّج حديثه في الصحاح والسنن والمسانيد وغيرها، وإن الطاعن فيه لم يفهم معنى الآية -كما سيأتي-، والعلماء قد اطلعوا على قصة أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ولم تخف عليهم، ولا جهلوا فقهها، ولكمال علمهم أجمعوا على الاحتجاج بروايته، بلا خلاف بينهم .

٢) الآية تتحدث عن القاذف لا عن الشاهد، فإن الله سبحانه يقول: ﴿لَّوْلَا جَاءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَٰئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾[سورة النور:١٣]، فالقاذف هو من يأتي بالشاهد،

= لعدالتهم إن كنت يا من قلت هذا الكلام من أهل العلم الفاقهين.؟ «!!

فيا عجبًا، أيعني هذا أن البخاري مغفل يسقط عدالته ثم يخرج له؟!!، أو أنه فهم ما فهمه جميع العلماء الفرق بين الشهادة في الزنا هنا والرواية؟!.

والمصيبة أنه استخدم كلامه في تضليل الناس، فأما هو فنسأل الله له الرحمة بما قدم من خير، والحذر الحذر من اتباع سقطات أهل العلم، وزلاتهم. والله المستعان

(١) أصل قصة المغيرة بن شعبة مشهورة، غير أن هناك روايات مكذوبة مدارها على محمد بن عمر الواقدي، وسيف بن عمر المطعون فيهما – كما لا يخفى على المختصين –، وفي روايتهما زيادات منكرة، وإثما الثابت أصل القصة .فحريٌ أن تدرس كلها دراسة علمية دقيقة، وقد قال ابن الهمام الحنفي: عن ما رُوي عن عمر أنه قال: تب أقبل توبتك: « ففي ثبوته نظر، لأن راويه عمرو بن قيس « فتح القدير (٧/ ٤٠٢).

وللباحث أشرف صلاح علي بحث في إنكار جلد أبي بكرة، نشر بعضه في مقال في جريدة الرأي العام الكويتية بتاريخ (٧/ ٦/ ٢٠٠٤م)، وهو موجود كاملًا في ملتقى أهل الحديث http://s20.co/jFGiF

فيقول: « كل ما أتى في قذف أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأن المغيرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قد ألم بامرأة أجنبية عنه لا يصح». وقد جمع تلك الروايات وهي اثنتا عشرة رواية، وحكم بعدم صحتها، وحقيقة لم أقف على حسب اطلاعي على من قال هذا قبله، فتتبعت كلامه، فوجدت في بعضه تكلفًا، فسرت على ثبوت القصة مع أن بعض الروايات منكرة كما تقدم، ويتكئ عليها من لا يحسن علم الحديث، فيحسن أن تجمع هذه الروايات في جزء وتدرس دراسة علمية، وأحسِب أنها تكون إضافة في بابها .

فلا يوصف الشاهد بالكذب؛ لأن النقص لم يأت منه وإنما من غيره، فكيف يتحمل هذا النقص فترد روايته؟!، وهذه بعض نصوص الأئمة التي تؤكد هذا المعنى .

- قال أبو الوفاء ابن عقيل الحنبلي: «قال أحمد: ولا يرد خبر أبي بكرة ولا من جُلد معه؛ لأنَّهم جاؤوا مجيء الشهادة، ولم يأتوا بصريح القذف، ويسوغ فيه الاجتهاد، ولا ترد الشهادة بما يسوغ فيه الاجتهاد». ثم قال ابن عقيل: «ولما نص على أنَّه لا ترد الشهادة في ذلك، كان تنبيهاً على أنَّه لا يرد الخبر، لأنَّ الخبر دون الشهادة، ولأنَّ نقصان العدد معنى في غيره، وليس بمعنى من جهته»[1].

- وقال أبو بكر الإسماعيلي: «لم يمتنع أحد من التابعين فمن بعدهم من رواية حديث أبي بكرة والاحتجاج به، ولم يتوقف أحد من الرواة عنه، ولا طعن أحد على روايته من جهة شهادته على المغيرة، هذا مع إجماعهم أن لا شهادة لمحدود في قذف غير تائب فيه، فصار قبول خبره جارياً مجرى الإجماع، كما كان رد شهادته قبل التوبة جارياً مجرى الإجماع» [2].

- قال ابن حزم: «ما سمعنا أن مسلمًا فسّق أبا بكرة، ولا امتنع من قبول شهادته على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أحكام الدين .... فقد استنبط العلماء من حديث أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ... عدم جواز تولية المرأة الخلافة والمناصب الرئاسية التي تكون فيها معنى الولاية كالقضاء والحسبة ونحوه» [3].

- قال أبو الخطاب الكلوذاني: «فصل: إذا كان الراوي محدوداً في قذف فلا يخلو أن يكون قذف بلفظ الشهادة أو بغير لفظها، فإن كان بلفظ الشهادة لم يرد خبره، لأن نقصان عدد الشهادة ليس من فعله، فلم يرد به خبره، ولأن الناس اختلفوا: هل يلزمه الحد أم لا؟ وإن كان بغير لفظ الشهادة رد خبره؛ لأنه أتى بكبيرة إلا أن يتوب» [4].

- وقال أبو إسحاق الشيرازي: «وأما أبو بكرة ومن جُلد معه في القذف، فإن أخبارهم مقبولة؛ لأنَّهم لم يُخرجوا القول مخرج القذف، وإنما أخرجوه مخرج الشهادة، وجلدهم عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ باجتهاده، فلا يجوز ردّ أخبارهم»[5].

---

(١) الواضح في أصول الفقه(٥/ ٢٧).

(٢) إكمال تهذيب الكمال(١٢/ ٧٧).

(٣) المحلى (٩/ ٤٤٣)، أما ولاية القضاء ففيها خلاف، سيأتي -بإذن الله- .

(٤) التمهيد (٣/ ١٢٧).

(٥) شرح اللمع: (٢/ ٦٣٨).

- وقال ابن قدامة: «المحدود في القذف إن كان بلفظ الشهادة فلا يرد خبره؛ لأنَّ نقصان العدد ليس من فعله، ولهذا روى الناس عن أبي بكرة، واتفقوا على ذلك وهو محدود في القذف، وإن كان بغير لفظ الشهادة فلا تقبل روايته حتى يتوب»[١].
- فالأئمة يفرقون بين ما كان بلفظ الشهادة وما كان بلفظ القذف، وقد ذكر ذلك جمع غير من سبق منهم العلائي [٢]، والزركشي [٣].
- وللعلامة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى كلام نفيس يوافق فيه كلام الأئمة قال مبينًا سبب القذف للمغيرة: « يظهر لنا في هذه القصة أنَّ المرأة التي رأوا المغيرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مخالطًا لها عندما فتحت الريح الباب عنهما، إنما هي زوجته ولا يعرفونها، وهي تشبه امرأة أخرى أجنبية كانوا يعرفونها تدخل على المغيرة وغيره من الأمراء، فظنوا أنَّها هي، فهم لم يقصدوا باطلاً، ولكن ظنهم أخطأ وهو لم يقترف إن شاء الله فاحشة لأنَّ أصحاب رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعظم فيهم الوازع الديني الزاجر عما لا ينبغي في أغلب الأحوال، والعلم عند الله" [٤].

المطلب الرابع: دعوى أن الأحاديث الأفراد لا يُعتد بها في الأحكام [٥]!.

إن دعوى عدم حجية خبر الآحاد في الأحكام بدعة قديمة، مناقضة لمذهب أهل السنة والجماعة، ويأسف المرء عندما يقول بهذه الشبهة أحد ينسب إلى السنة!، ولهذا قَبِل العلماء حديث أبي بكرة، ولم يجرؤ أحد أن يقول بأنه حديث فرد؛ فنردّه!!.

وقد ألف العلماء قديمًا وحديثًا في حجية خبر الواحد في الأحكام والعقائد، من أولهم الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ الذي تكلم عنها ضمن كتابه العظيم (الرسالة) .

قال الإمام الشافعي: «لم أحفظ عن فقهاء المسلمين أنهم اختلفوا في تثبيت خبر الواحد بما وصفتُ من أن ذلك موجوداً على كلهم » [٦] .

(١) روضة الناظر (١/ ٣٠٣) .

(٢) تحقيق مرتبة لمن ثبت له شرف الصحبة (ص ٩٢).

(٣) البحر المحيط (٤/ ٢٩٩).

(٤) مذكرة أصول الفقه (ص ١٤٤).

(٥) هذا مما قالته د. سهيلة زين العابدين، واستخدمت مصطلح «الأحاديث المفردة»!!، وهو مصطلح لا يُعرف عند أهل العلم، وإنما يقولون: الحديث الفرد، أو الأحاديث الأفراد، أو الغريبة، أو الآحاد .

(٦) الرسالة(ص ٤٥٧-٤٥٨). هكذا قال: موجودًا، على لغة من ينصب معمولي (أن) .

وكلام العلماء مستفيض في هذا الموضوع، وكُتب فيه أبحاث علمية [1]، وأدلة هذه المسألة متكاثرة مما يغني عن سردها في هذا المقام .

وشرط خبر الواحد أن يكون ثابتًا عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فمتى صح فلا يرد بالعقول المجردة، والآراء التي لا تستند إلى أدلة لها حظ من النظر، فكيف إذا انضم إلى الصحة الواضحة كونه في صحيح البخاري الذي أجمعت الأمة على قبوله، وأنه وصحيح مسلم أصح كتابين بعد كتاب الله تعالى؟!! [2] .

والذي يَحُز في النفس أن يحاول بعضهم الانتصار لقوله في توهين الأحكام باتباع مناهج منحرفة تخالف منهج السنة، أعاد الله القائل إلى الحق .

(١) من هذه الكتب: أخبار الآحاد في الحديث النبوي: صحيتها، مفادها، العمل بموجبها لفضيلة شيخنا د. عبدالله بن عبدالرحمن بن جبرين رَحِمَهُ اللَّهُ ، خبر الواحد الصحيح وأثره في العمل والعقيدة لـ د. نور الدين محمد عتر الحلبي، ، خبر الواحد وحجيته للشيخ أحمد بن محمود عبد الوهاب الشنقيطي، رد شبهات الإلحاد عن أحاديث الآحاد تحديد التواتر عند أهل الكلام لعبدالعزيز بن راشد النجدي، حجية خبر الآحاد في العقائد والأحكام لعبدالله بن عبدالرحمن الشريف، حجية خبر الآحاد في العقائد والأحكام لـ د. ربيع بن هادي المدخلي

(٢) ولم يستثن أحد منهما شيئًا إلا ما أعله الأئمة بعلم لا برأي مجرد عارٍ عن الهدى . يُنظر علوم الحديث لابن الصلاح ص٢٩، وفتح المغيث للسخاوي (١/ ٧٤) .

وحديثنا تقدم أنه يصح على مذهب جميع الأئمة، بل عمل به كلهم على تفصيل عندهم في فهمه لا من حيث الصحة كما سيأتي .

المبحث الثاني: حديث أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من جهة المتن،

المطلب الأول: أقوال الأئمة السابقين في قبولهم للمتن .

إن العلماء رَحِمَهُمُ اللَّهُ بعد قبلوهم صحة الحديث، عملوا بمتنه، فهو أصل في هذا الباب، فبوب النسائي رَحِمَهُ اللَّهُ على الحديث في (السنن الصغرى) [١] بقوله: (النهي عن استعمال النساء في الحكم)، وقال في الكبرى [٢]: (ترك استعمال النساء على الحكم) .

وأما الفقهاء فنورد بعض أقوال المذاهب الأربعة:

أولًا من حيث الولاية العامة:

أجمعوا على أن المرأة لا تتولاها .

قال ابن حزم: « وجميع فرق أهل القبلة ليس منهم أحد يجيز إمامة امرأة، ولا إمامة صبي لم يبلغ إلا الرافضة فإنها تجيز إمامة الصغير الذي لم يبلغ والحمل في بطن أمه وهذا خطأ لأن من لم يبلغ فهو غير مخاطب والإمام مخاطب بإقامة الدين» [٣].

وقال الإمام البغوي: « اتفقوا على أنَّ المرأة لا تصلح أن تكون إماماً ولا قاضياً؛ لأنَّ الإمام يحتاج إلى الخروج لإقامة أمر الجهاد والقيام بأمور المسلمين، والقاضي يحتاج إلى البروز لفصل الخصومات، والمرأة عورة لا تصلح للبروز» [٤].

وقال أبو بكر بن العربي المالكي عن الحديث: «هذا نص في أن المرأة لا تكون خليفة،ولا خلاف فيه»[٥].

وقال ابن قدامة: « ولا تصلح للإمامة العظمى، ولا لتولية البلدان؛ ولهذا لم يول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

---

(١) السنن (٨/ ٢٢٧)

(٢) السنن الكبرى (٥/ ٤٠٢) .

(٣) الفصل في الملل (٤/ ٨٩) . وإنما أوردت النص كاملاً بذكر تجويز الرافضة لإمامة الصبي، حتى يُعلم شناعة ما يُقال في إمامة المرأة التي لم يوافق عليها حتى الرافضة على انحرافهم .

(٤) شرح السنة(١٠/ ٧٧).

(٥) أحكام القرآن (٣/ ٤٨٢) .

ولا أحد من خلفائه، ولا من بعدهم، امرأة قضاء ولا ولاية بلد، فيما بلغنا، ولو جاز ذلك لم يخل منه جميع الزمان غالبًا» [١].

ثانيًا: الخلاف في صحة الولاية في بعض مسائل القضاء مع إثم المُوَلِيّ لها! .

مذهب جمهور أهل العلم عدم جواز ولاية المرأة مطلقًا، وهو مذهب المالكية، والشافعية، والحنابلة .

قال الشيخ عليش المالكي في ذكر شرط الذكورة في القضاء: «فلا تصح تولية امرأة؛ لحديث البخاري «**لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة**» »[٢].

وقال الشربيني الشافعي: « فلا تصح ولاية امرأة، لما في الصحيح (لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة) ولا ولاية خنثى وإن بانت ذكورته » [٣].

وقال البهوتي الحنبلي في شروط القاضي: « وهي عشرة (ويشترط كون قاض بالغا عاقلا)؛ لأن غير المكلف تحت ولاية غيره، فلا يكون واليا على غيره، (ذكرا) لحديث «ما أفلح قوم ولوا أمرهم امرأة»؛ ولأنها ضعيفة الرأي ناقصة العقل، ليست أهلا للحضور في محافل الرجال، ولم يول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا أحد من خلفائه امرأة قضاء»[٤].

وقال ابن حزم: «استنبط العلماء من حديث أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ... عدم جواز تولية المرأة الخلافة والمناصب الرئاسية التي تكون فيها معنى الولاية كالقضاء والحسبة ونحوه» [٥]

مذهب الحنفية صحة تولي المرأة القضاء للمرأة في غير الحدود والقصاص مع الإثم!.

قال ابن عابدين الحنفي: « «والمرأة تقضي في غير حد وقود وإن أثم المولي لها» لخبر البخاري «**لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة**» «وتصلح ناظرة» لوقف «ووصية» ليتيم «وشاهدة»»[٦] .

---

(١) المغني (١٤/ ١٣).

(٢) منح الجليل شرح مختصر خليل (٨/ ٢٥٩)

(٣) مغني المحتاج (٥/ ٤١٨).

(٤) شرح منتهى الإرادات (دقائق أولي النهى) (٣/ ٤٩٢) .

(٥) المحلى(٩/ ٤٤٣) .

(٦) الدر المختار (٥/ ٤٤٠) .

وقد قال ابن نجيم الحنفي في (الأشباه والنظائر) عن أحكام الأنثى: « ولا ينبغي أن تولى القضاء وإن صح منها في غير الحدود والقصاص» [١].

قال أبو بكر بن العربي المالكي عن الحديث: « هذا نص في أن المرأة لا تكون خليفة ولا خلاف فيه، ونقل عن محمد بن جرير الطبري إمام الدين أنه يجوز أن تكون المرأة قاضية ولم يصح ذلك عنه، ولعله نقل عنه كما نقل عن أبي حنيفة أنها إنما تقضي فيما تشهد فيه، وليس بأن تكون قاضية على الإطلاق، ولا بأن يكتب لها منشور بأن فلانة مقدمة على الحكم إلا في الدماء والنكاح ، وإنما سبيل ذلك كسبيل التحكيم أو الاستنابة في القضية الواحدة بدليل قوله(لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة) وهذا هو الظن بأبي حنيفة وابن جرير»[٢].

وما قاله ابن العربي رَحِمَهُ ٱللَّهُ فَهْمٌ دقيق للخلاف لا كما يشاع في زماننا من إحداث أقوال منشؤها عدم فهم كلام أهل العلم، ونقل عبارتهم دون معرفة مقاصدهم، فالقضاء عند أبي حنيفة ليس على إطلاقه.

فهذا فهم أهل الفقه وأهل الحديث لما ورد، فهل بعد هذا نقبل المزايدة عليهم؟!

والصحيح في المسألة قول الجمهور للأدلة الآتية:

١) عموم حديث أبي بكرة الصحيح المستدل به من كلا القولين، فلا دليل يوجب التخصيص، فنبقى على العموم .

٢) إن تأثيم القول الثاني للتولية يؤكد الحظر، فالتوجه حينها للإبطال أصح من التأثيم مع التصحيح، وبخاصة أن الحديث رُبط بالفلاح الذي عكسه الخسران .

قال الشوكاني: «فليس بعد نفي الفلاح شيء من الوعيد الشديد ورأس الأمور هو القضاء بحكم الله عَزَّوَجَلَّ فدخوله فيها دخولا أوليا» [٣].

٣) لم يولِّ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا أحد من الخلفاء الراشدين المرأة، لا عامة ولا خاصة مما يؤكد هذا الفهم.

(١) الأشباه والنظائر (ص ٣٥٧) .

(٢) أحكام القرآن(/ ٤٨٢) .

(٣) السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار (ص ٨١٧) .

٤) أنها – مع فضلها وشرفها – أنقص رأيًا من الرجل، وتغلبها العاطفة – وهي فيها كمال لها–، وهذا مشاهد ملموس لا ينكره إلا مكابر، أثبته الشرع، والعقل، والعلم الحديث، ولهذا الشريعة جعلت شهادتها على النصف من شهادة الرجل إجماعًا بنص القرآن العظيم

يقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُا۟ فِى ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾﴾ [سورة الزُّخرُف]

قال قتادة: «كل ما تكلمت به امرأة تريد أن تتكلم بحجتها، إلا تكلمت بالحجة عليها» (١).

وقال ابن كثير: «المرأة ناقصة يكمل نقصها بلبس الحلي منذ تكون طفلة، وإذا خاصمت فلا عبارة لها، بل هي عاجزة عَيية، ... فالأنثى ناقصة الظاهر والباطن، في الصورة والمعنى، فيكمل نقص ظاهرها وصورتها بلبس الحلي وما في معناه، ليجبر ما فيها من نقص، .... أما نقص معناها، فإنها ضعيفة عاجزة عن الانتصار عند الانتصار، لا عبارة لها ولا همة».

وقد قال ابن قدامة في إنكار قضاء المرأة: « ولأن القاضي يحضر محافل الخصوم والرجال، ويحتاج فيه إلى كمال الرأي وتمام العقل والفطنة، والمرأة ناقصة العقل، قليلة الرأي، ليست أهلا للحضور في محافل الرجال، ولا تقبل شهادتها، ولو كان معها ألف امرأة مثلها، ما لم يكن معهن رجل، وقد نبه الله تعالى على ضلالهن ونسيانهن بقوله تعالى: ﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ﴾ (٢) [سورة البقرة: بضع آية ٢٨٢]

وهذا لَعَمر الله إنّ هذا النقص في المرأة كمال لها، فكيف لو كانت مثل الرجل لما ألفها، ولا سكن إليها، ولما استطاعت تربية الأولاد الذي يعجز عنها أشجع الرجال، فرضي الله عن النساء المؤمنات وأرضاهن.

٥) الشريعة نهت عن مخالطة المرأة للرجال فيما لا حاجة له، وإن جعل الولاية لها يجعلها أكثر اختلاطًا بالرجال، وما يخفى محظور هذا (٣).

(١) تفسير عبد الرزاق (٣/ ١٦٦).

(٢) المغني (١٤/ ١٢-١٣).

(٣) وهناك كتب كثيرة كتبت في تحريم الاختلاط، والقصد هنا أن في كونها والية، أو قاضية اختلاط بَيّن، يذهب فيه حياء المرأة.

المطلب الثاني: شبه المعاصرين حول المتن والرد عليها .

الشبهة الأولى: دعوى مخالفة الحديث للقرآن الكريم

إن هذا الحديث مخالف للقرآن، فقد أورد الله قصة مكلة سبأ فقال ﷻ عن الهدهد: ﴿إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةٗ تَمۡلِكُهُمۡ وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ وَلَهَا عَرۡشٌ عَظِيمٞ ﴿٢٣﴾﴾ إلى آخر القصة [سورة النمل: ٢٣-٤٤]

فقيل: إن الله أثنى عليها، وهذا يعارض الحديث .

الرد على الشبهة:

الاستشهاد بقصَّة المرأة التي ملكت اليمن، كما في سورة النمل، هو حكاية عمَّن كان قبلنا، وقد تقرر في أصول الفقه أن ما جاء في شرعنا بخلاف من قبلنا فتكون العبرة بما في شرعنا إجماعًا [(١)]، فكيف وهو لم يذكر أنه شرع من الشرائع السماوية؟، بل كانت وقومها كفَّاراً يسجدون للشمس من دون الله .

قال الألوسي: « وليس في الآية ما يدل على جواز أن تكون المرأة ملكة، ولا حجة في عمل قوم كفرة على مثل هذا المطلب » [(٢)].

فكيف يصح الاستدلال بأحوال الكفار على شريعة؟!.

الشبهة الثانية:

إن الإسلام منح المرأة حق البيعة في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ يُبَايِعۡنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشۡرِكۡنَ بِٱللَّهِ شَيۡـٔٗا وَلَا يَسۡرِقۡنَ وَلَا يَزۡنِينَ وَلَا يَقۡتُلۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأۡتِينَ بِبُهۡتَٰنٖ يَفۡتَرِينَهُۥ بَيۡنَ أَيۡدِيهِنَّ وَأَرۡجُلِهِنَّ وَلَا يَعۡصِينَكَ فِي مَعۡرُوفٖ فَبَايِعۡهُنَّ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُنَّ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١٢﴾﴾ [سورة الممتحنة] فيكون لها حق الولاية، ومادام لها أن تُبايع؛ لها أن تُبايَع مثلها مثل الرجل تمامًا [(٣)]!!.

الرد على الشبهة:

لو قيل: طالما هي مسلمة، ومُخَاطبة بالشريعة مثل الرجل فلها حق الولاية!، لكان مثيل هذا القول.

---

(١) وإنما خلافهم في شرع من قبلنا لو لم يرد شرعنا به، فهل يُقال به أو لا؟ ينظر اللمع للشيرازي(ص ٦٣) .
قال صاحب تهذيب الفروق (٢/ ٧٥): « وكون شرع من قبلنا شرع لنا محله إذا لم يعارض ».

(٢) روح المعاني (١٩/ ١٨٩).

(٣) هذا رأي د. سهيلة زين العابدين .

فهذا قياس مع الفرق الظاهر، ولو قيست ولايتها على شهادتها لكان أصح بجامع نقص الرأي .

لنتأمل هذه البيعة والتي عرفت عند العلماء ببيعة النساء، هي متعلقة بوجوب نبذ الشرك، وإقامة توحيد الله، واجتناب المحرمات، وطاعة الله ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولهذا سُميت بيعة أهل العقبة الأولى ببيعة النساء إذ لم يكن فيها جهاد [1]، فكيف يستدل بهذه البيعة على البيعة العظمى في تولي المرأة!.

ويؤكد هذا أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يأخذ هذه البيعة على النساء وهن في المدينة، وقد استقرت دولة الإسلام .

أخرج الشيخان[2] – واللفظ لمسلم – عن ابن عباس قَالَ: شَهِدْتُ صَلَاةَ الْفِطْرِ مَعَ نَبِيِّ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ، وَعُثْمَانَ، فَكُلُّهُمْ يُصَلِّيهَا قَبْلَ الْخُطْبَةِ، ثُمَّ يَخْطُبُ، قَالَ: فَنَزَلَ نَبِيُّ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ حِينَ يُجَلِّسُ الرِّجَالَ بِيَدِهِ، ثُمَّ أَقْبَلَ يَشُقُّهُمْ، حَتَّى جَاءَ النِّسَاءَ، وَمَعَهُ بِلَالٌ، فَقَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ [سورة الممتحنة:١٢]، فَتَلَا هَذِهِ الْآيَةَ حَتَّى فَرَغَ مِنْهَا، ثُمَّ قَالَ: حِينَ فَرَغَ مِنْهَا «أَنْتُنَّ عَلَى ذَلِكِ؟» فَقَالَتِ امْرَأَةٌ وَاحِدَةٌ، لَمْ يُجِبْهُ غَيْرُهَا مِنْهُنَّ: نَعَمْ، يَا نَبِيَّ اللهِ لَا يُدْرَى حِينَئِذٍ مَنْ هِيَ، قَالَ: «فَتَصَدَّقْنَ»، فَبَسَطَ بِلَالٌ ثَوْبَهُ، ثُمَّ قَالَ: هَلُمَّ فِدًى لَكُنَّ أَبِي وَأُمِّي، فَجَعَلْنَ يُلْقِينَ الْفَتَخَ، وَالْخَوَاتِمَ فِي ثَوْبِ بِلَالٍ .

ومع هذا فحال المرأة في صفة البيعة تختلف عن الرجل؛ فأخرج الشيخان [3] – واللفظ لمسلم – عن عروة، أن عائشة أخبرته عن بيعة النساء، قالت: مَا مَسَّ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَدِهِ امْرَأَةً قَطُّ، إِلَّا أَنْ يَأْخُذَ عَلَيْهَا، فَإِذَا أَخَذَ عَلَيْهَا، فَأَعْطَتْهُ، قَالَ: «اذْهَبِي، فَقَدْ بَايَعْتُكِ»، مما يؤكد اختلاف المرأة عن الرجل، فالمرأة بالكلام فقط، والرجل بالمصافحة .

ومن جهة أخرى فإن البيعة الكبرى تنعقد بدون النساء إجماعًا، كما في ولاية أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في سقيفة بني ساعدة، فكل من فيها رجال، وهذا من الفروق الظاهرة كذلك .

---

(١) ينظر السيرة النبوية لابن هشام (١/ ٤٣١)،(٤٣٣)، (٤٥٤). وقد أخرج أصل الحديث البخاري وبوب عليه باب بيعة النساء (٩/ ٧٩)رقم (٧٢١٣)، ومسلم (٣/ ١٣٣٣)رقم (١٧٠٩) .

(٢) أخرجه البخاري (٦/ ١٥٠)رقم (٤٨٩٥)، ومسلم (٢/ ٦٠٢) رقم (٨٨٤) .

(٣) أخرجه البخاري (٦/ ١٥٠) رقم (٤٨٩١) ، ومسلم (٣/ ١٤٨٩) رقم (١٨٦٦) .

الشبهة الثالثة: دعوى مخالفة الحديث للعقل والواقع

الحديث يدل على بطلان أن يفلح قوم تتولى رئاسة دولتهم امرأة في حال من الأحوال، ومعنى هذا أنه لو وجدت امرأة على رأس إحدى الدول، ونجحت تلك الدولة في أمورها الدنيوية فيكون ذلك دالا على أن هذا الحديث كذب مكذوب على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقد وجد في العصور الحديثة دول كثيرة تولت رئاستها نساء، ونجحت تلك الدول نجاحات باهرة [١].

الرد على الشبهة

إن محاكمة الأحاديث الثابتة تحت دعوى مخالفة العقل والواقع خطأ منهجي، ومزلق خطير، يؤدي بالإنسان إلى الانحراف، - وقد تقدم في الحديث عن مسألة العقل في التمهيد -، وأما دعوى مخالفة الواقع فنحن نقول: إن النجاح دعوى، فهذه الدول التي نجحت - في رأي القائل- لا تحكم فيها المرأة حكمًا وإنما هي تنفذ، وتعمل ضمن فرق عمل هي من تتخذ القرار، وبالتالي: ليس لها إلا التصريحات، وفي المقابل هناك دول تعاني الأمرين بسبب تولي النساء لها، فهلا امتثلنا لشرع ربنا، وسلمنا لكلام رسولنا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

الشبهة الرابعة: دعوى المصلحة في مشاركة المرأة الرجل في الولاية [٢].

الرد على الشبهة:

نحن أمة متبعة، وليست بمبتدعة، فالشعارات ترفع وفي ظاهره الجمال، وباطنها العذاب، تقدم معنا أن الأمة مجمعة على أنَّ المرأة لا تكون لها الولاية، وأما دعوى المصلحة هنا، فمثل الخمر فيها منافع للناس؛ فالعبرة أيهما أعظم مصلحة مشاركتها، أو عدم ذلك؟ .

ونحن إذ نقول بعدم مشاركة المرأة للرجل في الولاية لنؤمن علم اليقين بأن المرأة تشارك الرجل في البناء والعطاء للمجتمع بل والأمة؛ لكن فيما هو من خصائصها وتتناسب مع خلقتها مما يمكن أن تقوم به كالطب، والتجارة، والتعليم، والتربية والتي لها فيهما اليد الطولى، وغير ذلك .

---

(١) انتصر لهذا د. محمد الأشقر - غفر الله له - .

(٢) ذكر هذا د. محمد الأشقر رَحِمَهُ اللَّهُ

ولا يدخل في المنع استشارة النساء فيما هو من خصائصهن بقدر الحاجة إلى ذلك، بضوابط معلومة؛ كما استشار النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أم سلمة في صلح الحديبية [1]، لا أن تكون كالرجل في المجالس النيابة فيكون صوتها كصوته، فهذا مما لا يجوز .

وطالما تحدثنا عن المصلحة فنقول:

١) اتفق العلماء على أن شهادتها نصف شهادة الرجل.

قال ابن كثير في قوله تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ﴾ [سورة البقرة:جزء من آية:٢٨٢]: « وهذا إنما يكون في الأموال، وما يقصد به المال، وإنما أقيمت المرأتان مقام الرجل لنقصان عقل المرأة، كما قال مسلم في (صحيحه) [2].... عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**يا معشر النساء، تصدقن وأكثرن الاستغفار، فإني رأيتكُن أكثر أهل النار**»، فقالت امرأة منهن جَزْلة: وما لنا -يا رسول الله -أكثر أهل النار؟ قال: «**تُكْثِرْنَ اللعن، وتكفُرْنَ العشير، ما رأيتُ من ناقصات عقل ودين أغلب لذي لُب منكن**». قالت: يا رسول الله، ما نقصان العقل والدين؟ قال: «**أما نقصان عقلها فشهادة امرأتين تَعْدل شهادة رجل، فهذا نقصان العقل، وتمكث الليالي لا تصلي، وتفطر في رمضان، فهذا نقصان الدين**»»[3].

وهذا الكلام وإن كان لا يروق للعلمانيين والليبراليين ، بل يَسِمونه بأنه عنصرية ضد المرأة، وتنقص لها، لكن هو كلام حبيبنا ونبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يفسر به كلام ربنا الرحيم المنان .

٢) إن المرأة يعتريها تقلب المزاج بسبب التركيبة التي جُبلت عليها، فالعادة الشهرية مثلا عُلم بالعلم والواقع أن المرأة تتأثر فيها، ويصبح حالها أشد تأزمًا، وخلقها أشد صعوبة، فكيف يرجى من هذا حاله أن يقود الناس، ويقضي بينهم وقد منع القاضي من القضاء حال الجوع والغضب؟!.

تقول إحدى المختصات بالدراسات النفسية والأُسْرية: « للهرمونات وتغيرها وتوازنها أثر هام على سلوك الأنثى، حيث تتعرف المرأة في كل دورة شهرية إلى تغيير واضح يظهر في حدة مزاجها

(١) أخرج الحديث البخاري (٣/ ١٩٣-١٩٧) رقم (٢٧٣١) ..

(٢) صحيح مسلم ١/ ٨٦ .ح(٧٩) .

(٣) تفسير ابن كثير ١/ ٧٢٤ .

ونفسيتها، ومما لا شك فيه أن حالة الدورة الشهرية بالأساس هي تغير فيزيولوجي جسمي، يؤثر بالتالي على الناحية النفسية... »[١].

٣) المرأة يغلب عليها العاطفة، وتقديم مشاعرها على عقلها بخلاف الرجل، ولا أظن أن أحدًا يشك في هذا، ومن كان هذا حاله عجز عن القيام بجميع شؤونه فضلا عن أن يقضي بين الناس، بل ويُولَّى عليهم.

قال مقيده -عفا الله عنه -: «ولا يفهم جاهل أن هذا فيه طعن في المرأة-والعياذ بالله- بل هو الأنسب لها، وحليتها، وزينتها، فإنك لو أتيت بأذكى رجل لم يستطع أن يربي طفلا، لأنه لا يملك من العواطف والأحاسيس ما يؤهله إلى التربية التي تقوم بها الأم، فليست التربية أمرًا سهلا لا قيمة له، والرجل إن كان يصنع الحديد، فالمرأة تصنع الرجال، فتدبر هذا تعرف بعض حِكم الله في خلق الجنسين بهذه الصفات» .

٤) إنَّ من صفات النساء الضعف والجزع، والرجال أشد منهن قوة وأكثر تحملاً، ولهذا جاء الوعيد في النياحة على الميت مضافًا إلى النساء، لأنَّ الجزع وعدم الصبر غالب عليهن، وكان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يأخذ على النساء عند البيعة ألاّ يَنحن، ففي الصحيحين [٢]-واللفظ للبخاري- عن أم عطية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: « أخذ علينا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عند البيعة أن لا ننوح فما وفت منا امرأة غير خمس نسوة: أم سليم، وأم العلاء، وابنة أبي سبرة امرأة معاذ، وامرأتين أو ابنة أبي سبرة، وامرأة معاذ وامرأة أخرى»، والولاية في الشرع تثبت لأهل القوة والصبر، لا لذوات الجزع والضعف.

٥) إن المرأة مشغولة بطاعة زوجها، وتربية أولادها والقيام على بيتها هذا أصل عملها، نعم يجوز لها العمل الذي يتناسب مع طبيعتها الأنثوية، أما الإمامة العظمى فهي غير متصورة عقلاً – لمن كان له عقل – فكيف هي تابعة لرجل، تقوم عليه، وتخضع له ومتعبدة بطاعته في غير معصية ثم هي من تتأمر ليس فقط عليه وإنما على كل الرجال؟ . وقل مثل هذا في المجالس النيابة والولايات .

(١) أثر الدورة الشهرية على نفسية المرأة، د. دلال العلمي، في مجلة قلب الأردن للتوعية الصحية والطبية الإلكترونية .http://url.3jba.com/6A1U .

(٢) البخاري ح(١٢٢٣) ومسلم ح(١٥٥٢) .

الشبهة الخامسة: دعوى المصلحة في مشاركة المرأة الرجل في الولاية [1].

بأنه إن صح الحديث فهو محمول على الولاية العامة بحجة أنه ورد في بنت ملك فارس .

الرد على الشبهة:

١) إن هذا الكلام لم يسبق قائله إليه، وتقدم أن من يجيز القضاء في مسائل يمنعها في أخرى، ويؤثم، ويكره فيما يجيزه .

٢) تقرر في علم الأصول أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، ويؤكد هذا فهم أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ للحديث إذ أنزله على أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وهي من هي .

٣) إن عائشة لم تدع لنفسها الإمامة الكبرى، بل هي قائدة للجيش وكان قصدها الإصلاح،ولم ترغب في الإمامة العظمى – كما هو معروف–.

(١) ذكر هذا د. محمد الأشقر رَحِمَهُ اللَّهُ.

مجلة تعظيم الوحيين

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، إن تعظيم الكتاب والسنة في القلوب وجعلهما الحكم في قضايانا هو سفينة النجاة، أما أن تخضع النصوص للواقع وأهواء الناس فهذا لا نهاية له، وسيجعل الشريعة ألعوبة بيد الأعداء، ولعل أبرز نتائج هذا البحث تكمن في الآتي:

١) لم يطعن أحد من الأئمة المتقدمين سلفًا وخلفًا في الحديث إلا في مسألة سماع الحسن البصري من أبي بكرة؛ والصحيح أنه سمع منه كما أثبت بالأدلة، ومع هذا فقد توبع فلا مطعن في الحديث.

٢) إن إعلال بعض الطرق – عند بعضهم– لا يعني عدم ثبوت الحديث عندهم، بل قواعدهم تصحيحه بالمجموع .

٣) أجمع السلف والخلف على عدالة الصحابي أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، والطعن فيه مُحدث من القول، وبدعة عظيمة تفضي إلى رد السنن، والوقيعة في الصحابة، وهو المنفرد أيضًا برواية حديث: « إن ابني هذا سيد ... « على الحسن بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وعن أبيه وأمه وأخيه–.

٤) إن الطعن في صحيح البخاري، وقُل مثله في صحيح مسلم، وأنهما يأتيان بالأكاذيب والموضوعات بوابة شر، فحق لطلاب العلم الرد على الشانئين، وبيان الحق بالحجة لا العاطفة فقط .

٥) الدعوى بأن الأحاديث الثابتة تخالف القرآن الكريم بمجرد النظر الأولي سطحيةٌ في الفكر، وقلة علم وإدراك، ومتى كان العلماء يجرؤن على مثل هذا؟ وأين علم أصول الفقه الذي يعد من الإبداعات العظمى في التراث الإسلامي؟ . إن العلماء وضعوا ضوابط للجمع بين النصوص، والتأليف بينها ولم تجعل القضية اعتباطًا تُصدر كلمة تقال! .

٦) المؤمن الصادق هو المنطلق من الكتاب والسنة بفهم السلف الصالح، لا بما تمليه عليه نفسه، وما يريده أعداء الإسلام منه، أو ما تقتضيه ضغوط المجتمعات التي تسعى وراء شهواتها وأهوائها .

٧) العلم الحديث أثبت عدم أهلية المرأة للولاية، وضعفها عنها، في حين أنها تحسن أمورًا غيرها يعجز أشد الرجال عنها؛ فلتبق كريمة شريفة عالية الشأن فيما تحسن، ولا تدخل في أشياء ليس مما جبلت على عدم الإحسان فيها .

٨) أجمع العلماء على عدم جواز الولاية العامة للمرأة، والقول بالجواز خرم للإجماع، وإنما أجاز بعضهم الولاية الخاصة وفي مسائل محددة، والصحيح عدم ولايتها مطلقًا بنص الحديث .

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا وسيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المصادر والمراجع

١. **الأحاديث الواردة في فضائل الصحابة**، د.سعود بن عيد الجربوعي، الجامعة الإسلامية، ط١/ ١٤٢٧هـ.

٢. **أحكام القرآن**، لابن العربي، تحقيق محمد عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، ط٣/ ١٤٢٤هـ.

٣. **اختصار علوم الحديث** لابن كثير، طبع مع شرحه الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث لأحمد شاكر، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية

٤. **إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل** للألباني، إشراف: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، ط٢/ ١٤٠٥ هـ.

٥. **الاستيعاب في معرفة الأصحاب** لابن عبدالبر، تحقيق علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط١/ ١٤١٢ هـ

٦. **أسد الغابة في معرفة الصحابة** لعز الدي ابن الأثير ،تحقيق علي محمد معوض، و عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، ط١/ ١٤١٥هـ.

٧. **الأشباه والنظائر على مذهب أبي حنيفة النعمان**، لابن نجيم المصري، وضع حواشيه وخرج أحاديثه: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، ط١/ ١٤١٩هـ.

٨. **الإصابة في تمييز الصحابة** لابن حجر، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض

٩. دار الكتب العلمية – بيروت، ط١/ ١٤١٥هـ.

١٠. **إعلام الموقعين عن رب العالمين**، لابن قيم الجوزية،تحقيق محمد عبدالسلام إبراهيم، دار الكتب العلمية، ط(١/ ١٤١١ه).

١١. **إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال** لمغلطاي،تحقيق عادل بن محمد، وأسامة بن إبراهيم، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر،ط١/ ١٤٢٢هـ.

١٢. **الأم**، للإمام الشافعي، دار المعرفة، ط١/ ١٤١٠هـ.

١٣. **البحر الزخار**، للبزار المعروف بـ (مسند البزار)، تحقيق محفوظ الرحمن زين الله، (حقق الأجزاء من ١ إلى ٩)، وعادل بن سعد (حقق الأجزاء من ١٠ إلى ١٧)،وصبري عبد الخالق الشافعي (حقق الجزء ١٨)، مكتبة العلوم والحكم، الطبعة الأولى على سنوات .

١٤. **البحر المحيط في أصول الفقه**، للزركشي، دار الكتبي، ط١/ ١٤١٤هـ .

١٥. **البداية والنهاية**، لابن كثير، تحقيق د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط٢/ ١٤٢٤هـ

١٦. **تاريخ الدوري**، مطبوع بـ تاريخ ابن معين (رواية الدوري)، تحقيق د. أحمد محمد نور سيف، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بمكة المكرمة، ط١/ ١٣٩٩هـ

١٧. **التاريخ الكبير للبخاري**، تحقيق عبدالرحمن المعلمي، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد .

١٨. **التتبع مطبوع مع الإلزامات**، (الإلزامات والتتبع) للدارقطني، تحقيق مقبل بن هادي الوداعي، دار الكتب العلمية،ط٢/ ١٤٠٥ هـ .

١٩. **تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف**، للمزي، تحقيق عبدالصمد شرف الدين، المكتب الإسلامي، ط٢/ ١٤٠٣هـ.

٢٠. **تحقيق منيف الرتبة لمن ثبت له شريف الصحبة للعلائي**، تحقيق أ.د. عبدالرحيم محمد أحمد القشقري، دار العاصمة، بالرياض، ط١/ ١٤١٠هـ .

٢١. **التعديل والتجريح لمن خرّج له البخاري في الجامع الصحيح**، لأبي الوليد الباجي، تحقيق د. أبو لبابة حسين، دار اللواء للنشر والتوزيع بالرياض، ط١/ ١٤٠٦هـ .

٢٢. **تعريف اهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس**، لابن حجر، تحقيق د. أحمد المباركي، ط٢/ ١٤١٤هـ

٢٣. **تفسير الثعالبي**، المسمى الجواهر الحسان في تفسير القرآن تحقيق الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي ببيروت، ط١/ ١٤١٨هـ .

٢٤. **تفسير القرآن العظيم**، لابن كثير، تحقيق سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، (ط٢/ ١٤٢٠ه)

٢٥. **تفسير عبدالرزاق الصنعاني**، تحقيق: د. محمود محمد عبده، دار الكتب العلمية، ط١/ ١٤١٩هـ

٢٦. **تقريب التهذيب**، لابن حجر العسقلاني، تحقيق محمد عوامة، دار الرشيد بسوريا، ط١/ ١٤٠٦هـ.

٢٧. **تلخيص المستدرك، للذهبي** مطبوع مع المستدرك على الصحيحين لأبي عبدالله الحاكم، مصور عن مطبعة دائرة المعارف النظامية في الهند، الطبعة الأولى ١٣٤١هـ .

٢٨. **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد**، لابن عبدالبر، الناشر وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب .

٢٩. **تهذيب الأسماء واللغات**، للنووي، دار الكتب العلمية .

٣٠. **تهذيب التهذيب**، لابن حجر، مصورة عن مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند.

٣١. **تهذيب الفروق والقواعد السنية في الأسرار الفقهية**، للشيخ محمد بن علي بن حسين، مطبوع مع الفروق للقرافي، عالم الكتب.

٣٢. **تهذيب الكمال في أسماء الرجال**، للمزي، تحقيق د. بشار عواد، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأول

٣٣. **تيسير العلام شرح عمدة الأحكام**، للبسام، مكتبة الصحابة ط١٠/ ١٤٢٦ هـ

٣٤. **الثقات**، لابن حبان البستي، تحقيق عبدالرحمن المعلمي، دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند .

٣٥. **جامع التحصيل في أحكام المراسيل**، للعلائي، تحقيق حمدي عبدالمجيد السلفي، عالم الكتب، ط٢/ ١٤٠٧هـ .

٣٦. **الجرح والتعديل**، لابن أبي حاتم، طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد

٣٧. **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، أبي نعيم الأصبهاني، دار الكتب العلمية سنة ١٤٠٩هـ مصورة عن الطبعة المصرية

٣٨. **الدر المختار شرح تنوير الأبصار وجامع البحار**، لعلاء الدين الحصكفي الحنفي، تحقيق عبدالمنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية، (ط١/ ١٤٢٣ه)

٣٩. **الدفاع عن الصحابي أبي بكرة ومروياته والاستدلال لمنع ولاية النساء على الرجال**، للشيخ عبدالمحسن بن حمد العباد البدر، ط١/ ١٤٢٥هـ.

٤٠. **دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة**، للبيهقي، دار الكتب العلمية بيروت، ط١/ ١٤٠٥

٤١. **ذم الكلام وأهله**، لأبي إسماعيل الهروي، تحقيق عبدالرحمن الشبل، مكتبة العلوم والحكم ط١/ ١٤١٨هـ

٤٢. **الرسالة للشافعي**، تحقيق أحمد شاكر، مصورة عن مكتبة الحلبي بمصر.

٤٣. **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، لشهاب الدين الألوسي، تحقيق علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، ط١/ ١٤١٥هـ.

٤٤. **روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل**، لابن قدامة المقدسي، مؤسسة الريّان للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢/ ١٤٢٣هـ.

٤٥. **سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة**، للألباني، مكتبة المعارف بالرياض.

٤٦. **سنن أبي داود**، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بلبنان.

٤٧. **سنن الترمذي**، المطبوع باسم الجامع الصحيح، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار الكتب العلمية.

٤٨. **السنن الكبرى**، للبيهقي، تحقيق محمد عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، ط٣/ ١٤٢٤هـ

٤٩. **السنن الكبرى**، للنسائي، بإشراف شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة ببيروت، ط١/ ١٤٢١هـ.

٥٠. **سنن النسائي**، المعرفة بالمجتبى، أو السنن الصغرى للنسائي، ترقيم د. عبدالفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، ط٢/ ١٤٠٦هـ.

٥١. **سؤالات الحاكم النيسابوري للدارقطني**، تحقيق د. موفق بن عبدالله بن عبدالقادر، مكتبة المعارف ط١/ ١٤٠٤ هـ

٥٢. **سؤالات محمد بن عثمان بن أبي شيبة لعلي بن المديني**، تحقيق د. موفق عبدالله عبدالقادر، مكتبة المعارف بالرياض، ط١/ ١٤٠٤هـ.

٥٣. **سير أعلام النبلاء**، للذهبي، تحقيق بإشراف شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة.

٥٤. **السيرة النبوية**، لابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبدالحفيظ الشلبي، مكتبة ومطبعة البابي الحلبي بمصر، ط٢/ ١٣٧٥هـ.

٥٥. **السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار**، للشوكاني، دار ابن حزم، ١/ ١٤٢٥هـ .

٥٦. **شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة**؛ لأبي القاسم اللالكائي، تحقيق د. أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، دار طيبة، ط٨/ ١٤٢٣هـ.

٥٧. **شرح السنة**، لأبي محمد البغوي، تحقيق شعيب الأرنؤوط- ومحمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، ط٢/ ١٤٠٣هـ .

٥٨. **شرح منتهى الإرادات**، المسمى دقائق أولي النهى لشرح المنتهى لمنصور البهوتي، عالم الكتب، ط١/ ١٤١٤هـ .

٥٩. **صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان**، المسمى الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط١/ ١٤٠٨ هـ

٦٠. **صحيح البخاري، المسمى الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ط١/ ١٤٢٢هـ .

٦١. **صحيح مسلم**، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي.

٦٢. **الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة**، لابن القيم، تحقيق علي بن محمد الدخيل الله، دار العاصمة، ط١/ ١٤٠٨هـ

٦٣. **الضعفاء**، للعقيلي، تحقيق عبدالمعطي أمين قلعجي، دار المكتبة العلمية، ط١/ ١٤٠٤هـ

٦٤. **الطبقات الكبرى**، لابن سعد، دار صادر بيروت .

٦٥. **العقيدة الواسطية** لابن تيمية، تحقيق محمد أشرف بن عبد المقصود، أضواء السلف ط٢/ ١٤٢٠هـ .

٦٦. **العلل ومعرفة الرجال**، لعبدالله بن أحمد بن حنبل يرويه عن أبيه،تحقيق د. وصي الله بن محمد عباس. دار الخاني، الرياض، ط٢/ ١٤٢٢هـ .

٦٧. **علوم الحديث لابن الصلاح**، تحقيق نور الدين عتر دار الفكر، ١٤٠٦هـ.

٦٨. **فتح الباري شرح صحيح البخاري** لابن حجر، دار المعرفة رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز .

٦٩. **فتح المغيث بشرح الفية الحديث للسخاوي**، تحقيق علي حسين علي، مكتبة السنة بمصر، ط١/ ١٤٢٤هـ .

٧٠. **فتح الواحد العلي في الدفاع عن صحابة النبي** ﷺ، الشيخ عبدالله السعد، دار المحدث.

٧١. **الفتن**، لنعيم بن حماد، تحقيق سمير أمين الزهيري، مكتبة التوحيد بالقاهرة، ط١/ ١٤١٢هـ .

٧٢. **الفصل في الملل والأهواء والنحل**، لابن حزم، مكتبة الخانجي بمصر .

٧٣. **الكامل في التاريخ لابن الأثير**، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، ببيروت ط١/ ١٤١٧هـ .

٧٤. **الكامل في ضعفاء الرجال**، لابن عدي، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض دار الكتب العلمية، ط١/ ١٤١٨هـ .

٧٥. **الكفاية في علم الرواية**، للخطيب البغدادي، تحقيق أبي عبدالله السورقي، وإبراهيم حمدي المدني المكتبة العلمية، بالمدينة المنورة

٧٦. **الكواكب النيرات في معرفة من الرواة الثقات**، لابن الكيال، تحقيق د. عبدالقيوم عبد رب النبي، دار المأمون، ط١/ ١٩٨١هـ .

٧٧. **اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة**، لجلال الدين السيوطي، تحقيق أبي عبدالرحمن صلاح بن محمد بن عويضة، دار الكتب العلمية، ط١/ ١٤١٧هـ .

٧٨. **اللمع في أصول الفقه**، للشيرازي، دار الكتب العلمية، ط٢/ ١٤٢٤ هـ.

٧٩. **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، للهيثمي، تحقيق حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، بالقاهرة، عام ط١/ ١٤١٤هـ

٨٠. **مجموع الفتاوى**، لابن تيمية، تحقيق عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، بالمدينة، سنة ١٤١٦هـ.

٨١. **المحلى بالآثار**، لابن حزم، دار الفكر ببيروت .

٨٢. **مُذكرة أصول الفقه**، للشيخ محمد الأمين الشنقيطي، دار البصيرة في مصر .

٨٣. **المراسيل**، لابن أبي حاتم، تحقيق شكر الله نعمة الله قوجاني، مؤسسة الرسالة.

٨٤. **مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح**، للملا قاري، دار الفكر، بيروت، ط١/ ١٤٢٢هـ .

٨٥. **المستدرك على الصحيحين**، لأبي عبدالله الحاكم، مصور عن مطبعة دائرة المعارف النظامية في الهند، الطبعة الأولى ١٣٤١هـ .

٨٦. **مسند أبي داود الطيالسي**، تحقيق محمد بن عبد المحسن التركي، دار هجر بمصر، ط١/ ١٤١٩هـ.

٨٧. **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، تحقيق شعيب الأرناؤوط وجماعة، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى خرجت على سنوات .

٨٨. **مسند الفاروق أمير المؤمنين أبي حفص عمر بن الخطاب** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **وأقواله على أبواب العلم، لابن كثير**، تحقيق عبدالمعطي قلعجي، دار الوفاء، ط١/ ١٤١١هـ .

٨٩. **المصنف في الأحاديث والآثار**، لابن أبي شيبة، تحقيق كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد بالرياض، ط١/ ١٤٠٩هـ .

٩٠. **المعجم الأوسط للطبراني**، تحقيق طارق بن عوض الله، وعبدالمحسن الحسيني، دار الحرمين بالقاهرة .

٩١. **معجم الصحابة لابن قانع**، تحقيق ، صلاح بن سالم المصراتي، مكتبة الغرباء الأثرية بالمدينة المنورة.ط١/ ١٤١٨هـ .

٩٢. **معرفة الثقات للعجلي**، تحقيق د. عبدالعليم عبدالعظيم البستوي، مكتبة الدار بالمدينة المنورة، ط١/ ١٤٠٥هـ.

٩٣. **معرفة الصحابة**، لأبي نعيم الأصبهاني، تحقيق عادل بن يوسف العزازي، دار الوطن للنشر بالرياض ط١/ ١٤١٩ هـ

٩٤. **المعرفة والتاريخ**، ليعقوب بن سفيان الفسوي، تحقيق د. أكرم ضياء العمري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢/ ١٤٠١هـ .

٩٥. **مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج**، للخطيب الشربيني، دار الكتب العلمية، ط١/ ١٤١٥هـ .

٩٦. **المغني**، لابن قدامة المقدسي، تحقيق د. عبدالله التركي، و د. عبدالفتاح الحلو، دار عالم الكتب ن ط٣/ ١٤١٧هـ.

٩٧. **منح الجليل شرح مختصر خليل**، لمحمد بن أحمد عليش، دار الفكر بيروت، ١٤٠٩هـ .

٩٨. **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، للنووي، دار إحياء التراث العربي ببيروت، ط٢/ ١٣٩٢هـ.

٩٩. **منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة**، لعثمان بن علي حسن، مكتبة الرشد، ط٥/ ١٤٢٧هـ .

١٠٠. **منهج الإمام البخاري في تصحيح الأحاديث وتعليلها (من خلال الجامع الصحيح)**، أبو بكر كافي، دار ابن حزم بيروت، ط١/ ١٤٢٢هـ .

١٠١. **الموضوعات من الأحاديث المرفوعات**، لابن الجوزي، تحقيق د. نور الدين بن شكري، أضواء السلف،ط١/ ١٤١٨هـ .

١٠٢. **ميزان الاعتدال في نقد الرجال**، للذهبي ، تحقيق علي محمد البجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر، الطبعة الأولى .

١٠٣. **النكت على كتاب ابن الصلاح**، لابن حجر ، تحقيق د. ربيع بن هادي المدخلي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ط١/ ١٤٠٤هـ .

١٠٤. **هدي الساري**، لابن حجر مطبوع في مقدمة طبعة فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر، دار المعرفة رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز .

١٠٥. **الواضح في أصول الفِقه**، لأبي الوفاء ابن عقيل ، تحقيق د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، مؤسسة الرسالة ط١/ ١٤٢٠هـ.

الدوريات :

١. **جريدة المدينة**، في يوم الثلاثاء (٨/ ١/ ٢٠١٣م) للكاتبة د. سهيلة زين العابدين حماد، مقال بعنوان (ولاية المرأة وحديث «**لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة**»).

٢. **صحيفة الوطن الكويتية**، في ٢٩/ ٥/ ٢٠٠٤م، مقال ـ بعنوان: (نظرة في الأدلة الشرعية حول مشاركة المرأة في الوظائف الرئاسية والمجالس النيابية ونحوها).

٣. **صحيفة الوطن الكويتية**، في ٢٠/ ٦/ ٢٠٠٤ بعنوان (قول على قول «هذا رد لمن تعرض للردّ على كلمتي المنشورة بجريدة الوطن».

المواقع الإلكترونية :

١. **مجلة قلب الأردن للتوعية الصحية والطبية الإلكترونية**. أثر الدورة الشهرية على نفسية المرأة، د. دلال العلمي .

٢. **ملتقى أهل الحديث** http://s20.co/jFGiF.

مجلة تعظيم الوحيين

ملخصات البحوث باللغة الإنجليزية

ملخصات البحوث باللغة الإنجليزية